

اخترت لك من التراث

طَبَائِعُ النَّبَاءِ

وَمَا جَاءَ فِيهَا مِنْ عَجَائِبٍ وَغَرَائِبٍ، وَأَخْبَارٍ وَأَسْرَارٍ

للفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي
صاحب العقد الفريد

تحقيق وتعليق

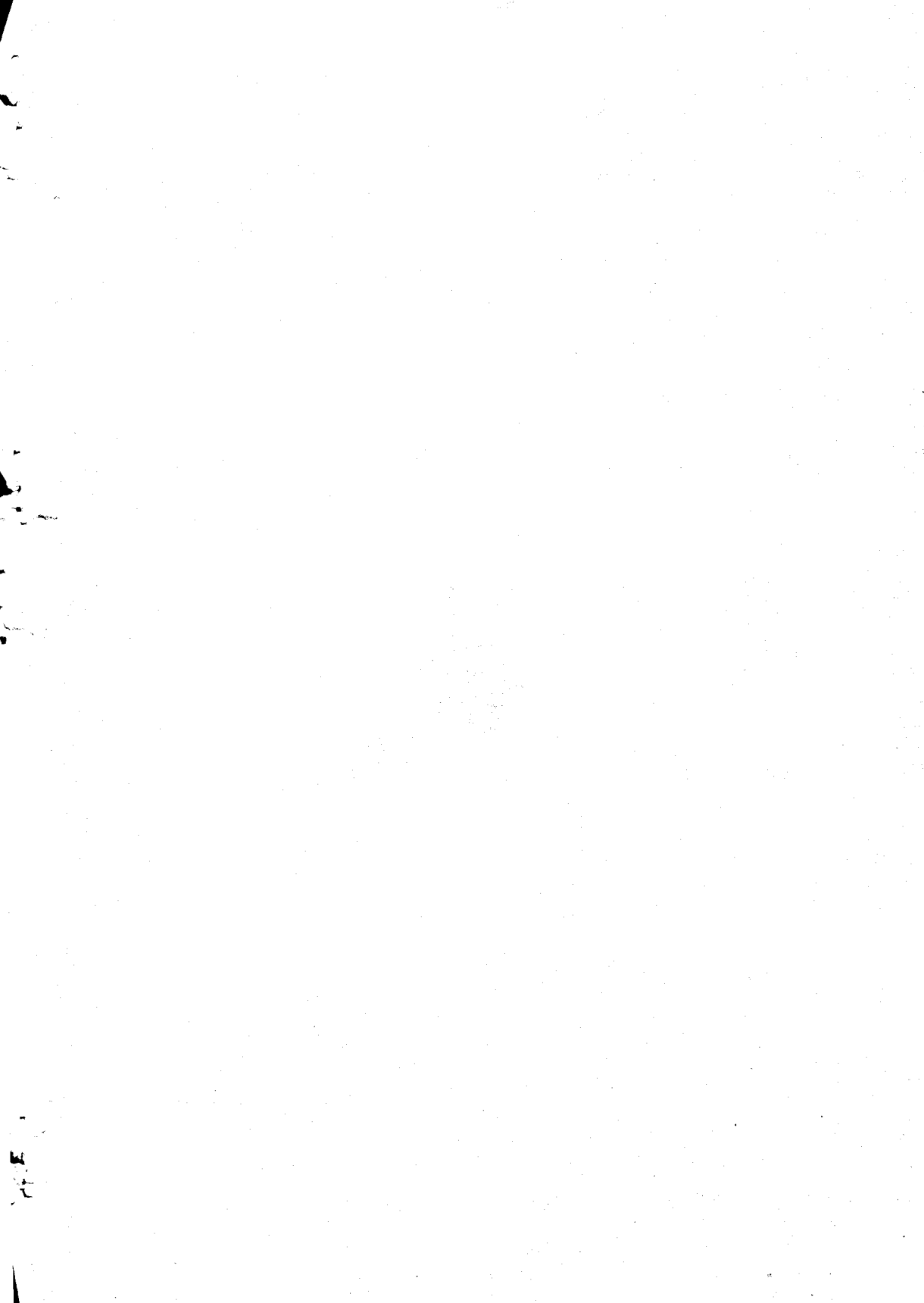
محمد إبراهيم سليم

مكتبة القرآنية

للطبع والنشر والتوزيع
٣ شارع القماش بالفرنساوى - بولاق
القاهرة - ت : ٧٦١٩٦٢ - ٧٦٨٥٩١

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة القرآن





بين يدي هذا الكتاب

باسم الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .. وبعد .. فإن الأمم الناهضة تعمل على وصل ماضيها بحاضرها ، وتعريف أبنائها بما حققه أسلافهم فى شتى الميادين ! .

ألا وإن تراث أمتنا زاخر بثتى ألوان العلم والمعرفة ؛ فما أجدرنا بالعمل على إحيائه ، وبذل الجهود لجمع شتاته ، وتحقيق أمهاته ، ودراسة موسوعاته دراسة تأمل واستيعاب ، كى يتسنى تقديمه للأجيال المحبة لتراثها فى صورة ملائمة للعصر تتيح لهم الاستفادة والمتعة ، ومعايشة ذلك التراث العظيم بدلاً من أن تعبث به يد الإهمال والضياع !! .

ولقد بدأنا نختار للقارىء العربى من كتب التراث ما يدعم مكتبته ، ويرضى ذوقه ، ويحقق رغبته ، وينفعه فى دينه ودنياه ، ويعينه فى معترك الحياة .

وكان على رأس الموضوعات التى قررنا أن نقدمها للقارىء العربى ما تضمنته كتب التراث من طبائع النساء وأخبارهن ، وما يحمد ويذم من عشرين وما فى هذه الحياة من غرائب وعجائب لنزداد لهن فهما ، ومنهن قريبا ، وبهن معرفة وأنسا ، فتطمئن القلوب ، وتسعد النفوس ، وتسكن الأرواح ، وتنتعش الأفئدة ، وتقر العيون ، وترفرف أعلام السعادة فى كل بيت .

ولا عجب ، فالمرأة قد « ملأت الدنيا وشغلت الناس » وما يقدم عنها من كتابات لا يُسهَم فى وضع الأساس ، ولا يكاد يسمن أو يغنى من جوع ، وكأنى بالقراء يقولون : هل إلى كتب التراث من عودة ورجوع ؟!

وعكفنا على كتب التراث ندرس .. ونبحث .. ونوازن .. ونقارن حتى انتهى بنا المطاف عند ابن عبد ربه صاحب « العقد الفريد » ذلك الكتاب الذى ألفه صاحبه لأهل المغرب فجمع فيه أشتاتا من ذخائر أهل المشرق مما تضمنته الموسوعات الكبرى مثل : « عيون الأخبار » لابن قتيبة ، « والبيان والتبيين » للجاحظ ، « والكامل » للمبرد .

إنه الكتاب الثانى بعد كتاب الأغاني لأبى الفرج الأصبهاني فى منزلته العلمية وقيمه الأدبية ، فالكتاب إذن اسم على مسمى .. كل حبة من حياته الخمس والعشرين باب من أبواب العلم والمعرفة التى لا غنى عنها لرواد الأدب ومحبي التراث ، فلا عجب إذا ما رأينا النفوس إليه مشتاقة ، والقلوب تواقه .

وكلما مرت الأيام يزداد « العقد الفريد » تألقا ، وتغلو قيمته ، وترتفع مكانته ؛ ليأخذ مكانه - فى المكتبات العامة - بين المراجع والموسوعات التى لا تعار !! ، والقارىء الناشئ يجتر آلامه ، ويكي أحلامه ، فى الحصول عليه وعلى إخوة له آثروا ذلك المكان ليظلوا فى الحفظ والصون بعيدا بعيدا عن تناول القراء !! .

وكأنى بالقارىء يعزى نفسه مرددا :

هى الشمس مسكنها فى السماء فعزُّ الفؤاد عزاءً جميلا
فلن تستطيع إليها الصعود ولن تستطيع إليك النزولا !!

ولكن كيف السكوت على هذا والعقد الفريد - كما قلنا - هو الكتاب الثانى بعد الأغاني؟! إنه يقع فى ثمانية أجزاء وتقديمه كله تحول دونه عقبات وصعاب ، والاختيار من بين حياته أمر عسير فكل حياته درر وآلىء !! .

ويراى لنا الحل الذى يخرجنا من حيرتنا ؛ فما جمعه ابن عبد ربه عن النساء يعد مرجعا وافيا ، بل قل - فى غير مبالغة - هو موسوعة نسائية تجد فيه الخبرة الصادقة ، والنظرة العميقة ، والرأى الصائب ، والتجربة الرائدة ، ومن ؟ من علم بالنساء خبير !! .

وكيف لا يكون عليما بهن من كان إذا رأى غزالا وقف يتأمله ثم يقول :

فعيناك عيناها وجيّدك جيدها غير أن عظم الساق منك دقيق !!
وكيف لا يكون صاحب تجربةٍ مُعاشيةٍ من كان إذا رأى بعيره يقف إلى جوار ناقةٍ محبوبته يهتف من أعماقه :

أحبها وتجنّبني
ويحب ناقةها بعيري !!

ومن أجل هذا كله رحنا نقلب حبات العقد الفريد وأجزاءه .. حبة حبة ، وجزءاً جزءاً ، ولم ندع شيئاً يتعلق بالنساء إلا وجمعناه ثم رتبناه ترتيباً ، وقسمناه أبواباً ، واخترنا لها من العناوين ما يلائمها فأخذنا من الجزء السابع : [قولهم في المناكح ، وفي النساء وصفاتهن ، وصفة المرأة السوء وعلامة الحب والبغض ، وصفة الحسب ، والمنجيات من النساء ، ومن أخبار النساء ، وباب الطلاق ، وفي مكر النساء وغدرهن ، والهجناء ، وباب في الأدعياء ، وفي الباه وما قيل فيه ، وفي النكاح] .

ومن الجزء الثامن : في المفاكحات ، وما يكتب على العصائب وغيرها والمضحكات .

ثم عرّجنا على بقية الأجزاء فأخذنا من الجزء الأول : [الوافدات على معاوية] ومن الجزء الثاني : [من يضرب به المثل من النساء ، ومن أمثال العرب ثم القول عند الموت] .

ومن الجزء السادس : أخذنا : [قولهم في رقة التشبيب ، وقولهم في النحول ، وقولهم في التوديع] .

فكان لنا هذا الحصاد .. الذي عملنا - ما وسعنا الجهد - على تقديمه في الصورة الملائمة ، ولقد أعطيناه حقه من التنسيق والترتيب ، والتنظيم والتبويب ، والضبط والشرح ، والتقديم والتعليق .

وهاهو ذا بين يديك جاء متعة للقارئ ، ودليلاً وافياً للباحث ومرجعاً

لمن يهتمون بالتراث .. خاليا مما يؤذى المشاعر ، أو يחדش الحياء كما تقضى
بذلك أخلاقيات النشر ، ورسالة العلم و العلماء !! .

فهل ترانى قد حققت لك بعض الأمل والرجاء ؟؟ .

إن كان هناك من توفيق فمن الله .. ثم من الرغبة الصادقة في تقديم
ما ينفع القارىء في دينه ودنياه .

ومتبى أملى أن أحظى برضوانٍ من الله .

المحقق

محمد إبراهيم سليم

القاهرة : فى غرة رجب سنة ١٤٠٥ هـ

٢٤ مارس سنة ١٩٨٥ م

الكتاب والمؤلف :

العقد الفريد

مجموعة أدبية ضمنها ابن عبد ربه مارآه جديرا بالتدوين من فروع الأدب وهو من أمهات كتب التراث ، فقد حوى خير ما ألف في موضوعه من الكتب السابقة عليه ، ولم يقتصر على ما عرفه العرب ، بل نقل عن الكتب التي ترجمت إلى العربية في زمنه عن اليونانية والهندية والفارسية .

منهجه :

قد أوضح منهجه في التأليف في مقدمة الكتاب ، فذكر أنه تخيره من متخير جواهر الأدب ومحصول جوامع البيان ، وأنه ليس له إلا تأليف الاختيار ، وحسن الاختصار ، وفرش في صدر كل كتاب ، وقد جمع نظائر الكلام وأشكال المعاني فقرن كل جنس منها إلى جنسه ، وجعل كل جنس بابا على حدة ، وقد عمد إلى أشرفها جوهرًا ، وأظهرها رونقًا ، وألطفها معنى ، وأجزها لفظًا وأحسنها ديباجة ، وأكثرها طلاوة وحلاوة ، وأنه رأى الكتب قبله قاصرة فجعل كتابه جامعا لأكثر المعاني التي تجرى على أفواه العامة والخاصة ، وتدور على ألسنة الملوك والسوقة .

فهو مختار ومُنشئ معا ؛ حيث يقدم الباب بمقدمة من إنشائه وقد يتبع الباب بما ينشئه من شعره ، وله آراء جلييلة في النقد الأدبي شائعة في الكتاب .

تقسيم الكتاب وتبويبه :

لقد تصور المؤلف كتابه عقدا مؤلفا من خمس وعشرين جوهرة كريمة اثنتا عشرة منها في جانب ومثلها في الجانب الآخر ، وواحدة في الوسط واختار لكل جوهرة من الجواهر الاثنتى عشرة اسما : لؤلؤة .. فريدة .. زبرجدة

جمانة - مرجانة ... ياقوته ... جوهرة ... زمردة ... درة ... يتيمة ...
عسجدة ... ومجنبة ... وتكرر الأسماء في الجانب الآخر أما جواهر الوسط فهو
واسطة العقد .

قيمه الأدبية :

للعقد قيمة أدبية من حيث النقد الأدبي إلى جانب مجموعة كبيرة من
الأمثال صنفت حسب موضوعاتها ، وقد اشتمل على عيون الخطب والقصص
والنوادير وضمّ الألوفا من أبيات الشعر لأكثر من مائتي شاعر من العصر
الجاهلي والأموي والعباسي . .

إنه مجموعة متخيرة من جواهر الأدب ، ولكنه لم يعن بالإسناد وإن كان
قد أحسن الاختصار ، وأجاد الاختيار .

قيمه التاريخية

• يعد العقد من المصادر التي يرجع إليها الباحثون في تاريخ العرب السياسي
والاجتماعي والأدبي .

وإذا كان العرب قد أطلقوا على قصائدهم الطويلة الخالدة من تراث
العصر الجاهلي اسم المعلقات ، لأنها جديرة بأن تعلق بالقلوب لجودتها ،
أو تشبيها لها بعقود الدر التي تعلق على صدور الحسنات فإن ابن عبد ربه
المغربي الأندلسي القرطبي حينما فتح عينيه على أدب المشرق : شعره ونثره ،
راح يجمع أصدافه ولآله ودره وجواهره ويصوغها عقدا فريدا تتيه به اللغة
العربية ، وستظل على مدى الأيام تفخر بـدرايته مرددة على سمع الدنيا :

« ودُرَّأته فرائد عقدي »

★ ★ ★

المؤلف :

في قرطبة ولد ابن عبد ربه ذات يوم من عام ٢٤٦هـ - ٨٦٠ م وبها عاش طول حياته ، وفيها توفي عام ٣٣٨هـ - ٩٤٠ م .

ويذكر المؤرخون في نسبه أنه : « أبو عمرو شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم القرطبي » .

وعن تحصيله يقول ابن خلكان : « كان من العلماء الكثيرين من المحفوظات ، والاطلاع على أخبار الناس » .

وقد انتمى إلى بلاط الأمير محمد بن عبد الرحمن الداخل شابا فتيا ولازمه طول مدة إمارته (٨٥٢ - ٨٨٦ م) وترك هذا فيه أبلغ الأثر .

وقد لازم ابن عبد ربه بعد الأمير محمد ابنه المنذر ثم أخاه عبد الله من بعده ، وعبد الرحمن الناصر أخيرا ، وكان معهم جميعا شاعر البلاط ونديمه .

كان ابن عبد ربه كاتبا وشاعرا ووشاحاً

وفي مجال الكتابة نجد مقدمات لأبواب عقده ، وهي تمتاز بوضوح العبارة ، ودقة الأسلوب ، وازدواج الجملة ، والخلو من الغريب ، والبعد عن التكلف والتعقيد .

وتنسب إليه المصادر الأندلسية أنه كان وشاحا ، ويذهب بعضها أنه مبتدع فن التواشيع .

أما شعره فكان موضع إعجاب القدامى وتقديرهم ، قال عنه الفتح بن خاقان : « إنه حجة الأدب ، وإن له شعرا انتهى منتهاه ، وتجاوز سيماك الإحسان وسهاه » .

وروى ياقوت في « معجم الأدباء » أن أبا الوليد بن عسال لقي المتنبي

في مسجد عمرو بن العاص ، وأن المتنبي قال له : « أنشدني للميح الأندلس ،
يعنى ابن عبد ربه فأنشده :

يَاؤُلُوًّا يَسْبِي الْعُقُولَ أَيْقَا
وَرَشًا بَتَقْطِيعِ الْقُلُوبِ رَيْقَا
مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ
دُرًّا يَعُودُ مِنَ الْحَيَاءِ عَقِيقَا
وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى مُحَاسِنِ وَجْهِهِ
أَبْصَرْتَ وَجْهَكَ فِي سِنَاهِ غَرِيقَا
يَا مَنْ تَقَطَّعَ خَصْرُهُ مِنْ رِقَّةٍ
مَا بَالُ قَلْبِكَ لَا يَكُونُ رَيْقَا !؟

فاستعاده المتنبي ، ثم صفق بيديه وقال :

« يا ابن عبد ربه لقد يأتيك العراق حَبِوًّا » .

وقد شهر ابن عبد ربه بكتابه « العقد الفريد » وليس له بين أيدينا
كتاب آخر .

طبقات العقد الفريد ومختصراته :

● طبع العقد الفريد عدة مرات في مصر وكان من أوائل مانشر من
كتب الأدب :

١ - طبع في مطبعة بولاق للمرة الأولى سنة ١٢٩٢ هـ - ١٩٧٥ م .

٢ - وفي المطبعة العثمانية عام ١٣٠٢ هـ - ١٨٨٤ م .

٣ - وفي المطبعة الشرقية عام ١٣٠٥ هـ - ١٨٨٧ م .

٤ - وطبع ثانيا في المطبعة نفسها عام ١٣١٦ هـ - ١٨٩٨ م .

٥ - وفي المطبعة الأزهرية عام ١٣٢١ هـ - ١٩٠٣ م .

٦ - وفي المطبعة الجمالية عام ١٣٣١ هـ - ١٩١٢ م .

- ٧ - ونشره مصطفى محمد عام ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م .
- ٨ - ثم طبعته المطبعة التجارية طبعة أخرى ١٣٦٢ هـ - ١٩٤٣ م
بتحقيق محمد سعيد العريان .
- ٩ - وأجود الطبقات كانت عام ١٢٥٩ هـ - ١٩٤٠ بتحقيق
- أحمد أمين والايارى وأحمد الزين .
- ١٠ - ونشرته دار الكتب العلمية ببلنات ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م .
- وقد تم اكتشاف عدد من مخطوطات العقد الفريد في مكاتب المغرب لم تكن
معروفة من قبل مما يجعل من المفيد إعادة تحقيق العقد في ضوء ما تتضمنه هذه
المخطوطات من جديد .

المختصرات :

- وقد اختصر العقد الفريد اثنان من القدامى :
- الأول : أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن الوادى أشى القيسى المتوفى
عام ٥٧٠ هـ - ١١٧٤ م ، وهو أندلسى من وادى أش ، مدينة جميلة تقع في
مقاطعة غرناطة بإسبانيا الآن .
- والثانى : جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصارى الخزرجى
الشهير بابن منظور صاحب معجم « لسان العرب » والمتوفى عام
٧١١ هـ - ١٣١١ م .

واختصر حديثا مرتين :

- الأولى : عندما عمدت لجنة من أساتذة دار العلوم إلى اختصاره
استجابة لرغبة وزارة المعارف آنذاك فاختارت بعض أبوابه وانتقت من بعض
أخبارها ، وسمته « مختار العقد » ونشر عام ١٩١٣ .
- والثانية : تمت من عشرين عاما عندما نشرت وزارة الثقافة بعض مختاراته
في سلسلة كانت تشرف على إصدارها .

منهج التحقيق

● جمعنا ما تناثر هنا وهناك من حبات العقد « في النساء وصفاتهن وما يحمد ويذم من عشرتهن » .

● قسمناه ثمانية أبواب ، واخترنا لها عناوين تطابق محتواها ، وتلائم فحواها ، وقدمنا للأبواب التي لم يقدم لها ابن عبد ربه بما يلقي الضوء عليها ، وبحقق الهدف المنشود منها ، وأضفنا بابا تاسعا في نهاية الكتاب جمعناه من فقه اللغة للثعالبي في محاسن المرأة وأوصافها الخلقية والخلقية يرجع إليه القارئ لإيضاح ما غمض من الألفاظ التي تضمنتها نصوص الكتاب وسميته « المعجم النسائي » مما لا بد للقارئ العربي من الإحاطة به . وإن كنا لم ندخر وسعا في إجلاء ما غمض ، وتقريب ما بعد ، وتيسير ما عسر .

● كنا أمناء على النص وتحقيقه فرجعنا إلى المصادر التي نقل عنها ابن عبد ربه ولم نزد عليه ، ولم نحذف منه إلا ما يخدش الحياء ، وينفر منه الذوق .

● خرجنا آياته ، وضبطنا ما يحتاج إلى ضبط من كلماته وعباراته .

● راعينا علامات الترقيم ، ووضع الجمل والفقرات ، لتتيح للقارئ متعة معايشة النص وتذوق الجمال فيه ، ولم يفتنا أن نترجم للأعلام بما يساعد على معايشة النص .

● اخترنا للكتاب عنوانا ، وقدمنا بين يديه عرضا لما جاء عن النساء في القرآن الكريم ، كما سلطنا الضوء على طبعات العقد الفريد ومختصراته ومخطوطاته بعد أن تحدثنا عن منزلة ابن عبد ربه ، ومنهجه في التأليف ، وتقسيم الكتاب وتبويبه ، وقيمه الأدبية والتاريخية .

وها هي ذى أبواب الكتاب ، والعناوين التي تم اختيارها :

الباب الأول : فى اختيار الخليفة الصالحة ، والزوجة الموافقة ،
وما يحمد من عشرة النساء .

الباب الثانى : لطائف من أخبار النساء وطرائف من حياتهن .

الباب الثالث : النساء المنجيات وأبناء السرارى والإماء .

الباب الرابع : سمات الجمال ، وأحوال المحبين .

الباب الخامس : طبع الأنثى وما يذم من عشرة النساء .

الباب السادس : أبغض الحلال إلى الله الطلاق .

الباب السابع : عندما ينقطع الرجاء ، ويكتب علينا الفراق .

الباب الثامن : نماذج للزعامة ، وحسن السفارة ، ومن يُضربُ به المثل
منهن .

الباب التاسع : المعجم النسائى « من فقه اللغة للثعالبى » .

وأسأل الله - سبحانه- أن يجد القارىء فى هذا الكتاب ، ما يحقق أمله ،

ويرضى ذوقه ، وينعش روحه ، ويمتتع فؤاده .

إنه أكرم مسئول ...

هكذا خلقت !!

نعائش المرأة .. ولا نكاد في حياتنا نستغنى عنها ! .
الصلة بيننا وبينها وثيقة ؛ فهي أم ، وأخت ، وزوجة ، وبنت ،
وشقيقة .

ومنا من ينعم بقربها !! .

ومنا من يحترق بلهب نارها ! .

ويحار فيها الفكر أحيانا ، فيصرخ الرجل ، لقد ضاع من قدمي
الطريق ! يالشقائى !! إننى لا أستطيع أن أعيش معها .. ولا أستطيع العيش
بدونها !! فكيف السبيل ؟! وأين الطريق ؟!

قال عنها الفلاسفة والشعراء ما قالوا ، وأطلقوا العنان لتصوراتهم
وتخيلاتهم فى وصف طبيعتها كما بدت لهم فقالوا عنها :

فيها من القمر استدارته . .

ومن البحر عمقه . .

ومن النجوم لمعانها . .

ومن شعاع القمر حرارته . .

ومن الندى قطراته . .

ومن الريح تقلباتها وعدم ثباتها . .

ومن النبات ارتجافه وارتعاشه . .

ومن الورد لونه وعطره . .

- .. ومن الأزهار يحملها ..
- .. ومن الأوراق خفتها ..
- .. ومن الأغصان تمايلها ..
- .. ومن حفيف الأشجار حنينها وأنيها ..
- .. ومن النسيم لطفه ورقته ..
- .. ومن العسل طعمه وشهده ..
- .. ومن الذهب شعاعه ..
- .. ومن الماس قساوته ..
- .. ومن الحية حكمتها ..
- .. ومن الحرباء تلوونها ..
- .. ومن الغزال شروده ..
- .. ومن المها عيونها ..
- .. ومن الأرنب خجله وحياءه ..
- .. ومن الطاووس خيلاءه وزهوه ..
- .. ومن الأسد شراسته وقوته ..
- .. ومن الزمن خيانتته وغدره ..
- .. ومن الثعلب مكره وروغانه ..
- .. ومن اليمامة نغمتها ..
- .. ومن العقرب لذعته ..
- .. ومن البيغاء هذيانها ، وكثرة كلامها .

وتسمع ما يقال عنها ، فيغرها الثناء ، ويدفعها العناد والكبرياء ، فتمضى في طريقها وهي تردد :

هم يقولون ! ماذا يقولون ؟ دعهم يقولون ! .

ومنا من يقبلها على علاتها ، ويقول كما قال النحويون : « أئى هكذا خلقت » ! .

ومنا من يتوجس خيفة من الإقبال عليها فيعكف على دراسة شخصيتها ، ومعرفة أسرارها وطبيعتها .. ويظل يبحث ويبحث حتى يفوته القطار ، وتصبح حياته ليلا بلا نهار !! .

وفي كتاب الله ، وسنة رسوله مايلقى الضوء الأخضر ، ويؤمن مسيرتنا في رحلة الحياة ، ويرشدنا إلى طريق السلامة والنجاة ..

﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ (١٤ : الملك) .

فتعال نتصفح معا كتاب الله ! .

فكم تتطلع نفوسنا أولا وأخيرا إلى القرآن الكريم وآياته لتتهدى بهداه وتسير على ضوئه .. ونفتح المصحف الشريف فإذا به يحدثنا عن ذلك الرباط - من صنع الله - الذى يجمعنا منذ بدء الخليقة :

﴿ يأياها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ﴾ [١ : النساء] .

● فكلانا ينتمى إلى الخالق المبدع ونحن جميعا صنعته وخلقته :

﴿ وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى ﴾ [٤٥ : النجم] .

● ومتبى أمل المؤمن أن يهب الله له زوجة سالحة ولذلك كان الدعاء .. وكانت الاستجابة :

﴿ هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ﴾ [٧٤ : الفرقان] .

﴿ فاستجبنا له ، وهبنا له بحبى وأصلحنا له زوجه ﴾ [٩٠ : الأنبياء]

- ومنهن البنون والحفدة وفيهن تتجلى نعمة الله علينا :
- ﴿ وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ﴾ [النحل : ٧٢] .
- وليس من اللائق أن تنصرف النفوس عن المحللات من الزوجات إلى غيرهن ، ﴿ وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم ﴾ [الشعراء : ١٦٦] .

- فهن زهرة الحياة الدنيا ومنتعتها ، وفتنتها :
- ﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجنا منهم زهرة الحياة الدنيا لفتنتهم فيه ، ورزق ربك خير وأبقى ﴾ [طه : ١٣١] .

- وعلى العاقل ألا تغريه الزينة أو يجرفه حب الشهوات :
- ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين ﴾ [آل عمران : ١٤]
- وشأن المسلمين والمسلمات أن يختاروا قيم الدين ويؤثروها على متع الدنيا :

- ﴿ يأبى النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا . وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً ﴾ [الأحزاب : ٢٨ - ٢٩] .
- فما عند الله خير لمن اتقى و ﴿ ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ﴾ [آل عمران : ١٤] .

- ويقال للذين آثروا قيم الدين على متع الدنيا :
- ﴿ ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون ﴾ [الزخرف : ٧٠] .
- و ﴿ لهم أزواج مطهرة ﴾ [البقرة : ٢٥] .
- ويتراءون في أجمل صورة وأرفع منزلة :
- ﴿ هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون ﴾ [يس : ٥٦] .

وإذا كان القرآن ضرب الأمثلة للناذج الطاهرة فحدثنا عن مريم بنته
عمران التي أحصنت فرجها ، فإنه في الجانب المقابل قد وضع أمامنا للعبارة
والعظة امرأة نوح وامرأة لوط ﴿ كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين
فخانتاهما ﴾ [التحریم : ١٠] .

- ويأتي التحذير مباشرا وصريحا يقرر الواقع الملموس :
- ﴿ إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم ﴾ .

[١٤ : التغابن]

- وتوضع النقط فوق الحروف فتكشف الآيات عن جانب من طبع
المرأة ألا وهو إذاعة السر :

﴿ وإذا أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه
عرف بعضه وأعرض عن بعض ، فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا ؟ قال :
نبأني العليم الخبير ﴾ [التحریم : ٣] .

- وهن فتنة كما تحدث الناصح الأمين محذرا في الحديث الشريف :

« ما تركت بعدى في الناس فتنة أضر على الرجال من النساء » (١) .

« إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون
فاتقوا فتنة الدنيا ، واتقوا فتنة النساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في
النساء » (٢) .

نجانا الله ووقانا الفتنة ، وهدانا سواء السبيل وجعل لنا من أزواجنا
وذرياتنا قررة أعين .

﴿ ربنا وتقبل دعاء ﴾

[٤٠ : إبراهيم] .

(١) صحيح مسلم .

(٢) صحيح مسلم .

ابن عبد ربه وطبائع النساء

هل تريد أن تضيف أعمارا إلى عمرك !!؟

إذن تعال إلى التاريخ :

فسوف يصحبنا ابن عبد ربه إلى عالم النساء وأسراره ، بما فيه من عجائب وغرائب فيحدثنا عن الحليمة الصالحة ، والزوجة الموافقة ، ومن منا لا يتمنى أن يرزقه الله إياها ، ويغنيه بها عن سواها ؟!

ثم يقدم إلينا لطائف من أخبار النساء وطرائف من حياتهن ، لنزداد لهن فهما ومنهن قربا ، وبهن معرفة وأنسا ، مما يجعلنا أقدر على حسن اختيارهن ، وكيف لا ، وقد جعلنا نعيش من قيل عنه : عليم بأدواء النساء طيب .. ولا ينبئك مثل خبير ! .

حتى إذا اطمأن إلى حسن اختيارنا راح يحدثنا عن المنجيات وأبناء السراري والإماء ، والهجناء من الأولاد والأدعياء .

وقد يأسرنا الجمال ، ويضيق الصدر بما لا يقال ، بعد أن أضناه عشق الجمال فيصور ذلك كله عارضا رقة التشبيب ، وجميل الغزل متحدثا عما قد يكون من تزين وتطيب ، وما يكتب على العصائب من عبارات للحب مُصورة ، وعن الهيام معبرة ، ولا يفوته أن يصور ما يعتري المحبين من نحول وذبول ، وما يصاحب لحظات الوداع من حنين وأنين وآهات ودموع .
ولكنه يعود فيذكر بطبع الأنثى ؛ فليس لمخضوب البنان يمين ! .

ويحذرنا من أمثال تلك التي يتعوذ الشيطان منها !! .

ولا يفوته أن يحدثنا عما ينتهي إليه حال أولئك .. وإذا كان الشيء بالشيء يذكر فإنه قد راح يحدثنا عن أبغض الحلال ، وعما هو ألد من ليلة العرس ، وعن الكراهية في قمتها مما يجعلنا نستسلم قائلين معه : « إلى غير رجعة » .

وقد ينقطع الرجاء حيث يكون الفراق ، فتحترق قلوب وتسيل
دموع .. ويتجلى الوفاء في أروع صورهِ !! .

وأخيرا يعرض علينا نماذج للزعامة وحسن السفارة فيتيح لنا أن نعيش
مع ثمانٍ منهن من صواحب عَلِيٍّ ، وفدُن على معاوية وكان لهن معه شأن
يذكر .

ولا يفوته أن يتناول ما سجلته الأمثال عن النساء ، مما جرى على كل
لسان وأصبح آية في الفصاحة والبيان ! .

الحق أقول : إنها تجارب كثيرة ، ومواقف مثيرة ، بها تتضح الرؤية ،
وينكشف الغطاء ، وتنشع السحب والغيوم ، ويدوب الجليد ، وتفتح
مغاليق ، وتهب نفوس ، وتلتئم جراحات ، وكيف لا وسوف نضيف إلى
خيرتنا خبرات ، وإلى أعمارنا سنوات وسنوات ؟! .

لقد قالوا :

ليس بإنسان ولا عالم من لا يعي التاريخ في صدره
ومن درى أخبار من قبله أضاف أعمارا إلى عمره !!
وأخيرا أراك قد عرفت الرفيق على الطريق ... ففي أمان الله ودعواتي
لك بالتوفيق ... مع ابن عبد ربه في عقده الفريد !!

ولا يفوتني أن أقدم إليهن دعواتي بالتوفيق :

رى سألتك باسمِهِنَّ أن تفرش الدنيا لهنَّ
بالوردِ إن سمحت يـ بذاك وبالبنفسج بعد هنَّ
لتطلُّ شمسك في الصـ باح وكلُّ أم مُطمئنَّة

الباب الأول

في اختيار

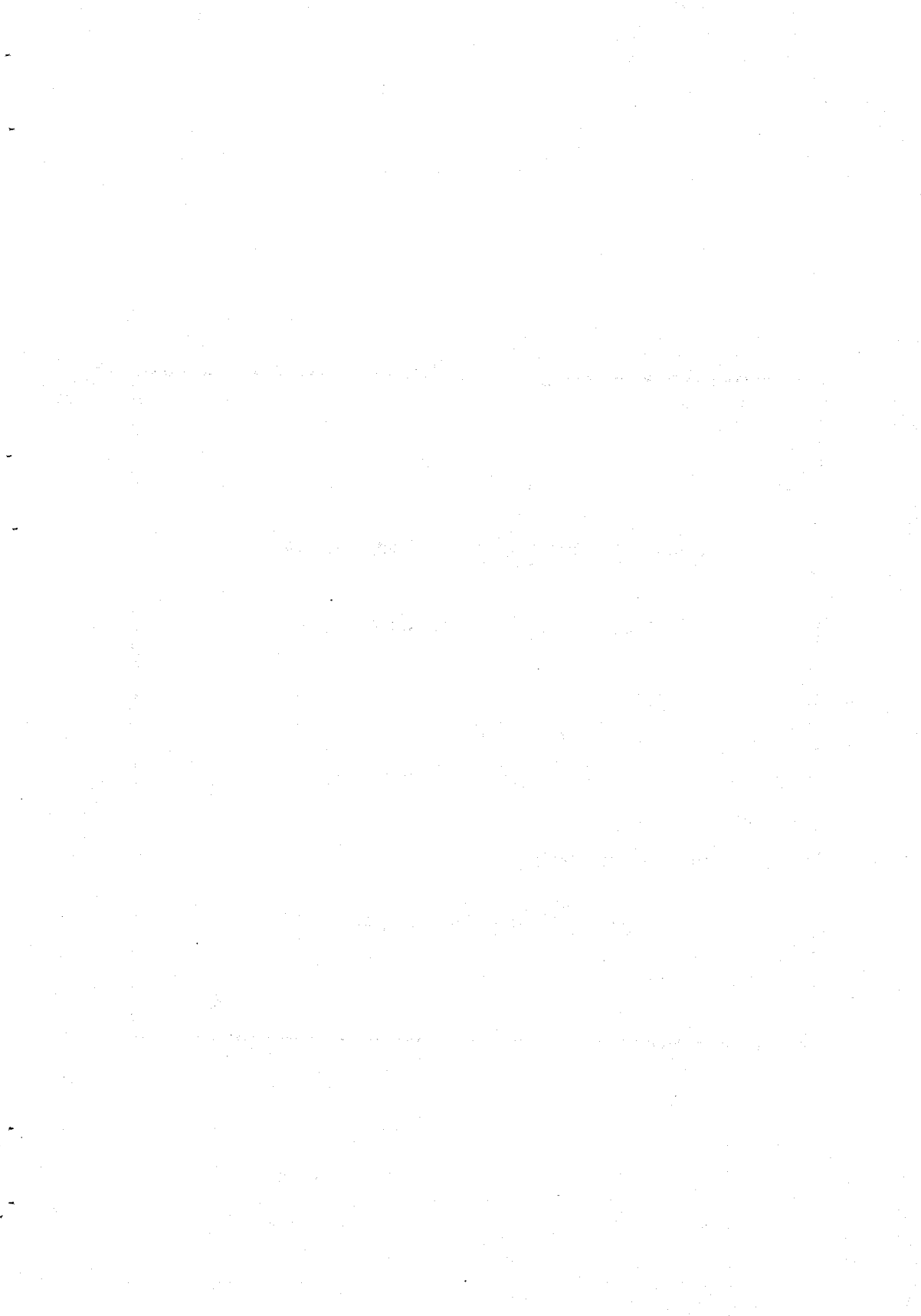
الخليلة الصالحة والزوجة الموافقة

وما يحمد من عشرة النساء

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا لِنَفْسِهِمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾



النساء وصفاتهن وما يحمد ويذم من عشرتهن :

- قال أبو عمر (أحمد بن محمد بن عبد ربه) :
نحن قائلون بحمد الله وتوفيقه في النساء وصفاتهن ، وما يحمد ويذم من عشرتهن ، إذ كان ذلك مقصورا على الحليلة (١) الصالحة والزوجة الموافقة .
والبلاء كله موكل بالقرينة السوء التي لا تسكن النفس إلى كريم عشرتها ، ولا تفر العين برؤيتها !! .

أقوال عنهن في القمة

قال الأصمعي (٢) :

- حدثني ابن أبي الزناد عن عروة بن الزبير قال :
● ما رفع أحد نفسه - بعد الإيمان بالله بمثل - منكح (٣) صدق .
ولا وضع أحد نفسه - بعد الكفر بالله بمثل - منكح سوء .

ثم قال :

- لعن الله فلانة ! ألفت (٤) بنى فلان بيضاً طوالاً ، فقلبتهم سوداً قصاراً !! .

وفي حكمة سليمان بن داود عليه السلام :

(١) الحليلة : الزوجة التي أحلت بعقد نكاح .
(٢) الأصمعي : أحد أئمة اللغة الأقدمين من البصريين حفظ لغة البدو ولهجاتها ، عهد إليه هارون الرشيد بتعليم الأمين ، له عدة مؤلفات ، ولولاه لذهبت أكثر دواوين العرب .
(٣) منكح : زوجة ؛ لأنها موضع النكاح .
(٤) ألفت : وجدت .

● « المرأة العاقلة تبنى بيتها ، والسفينة تهدمه » .

وقال :

● الجمال كاذب ، والحسنُ مُخْلِيف ، وإنما تستحق المدح المرأة الموافقة (١) .

★ ★ ★

الرسول ﷺ وعكاف

مكحول عن عطية عن بشر عن عكاف بن وداعة الهلالي أن رسول الله ﷺ قال له : « ياعكاف ، ألك امرأة ؟ قال : لا .

قال : فأنت إذن من إخوان الشياطين !! .

إن كنت من رهبان النصرى فالحق بهم .

وإن كنت منا فانكح فإن من سنتنا النكاح » .

وقالت عائشة رضی الله عنها :

● « النكاح رِقٌّ (٢) ، فلينظر أحدكم من يُرق كريمةته » .

وقال رسول الله ﷺ :

● « أوصيكم بالنساء فإنهن عوانٍ (٣) عندكم » .

(١) قد يطرأ على الجمال والحسن ما يغيرهما ، فهما عرض زائل ، أما القيم فتبقى ؛ لأن ما بالذات لا يتخلف .

(٢) كلاهما فيه نوع من التملك ، فالزوج يتملك البضع .

(٣) العاني : الأسير والضعيف ، والنساء عوان ؛ لأنهم يُظلمن ؛ فلا ينتصرون ! .

قولهم في المناكح

(الزوجات)

صغصعةُ وابنُ الظَّربِ :

أتيتي تشتري كبدى

● خطب صغصعةُ بن معاوية إلى عامر بن الظرب حكيم العرب ابنته عمرة - وهي أم عامر بن صغصعة - فقال : يا صغصعةُ : إنك أتيتي تشتري من كبدى ، فارحم ولدى ، قبلتُك أو ردَّدتُك ، والحسب كفاء الحسب (١) ، والزوج الصالح أبٌ بعد أب ، وقد أنكحتك خشيةً ألا أجد مثلك ، أفر من السر إلى العلانية .. يا معشر عدوان خرجت من بين أظهركم كريمتكم من غير رغبة ولا رهبة ، وأقسم لولا قسَمُ الحظوظ على قدر الجدود ما ترك الأول للآخر ما يعيش به .

ابن حُجر ، وابن مُحَلَم :

وصية ذهبية

العباس بن خالد السهمي قال :

● خطب عمرو بن حُجر إلى عوف بن مُحَلَم الشيباني ابنته : أمَّ

إياس ، فقال :

نعم أزوِّجُكما على أن أُسمِّيَ بنِها ، وأزوِّجَ بناتِها ، فقال عمرو بن

حُجر :

(١) الحسب : ذو الحسب ، والحسب مفاخر الآباء وما يدل على شرف الأصل .

أما بنونا فنسميهم بأسمائنا ، وأسماء آبائنا وعمومتنا . وأما بناتنا
فنكحهن أكفأهن من الملوك ، ولكنني أُصِدِّقها (١) عقاراً في كِنْدَةَ ، وأمنحها
حاجات قومها ، لاترد لأحد منهم حاجة ! ، فقبل ذلك منه أبوها ، وأنكحه
إياها ، فلما كان بناؤه بها خلت بها أمها (٢) فقالت :

أى بنية ، إنك فارقت بيتك الذى منه خرجت ، وعُشِّك الذى فيه
درجت (٣) إلى رجل لم تعرفه ، وقرين (٤) لم تألفيه ، فكونى له أمةً يكن لك
عبداً ، واحفظى له خصالا عشرة تكن لك ذخراً (٥) :

أما الأولى والثانية : فالخشوع له بالقناعة ، وحسن السمع له والطاعة .
وأما الثالثة والرابعة : فالتفقد (٦) لمواضع عينه وأنفه ، فلا تقع عينه
منك على قبيح ولا يشم إلا أطيب ريح ! .

وأما الخامسة والسادسة : فالتفقد لوقت منامه وطعامه ، فإن حرارة
الجوع ملهبة (٧) وتنغيص (٨) النوم مغضبة ! .

وأما السابعة والثامنة : فالاحتفاظ بماله ، والإرعاء (٩) على حشمه (١٠)
وعياله ، ومِلاك (١١) الأمر فى المال حُسْنُ التقدير ، وفى العيال حسن
التدبير ! .

(١) أُصِدِّقها : قدم لها صداقها ومهرها .

(٢) أمها : أُنَّامة بنت الحارث : هى زوجة محم الشيبانى ، وكانت من النساء اللاتي عرفن بالعقل

(٣) العش الذى فيه درجت : بيت أبيك الذى بدأت خطواتك الأولى فيه .

(٤) قرين : صاحب وزوج .

(٥) تكن لك ذخراً : تدخرينه لما يُصلح حياتك .

(٦) تفقد الشيء : طلبه والاهتمام به ورعاية المظهر الجمال .

(٧) ملهبة : المراد أنه يلهب ويغضب .

(٨) تنغيص : تكدير .

(٩) الإرعاء : الرعاية .

(١٠) حشمه : خدمه .

(١١) ملاك الأمر : قوامه وعماده .

وأما التاسعة والعاشر : فلا تعصن له أمراً ، ولا تُفشينَّ له سراً (١) ؛ فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدره (٢) ، وإن أفشيت سره ، لم تأمنى غدره ؛ ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مهتماً (٣) ، والكآبة (٤) بين يديه إن كان فرحاً .

فولدت له الحارث بن عمرو جدَّ امرئ القيس الشاعر .

زرارة ولقيط وابنة ذى الجدين

من أحسن .. أنا ، أم لقيط ؟

● الشيباني قال : حدثنا بعض أصحابنا أن زرارة بن عدس نظر إلى ابنه لقيط فقال : مالي/أراك مختالاً ؟ كأنك جئتني بابنة ذى الجدين أو مائة من هجائن النعمان (٥) ! فقال : والله لا يمس رأسي دهنٌ حتى آتيك بهما أو أبلي عذراً ! فانطلق حتى أتى ذا الجدين - وهو قيس بن مسعود الشيباني - فوجده جالساً في نادى قوميه من شيبان ، فخطب إليه ابنته علانية ، فقال له : هلاً ناجيتني ؟ | ومن أنت ؟ قال : لقيط بن زرارة ، قال : لا جرم (٦) ، لا تبيتن فينا عزباً ولا محروماً ! ، فزوجوه وساق عنه المهر وبنى بها من ليلته تلك .

ثم خرج إلى النعمان ، فجاء بمائتين من هجائنه ، وأقبل إلى أبيه وقد وفى نذره ، فبعث إليه قيس بن مسعود بابنته مع ولده بسطام بن قيس ، فخرج لقيط يتلقاها في الطريق ، ومعه ابن عم له يقال : قراد ، فقال لقيط :

(١) لا تفشين : لا تخرجين ولا تنشرين .

(٢) أوغرت صدره : ملأت صدره غيظاً وحقداً .

(٣) مهتماً : حزينا مهموماً .

(٤) الكآبة : الانقباض والحزن ، والأم حريصة على تحقيق المشاركة الوجدانية بين الزوجين

حتى تقوم حياتهما على أسس راسخة .

(٥) الهجان من كل شيء : خياره ، ومن الإبل : البيض الكرام ، يستوى فيه المذكر والمؤنث

والجمع .

(٦) لا جرم : أى لا بد ، أو لا محالة ، أو حقاً ، وقد تحول إلى معنى القسم فيقال : « لا جرم

لأنفعلن » .

هاجت على ديار الحى أشجاناً

واستقبلوا من نوى (١) الجيران قربانا

تامت (٢) فؤادك لم تقض التى وعدت

إحدى نساء بنى ذهل بن شيبانا

فانظر قراد ، وهل فى نظرة جزع

عرض الشقائق ، هل بينت أظعانا

فبين جارية نضح العبير بها

تُكسى ترائبها دراً ومرجانا

كيف اهتديت ولا نجم ولا علم

وكنت عندى نثوم الليل وسنانا

ولما رحل بها بسطام بن قيس قالت : مُروا بى على أوى أودعه ! فلما

ودعته قال لها :

يابنية : كوفى له أمة يكن لك عبداً ، وليكن أطيب طيبك الماء ثم

لا أذكرت (٣) ، ولا أيسرت (٤) ؛ فإنك تلدين الأعداء ، وتقربين البعداء ،

إن زوجك فارس من فرسان مضر ، وإنه يوشك أن يقتل أو يموت ؛ فإذا كان

ذلك ، فلا تخمشى (٥) عليه وجها ، ولا تحلقى شعراً ! .

فلما قتل لقيط تحملت إلى أهلها ، ثم مالت إلى محلة عبد الله بن دارم

فقالت : نعم الأحماء كنتم يابنى دارم ، وأنا أوصيكم بالغرائب خيراً فلم أر

مثل لقيط .

ثم لحقت بقومها ، فتزوجها ابن عم لها ، فكانت لا تسلو عن ذكر

لقيط ، فقال لها زوجها : أى يوم رأيت فيه لقيطاً أحسن فى عينك ؟ .

(١) نوى الجيران : تحوهم وانتقالهم من مكان إلى آخر ، والنوى البعد .

(٢) تيمه الحب : عبده وذله فهو متم .

(٣) لا أذكرت : لا ولدت الذكور ؛ لأنهم سوف يكونون أولاد أعدائه فمن رأى العرب أن

البنين هم أولاد الأبناء فقط ولذلك يقولون :

بنونا - بنو أبائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأبعد

(٤) أيسرت المرأة سهلت عليها الولادة ، ولا أيسرت : دعاء عليها بولادة عسرة .

(٥) خمشى الوجه : خدشه ولطمه .

قالت : خرج يوما يصطاد ، فطرد البقر فصرع منها ، ثم أتاني مختضبا
بالدماء ، فضمني ضمة ، ولثمني لثمة ؛ فليتني ميتٌ ثمة ؛ فخرج زوجها
ففعل مثل ذلك ثم أتاها ، فضمها ولثمها ثم قال لها : من أحسن ، أنا أم لقيط
عندك ؟ .

فقالت : « مرعى ولا كالسعدان » (١) .

★ ★ ★

(١) السعدان : نبت له شوك ، وهو من أفضل ما ترعاه الإبل ، وفيه يضرب المثل فيقال : مرعى
ولا كالسعدان ! والمقصود : أن لقيطا لا يفضله آخر .

قيس بن زهير والنمر

لا تردوا الأكفاء عن النساء

● حكى أبو الفضل عن بعض رجاله قال :

قدم قيس بن زهير - بعد ما قتل أهل الهبأة - على النمر بن قاسط فقال :
يا معشر النمر ، نزعت إليكم غريبا حزينا ، فانظروا لى امرأة أتزوجها ، قد أذلها
الفقر ، وأدبها الغنى ، لها حسب وجمال ! .

فزوجوه على هيئة ما طلب ، فقال : إني لا أقيم فيكم حتى أعلمكم
أخلاق - إني غيور فخور تفور ، ولكنى لا أغار حتى أرى ، ولا أفخر حتى
أفعل ، ولا آنف حتى أظلم (١) .

فأقام فيهم حتى وُلد له غلام سماه : خليفة ، ثم بدا له أن يرتحل عنهم
فجمعهم ثم قال :

يامعشر النمر ، إن لكم على حقاً ، وأنا أريد أن أوصيكم فأمركم
بخصال ، وأنهاكم عن خصال : عليكم بالأناة ؛ فإن بها تنال الفرصة ،
وسودوا (٢) من لا تُعابون بسؤدده ، وعليكم بالوفاء ؛ فإن به يعيش الناس ،
وبإعطاء ما تريدون إعطاءه قبل المسألة ، ومنع ما تريدون منعه قبل القسم ،
وإجارة الجار على الدهر ، وتنفيس المنازل عن بيوت اليتامى ، وخلط الضيف
بالعيال ، وأنهاكم عن الرهان ؛ فإنى به ثكلت مالكا ، وأنهاكم عن البغى ؛ فإنه
صرع زهيرا ، وعن السرف فى الدماء ، فإن يوم الهبأة أورثنى الذل ،
ولا تعطوا فى الفضول فتعجزوا عن الحقوق ، ولا تردوا الأكفاء عن النساء
فتحوجوهن إلى البلاء ، فإن لم تجدوا الأكفاء فخير أزواجهن القبور ، واعلموا

(١) أنف من العار : كرهه وترفع عنه وتنزه . ونفر منه .

(٢) سودوا : اجعلوه سيذا عليكم .

أني أصبحت ظالماً مظلوماً : ظلمني بنو بدر بقتلهم مالكا ، وظلمت بقتلي من لا ذنب له .

الفاكه وزوجته هند في ريبه

إليك عني !!

● كان الفاكه بن المغيرة المخزومي أحد فتیان قريش ، وكان قد تزوج هند بنته عتبة ، وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس فيه بلا إذن ، فقال (١) يوماً في ذلك البيت وهند معه ؛ ثم خرج عنها وتركها نائمة ، فجاء بعض من كان يغشى البيت ، فلما وجد المرأة نائمة ولى عنها ، فاستقبله الفاكه بن المغيرة ، فدخل على هند وأنبهها ، وقال : من هذا الخارج من عندك ؟! قالت : والله ما انتهت حتى أنهتني ، وما رأيت أحداً قط . قال : الحقى بأبيك ! وخاض الناس في أمرها ، فقال لها أبوها : يا بنية ، العار وإن كان كذبا ، أبشني شأنك (٢) ؛ فإن كان الرجل صادقا دسست عليه من يقتله فيقطع عنك العار ، وإن كان كاذبا حاكمته إلى بعض كهان اليمن . قالت : والله يا أبت إنه لكاذب !

فخرج عتبة فقال : إنك رميت ابنتي بشيء عظيم ؛ فإما أن تبين ما قلت ، وإلا فحاكمني إلى بعض كهان اليمن ، قال : ذلك لك .
فخرج الفاكه في جماعة من رجال قريش ، ونسوة من بنى مخزوم ، وخرج عتبة في رجال ونسوة من بنى عبد مناف .

فلما شارفوا بلاد الكاهن ، تغير وجه هند ، وكسف بالها ، فقال لها أبوها : أي بُنية ، ألا كان هذا قبل أن يشتهر في الناس خروجنا ؟!

(١) قال : قضى وقت القيلولة والظهيرة في مكان ظليل كالبيت ونحوه .

(٢) بث الخبر : أذاعه ونشره ، وأبشني شأنك أى أطلعيني عليه وكاشفيني به .

قالت : يَا بَت ، والله ما ذلك لمكروه قَبْلِي ، ولكنكم تأتون بشرا يخطيء
ويصيب ، ولعله أن يَسْمِنِي (١) بسمة تبقى على السنة العرب .

فقال لها أبوها : صدقت ، ولكني سأخبره (٢) لك ، فصفر بفرسه ،
فلما أدلى (٣) عمد إلى حبة بر فأدخله في إحليله ، ثم أوكى (٤) عليها وسار ،
فلما نزلوا على الكاهن أكرمهم ونحر لهم ، فقال له عتبة : إنا أتيناك في أمر ،
وقد خباناً لك خبيئة فما هي ؟ قال : بُرة في كمره (٥) ، قال : أريد أئين من
هذا ، قال : حبة بر في إحليل مُهر . قال : صدقت . فانظر في أمر هؤلاء
النسوة ، فجعل يمسح رأس كل واحدة منهن ، ويقول : قومي لشأنك ! حتى
إذا بلغ إلى هند مسح يده على رأسها وقال : قومي غير رفحاء (٦) ولا زانية ،
وستلدين ملكا يسمي : معاوية .

فلما خرجت أخذ الفاكه بيدها ، فنترت (٧) يدها من يده وقالت :
إليك عنى ! والله لأحرصن أن يكون ذلك الولد من غيرك ! فتزوجها
أبو سفيان فولدت له معاوية .

هند وزواجها من أبي سفيان

إني لأخلاق مثل هذا لموافقه .. فزوجنيه !!

● وذكروا أن هند بنت عتبة بن ربيعة قالت لأبيها : يَا بَت ، إنك
زوجتني من هذا الرجل ، ولم تؤامرني في نفسي ، فعرض لي معه ما عرض ؛

(١) يسمنى : يصفنى من السمة وهى العلامة المميزة .. وكانت تخاف أن توصف بالزانية .

(٢) سأخبره : سأخبره ؛ لأعرف حقيقته ، ومدى معرفته بالمستور .

(٣) أدلى : أخرج جروانه ليبول أو يضرب .

(٤) أوكى عليها : ربط عليها وغطى .

(٥) بُرة : حبة بر وقمح في رأس الإحليل .

(٦) رفحه ترفيحا : قال له : بالرفاء واللين .

(٧) نترت يدها : جذبها بشدة .. وإليك عنى : ابعد عنى ودعنى لشأني .

فلا تزوجني من أحد حتى تعرض على أمره ، وتبين لي خصاله ، فخطبها سهيل بن عمر ، وأبو سفيان بن حرب فدخل عليها أبوها وهو يقول :

أتاك سهيل وابن حرب وفيهما رضا لك ياهند الهنود ومقع
وما منهما إلا يُعاشُ بفضلِهِ وما منهما إلا يضر وينفع
وما منهما إلا كريم مرزاً وما منهما إلا أغر سميدع (١)
فدونك فاختارى فأنت بصيرة ولا تخدعى إن الخادع يخدع

قالت : يا أبت ، والله ما أصنع بهذا شيئاً ، ولكن فسر لي أمرهما ، وبين لي خصالهما ، حتى أختار لنفسى أشدهما موافقة لي ، فبدأ بذكر سهيل بن عمر ، فقال :

أما أحدهما - ففي ثروة واسعة من العيش ، إن تابعته تبعك ، وإن ملت عنه حظ إليك ، تحكمن عليه في أهله وماله .

وأما الآخر - فموسع عليه ، منظور إليه ، في الحسب الحسيب والرأى الأريب ، مئذره أزمته (٢) ، وعز عشيرته ، شديد الغيرة ، كثير الظهرة ، لا ينام على ضعة ، ولا يرفع عصاه عن أهله .

فقالت : يا أبت ، الأول سيد مضياع للحررة ، فما عست أن تلين بعد إباثها ، وتضيع تحت جناحه ، إذا تابعها بعلها فأشرت ، وخافها أهلها فأمنت ، فساء عند ذلك حالها ، وقبح عند ذلك دلالها ، فإن جاءت بولد أحمقت ، وإن أنجبت فعن خطأ ما أنجبت ؛ فاطو. ذكر هذا عني ، ولا تسمه علي بعد .

وأما الآخر فبعل الفتاة الخريدة (٣) ، الحررة العفيفة ، وإني للتي لا أريب

(١) السميدع : السيد الكريم السخي .

(٢) المئذرة كمنبر : السيد الشريف ، والمقدم في اللسان واليد عند الخصومة ، والأرومة :

الأصل .

(٣) الخريدة : البكر لم تمس ، والحية المسترة ، طويلة السكوت ، خافضة الصوت .

له عشيرة فتعيه ، ولا تصيره بذعر فتضيره ، وإنى لأخلاق مثل هذا لموافقة
فزوجنيه .

فزوجها من أبى سفيان ، فولدت له معاوية ، وقبله يزيد ، فقال فى ذلك
سهيل بن عمرو :

تُبَّتْ هندا تَبَّرَ اللهُ سَعِيها تَأَبَّتْ وَقالت : وَصَفُ أَهوجِ مائِقِ (١)
وما هَوَجى يا هَندُ إلا سَجِيه أُجِرَ لها ذليلُ بِحَسَنِ الخلائِقِ
ولو شئتُ خادعتُ الفتى عن قَلُوصِه وَلاطَمْتُ بِالْبَطحاءِ فى كلِّ شارِقِ (٢)
ولكننى أكرمتُ نفسى تكروما ودافعتُ عنها الذمُّ عند الخلائِقِ
وإنى إذا ماحرة ساءَ حُلُقُها صيرتُ عليها صَبْرَ آخِرِ عاشِقِ
فإن هى قالت : خل عنى تركتها وَأَقْلِلْ بِتَرْكِ من حبيبِ مَفبارِقِ
فإن ساعونى قلتُ أمرى إليكم وإن أبعدونى كنتُ فى رأسِ حالِقِ (٣)
فلم تنكحى يا هند مثلى وإننى لمن لم يَمقِنى فاعلمنى غيرِ وامِقِ (٤)
فبلغ أبى سفيان ، فقال :

والله لو أعلم شيئاً يرضى أبى زيد سوى طلاق هند لفعلته !

وأخ سهيل فى تنقيص أبى سفيان ، فقال أبو سفيان :

رأيتُ سُهَيْلاً قد تفاوتَ شأوُه وَفَرَطَ فى العلياءِ كلَّ عِناَنِ
وأصبحَ يسمو للمعالى وإنه لذو جفنةٍ مَغشِيهٍ وقِيانِ (٥)
وشرب كرامٍ من لؤى بن غالب عراضِ المساعى عَرْضة الخدائِنِ
ولكنه يوماً إذا الحربُ شمِرت وأبرزَ فيها وجهَ كلِّ حصانِ
فأَكفِيه مالا يَسْتَطاعُ دِفاعُه وَأَلقيتُ فيها كلِّكلى وجِرائِنِ (٦)

(١) المائق : الذى كاد يبكى من شدة الغيظ .

(٢) القلوص من النوق : الشابة ، وهى بمنزلة الجارية من النساء وجمعها قُلُوصٌ وقلائص ؛ ولذا نراهم يكونون عن الفتيات بالقلوص ، والشارق : الشمس حين تشرق .

(٣) الحالق : الجبل المرتفع . (٤) الوامق : المحب ، وفعله ، ومقه ، يمقه . أى أحبه .

(٥) جفنة مغشية أى : يغشاها الضيوف . دليل الكرم . والقِيان جمع قينة وهى الأمة مغشية كانت أو غير مغشية ، وهى دليل السعة والغناء ، ولكنه مع هذا محتاج إلى من يكفيه مخاطر الحرب .

(٦) الكلكل : الصدر ، والجِران : باطن العنق من البعير وغيره ، ويقال : ألقى عليه جِرانه : أى

وصية أبي سفيان وزوجه

لابنهما معاوية حين عمل لعمر

- .. ولما قدم معاويةً من الشام وكان عمر قد استعمله عليها (١) ، دخل على أمه هند ، فقالت له :
يا بني ، إنه قلما ولدت حُرَّةً مثلك ! ، وقد استعملك هذا الرجل ، فاعمل بما وافقه ، أحببت ذلك أم كرهته .
- ثم دخل على أبي سفيان ؛ فقال له :

يا بنى إن هؤلاء الرهط من المهاجرين (٢) سبقونا وتأخرنا عنهم ، فرفعهم سبقهم ، وقصر بنا تأخرنا ، فصيرنا أتباعاً وصاروا قادة ؛ وقد قلدوك جسيما من أمرهم (٣) ؛ فلا تخالفن أمرهم ؛ فإنك تجرى إلى أمد لم تبلغه ، ولو قد بلغت ، لتنفست فيه (٤) .

سهيل وابن له :

يرحم الله هذا !

- قال : وتزوج سهيل بن عمرو امرأة ، فولدت له ولداً ؛ فبينما هو سائر معه إذ نظر إلى رجل يركب ناقة ، ويقود شاةً ، فقال لأبيه : يا أبت ، هذه ابنة هذه ؟!! يريد الشاة ابنة الناقة ! فقال أبوه : يرحم الله هذا ! يعني ما كان من فراستها فيه .

(١) جعله عاملاً له ووالياً عليها .

(٢) الرهط : الجماعة من الناس .

(٣) حملوك مسئولية الولاية والحكم وهي مسئولية جسيمة .

(٤) يتوقع له مستقبلاً أعظم ، لم يبلغه بعد ، وعندما يتحقق تسترخ نفسه .

الرسول ﷺ وأم هانيء :

خير نساء ركنين الإبل !

● وعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال : يارسول الله لو تزوجت أم هانيء بنت أبي طالب ، فقد جعل الله لها قرابة ، فتكون صهرا أيضا ! فخطبها رسول الله ﷺ فقالت : والله إنه لأحب إلى من سمعى وبصرى ، ولكن حقه عظيم ، وأنا مومتمة (١) ؛ فإن قمت بحقه خفت أن أضيع أيتامى ! وإن قمت بأمرهم قصرت عن حقه ! فقال النبي ﷺ : خير نساء ركنين الإبل نساء قريش ، أحناها على ولد في صغره ، وأرعاها على بعل (٢) في ذات يده ، ولو علمت أن مريم ابنة عمران ركبت جملا لاستثيتها .

زواج الرسول ﷺ من حفصة :

شكوى عمر .. !!

● ولما توفيت رقية بنت رسول الله ﷺ عن عثمان بن عفان ، عرض عليه عمر ابنته حفصة ؛ فسكت عنه عثمان - وقد كان بلغه أن رسول الله ﷺ يريد أن يزوجه ابنته الأخرى - فشكا عمر إلى رسول الله ﷺ سكوت عثمان عنه ؛ فقال له : سيزوجُ الله ابنتك خيرا من عثمان ، ويزوج عثمان خيرا من ابنتك ! فتزوج رسول الله ﷺ حفصة ، وتزوج عثمان ابنته .

(١) مومتمة : صاحبة يتامى مات عنى زوجى وتركهم لى أرعاهم .

(٢) بعل : زوج .

خطبته ﷺ لخديجة :

الزوج المثالي

● ولما خطب رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد بن عبد العزى ، ذكرت ذلك لورقة بن نوفل - وهو ابن عمها - فقال : هو الفحل ، لا يُقدع أنفه (١) ، تزوجيه .

خطبة عمر بن الخطاب لأم كلثوم بنت أبي بكر :

لا حاجة لي فيه ! إنه خشن العيش شديد على النساء !

● .. وخطب عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت أبي بكر ، وهى صغيرة ، فأرسل عمر إلى عائشة ، فقالت : الأمر إليك . فلما ذكرت ذلك عائشة لأم كلثوم قالت : لا حاجة لي فيه ! فقالت عائشة : أترغبين عن أمير المؤمنين (٢) ؟ قالت : نعم ، إنه خشن العيش ، شديد على النساء ! فأرسلت عائشة إلى المغيرة بن شعبه فأخبرته فقال لها : أنا أكفيك (٣) ! فأتى عمر فقال : يا أمير المؤمنين ، بلغنى عنك أمر أعيدك بالله منه ! قال : ما هو ؟ قال : بلغنى أنك خطبت أم كلثوم بنت أبي بكر ؟ قال : نعم ، أفرغت بها عنى ، أم رغبت لى عنها ؟ قال : لا واحدة منهما ، ولكنها حدثت (٤) نشأت تحت كنف خليفة رسول الله فى لين ورفق ، وفيك غلظة ، ونحن نهأبك وما نقدر أن نردك عن خلق من أخلاقك ، فكيف بها إن خالفتك فى شىء فسطوت (٥) بها !؟ كنت

(١) قدغته عنى : كفته يدي أو بلسانى . وذاك فحل لا يقدع أى كريم لا يُرد .

(٢) رغب عنه انصرف ولم يلتفت إليه ، وهى عكس رغب فيه فمعناها أقبل عليه .

(٣) أى أتولى عنك إخباره بما لا يسبب الحرج لكليكما .

(٤) صغيرة السن شابة .

(٥) سطوت بها : السطو القهر بالبطش .

قد خلفت أبا بكر في ولده بغير ما يحق لك ! فقال : كيف لي بعائشة وقد كلمتها ؟ قال : أنا لك بها ، وأدلك على خير لك منها ، أم كلثوم بنت علي من فاطمة بنت رسول الله ، تتعلق منها بسبب (١) من رسول الله ﷺ .

علي وعمر في أم كلثوم

ما على الأرض أحد يرضيك من صحبتها بما أرضيك

● وكان علي (٢) قد عزل بناته (٣) لولد جعفر بن أبي طالب ، فلقبه عمر فقال : يا أبا الحسن ، أنكحني ابنتك أم كلثوم ابنة فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، قال : قد حبستها لابن جعفر ! قال إنه والله ما على الأرض أحد يرضيك من صحبتها بما أرضيك به ، فأنكحني يا أبا الحسن . قال : قد أنكحتكها يا أمير المؤمنين ! .

فأقبل عمر فجلس في الروضة بين القبر والمنبر ، واجتمع إليه المهاجرون والأنصار ، فقال : زفوني ! قالوا بمن يا أمير المؤمنين ؟ قال : بأم كلثوم . فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كل سبب ونسب يتقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي » ! وقد تقدمت لي صُحبة ، فأحببت أن يكون لي معها سبب (٤) . فولدت له أم كلثوم زيد بن عمر ، ورقية بنت عمر ؛ وزيد بن عمر هو الذي لطم سمرّة بن جندب عند معاوية إذ تنقص (٥) عليا فيما يقال .

(١) السبب : الجبل وكل شيء يتوصل به إلى غيره .

(٢) ولد في مكة سنة ٦٠٠ م ابن عم النبي ﷺ وصهره وبطل الإسلام ، وهو من أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ .

(٣) أعدهن وخصصهن يقال : عزلهن ، وحسهن كل ذلك بمعنى واحد .

(٤) نسب يوصلني برسول الله ﷺ .

(٥) نال من قدره وعابه .

سلمان وعمر في ابنته :

أمير المؤمنين يتواضع !!

● وخطب سلمان الفارسي إلى عمر ابنته ، فوعده بها ، فشق ذلك على عبد الله بن عمر ، فلقي عَمْرُو بن العاص فشكا ذلك إليه ، فقال له : فأكفيكه (١) فلقي سلمان ، فقال له : هنيئا لك يا أبا عبد الله ، أمير المؤمنين يتواضع لله عز وجل في تزويجك ابنته ! فغضب سلمان وقال : والله لا تزوجت إليه أبداً ! .

زواج بلال وأخيه :

أنا بلال وهذا أخى قد منَّ الله علينا !

● وخرج بلال بن رباح مؤذن رسول الله ﷺ مع أخيه إلى قوم من بني ليث ، يخطب إليهم لنفسه ولأخيه ، فقال : أنا بلال ، وهذا أخى .. كنا ضالِّين ؛ فهدانا الله ، وكنا عبيدين فأعتقنا الله ، وكنا فقيرين فأغنانا الله ؛ فإن تُزَوِّجونا ؛ فالحمد لله ؛ وإن تُرَدُّونا فالمُسْتَعَانُ الله ! .

قالوا : نعم وكرامة (٢) ! فزوجوهما .

★ ★ ★

(١) أكفيكه : أتولى بدلا منك صرفه بطريقتي الخاصة .

(٢) نعم وكرامة :الكرامة الغزاة .

زواج عثمان من نائلة :

مؤهلات ... ومواصفات !

● قالت تماضر امرأة عبد الرحمن بن عوف لعُثمان بن عفان (١) : هل لك في ابنة عم لي بكر جميلة ، ممتلئة الخلق ، أسيلة الخد (٢) ، أصيلة الرأى تزوجها ؟ قال : نعم ، فذكرت له « نائلة بنت الفرافصة الكلبية » فتزوجها وهي نصرانية ، فتحنفت (٣) ، وحملت إليه من بلاد كلب ، فلما دخلت عليه ، قال لها : لعلك تكرهين ما ترين من شيبى ؟ قالت : والله يا أمير المؤمنين ، إني من نسوة أحبُّ أزواجهنَّ إليهن الكهل ! قال : إني قد جُزْتُ (٤) الكهول ، وأنا شيخ ! . قالت : أذهبت شبابك مع رسول الله ﷺ في خير ما ذهب فيه الأعمار ! قال : أتقومين إلينا أم تقوم إليك ؟ قالت : ما قطعت إليك من أرض السماوة وأريد أن أنثنى إلى عرض البيت ! وقامت إليه . فقال لها : أنزعي ثيابك . فنزعها ؛ فقال : حلّى مرطك (٥) . قالت : أنت وذاك .

● قال الحسن : فلم تزل نائلة عند عثمان حتى قتل ؛ فلما دُخل إليه ، وقته بيدها ، فجذمت أناملها (٦) ، فأرسل إليها معاوية بعد ذلك يخطبها ، فأرسلت إليه ما ترجو من امرأة جذماء ! .

● وقيل : إنها قالت لما قتل عثمان : إني رأيت الحزن يبلى كما يبلى الثوب ، وقد خشيت أن يبلى حزن عثمان من قلبي ! فدعت بفهر (٧) فهتمت فاهها ! وقالت : والله لا أقعد أحد منى مقعد عثمان أبدا !! .

- (١) ثالث الخلفاء الراشدين ، سمي ذا النورين لزوجته بابتى النبي ﷺ .
- (٢) أسيلة الخد : أى لينة الخد مع طوله ، وكل مسترسل فهو أسيل .
- (٣) تحنفت اعتزل عبادته ومال عنها ، والحنيف الصحيح الميل إلى الإسلام الثابت عليه .
- (٤) أى تعديت سن الكهولة ، وسن الكهولة بين الثلاثين والخمسين تقريبا .
- (٥) المرط : كل ثوب غير مخطط ، كساء من صوف ونحوه يؤتزر به .
- (٦) جذمت : قطعت ، وامرأة جذماء مقطوعة اليد أو الأنامل .
- (٧) الفهر بكسر الفاء : الحجر قدر ما يدق به الجوز أو ما يملأ الكف ويؤنث وجمعه أفهار .

فاطمة بنت الحسين بن علي وابن عمرو

كفّى عن وجهك ؛ فإن لنا به حاجة !!

● وكانت فاطمة بنت الحسين بن علي عند حسن بن حسن بن علي ، فلما احتضر (١) قال لبعض أهله : كأني بعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان إذا سمع بموتى قد جاء يتهادى في إزار له موردٍ قد أسبله ، فيقول : جئت أشهد ابن عمى ، وليس يريد إلا النظر إلى فاطمة ، فإذا جاء فلا يدخلن ! .

قال : فو الله ما هو إلا أن أغمضوه ، فجاء عبد الله بن عمرو في تلك الصفة التي وصفها ، فمنع ساعة ، فقال بعض القوم : لا يدخل وقال بعضهم : افتحوا له ؛ فإن مثله لا يُرَدُّ . ففتحوا له ، ودخل ؛ فلما صرنا إلى القبر قامت عليه تبكى ، ثم اطلعت إلى القبر فجعلت تصك وجهها بيديها حاسرة (٢) ؛ قال : فدعا عبد الله بن عمرو وصيفا له فقال : انطلق إلى هذه المرأة وقل لها : يقرئك ابن عمك السلام ويقول لك : كفّى عن وجهك ، فإن لنا به حاجة ! فلما بلغها الرسالة أرسلت يديها فأدخلتهما في كميتها حتى انصرف الناس .

فتزوجها عبد الله بن عمرو بعد ذلك ، فولدت له محمد بن عبد الله ؛ وكان يسمى المُدَّهَب ، لجماله ؛ وكانت ولدت من حسن بن حسن ، عبد الله بن حسن الذى حارب أبو جعفر ولديه إبراهيم ومحمداً ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن حتى قتلها .

(١) احتضر : حضرته الوفاة .

(٢) تصك وجهها : تضربه ، وفي القرآن : ﴿ فصكت وجهها ﴾ وحاسرة : مكشوفة الوجه والانحسار : الانكشاف .

محمد بن عبد الله بن عمرو :

كرم الأصل وشرف النسب

● وعن سلمة بن محارب قال : ما رأيت قرشياً قط كان أكمل ولا أجمل من محمد بن عبد الله بن عمرو الذي ولدته فاطمة بنت الحسين .
وكانت له ابنة ولدها رسول الله ﷺ وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وطلحة ، والزبير (١) : كانت أمها خديجة بنت عثمان بن عروة بن الزبير ، وأم عروة أسماء بنت أبي بكر الصديق ، وأم محمد فاطمة بنت رسول ﷺ ، وأم فاطمة بنت الحسين أم إسحق بنت طلحة بن عبيد الله ، وأم عبد الله بن عمرو بن عثمان سودة بنت عمر بن الخطاب .

شرح والشعبي في نساء تميم (٢) :

خير زوجة !

● وعن الهيثم بن عدى الطائي قال : حدثنا مجالد عن الشعبي قال : قال لي أشريح : يا شعبي ، عليك بنساء بني تميم ؛ فإني رأيت لهن عقولاً ، قال : وما رأيت من عقولهن ؟ قال : أقبلتُ من جنازةً ظهراً فمررت ببؤرهم ؛ فإذا أنا بعجوز على باب دار وإلى جنبها جارية كأحسن ما رأيت من الجوارى ، فعدلت ، فاستسقيت وما بي عطش ، فقالت : أى الشراب أحبُّ

(١) أى كانت من نسلهم ، وسلالتهم ، واجتمع لها هذا الحسب والنسب ؛ فهى تنتمى إليهم وتنتسب ، كما هو مبين بعد .

(٢) تميم : قبيلة عربية أنجبت فحول شعراء الجاهلية ولغتها حجة بين لغات القبائل . والشعبي أبو عامر بن شراحيل تابعى محدث . كان مستشار الخلفاء ، وهو علامة الكوفة . روى عن على وأبى هريرة وعائشة . ومن تلاميذه أبو حنيفة .

إليك ؟ فقلت : ما تيسر . قالت : ويحك يا جارية ! ائتيه بلبن ؛ فإنى أظن
الرجل غريباً ! قلت : من هذه الجارية ؟ قالت : هذه زينب ابنة جرير ،
إحدى نساء حنظلة .

قلت : فارغة أم مشغولة ؟ قالت : بل فارغة . قلت : زوّجنيها .

قالت : إن كنت لها كفوفاً ، ولم تقل كفوفاً ، وهي لغة تميم - فمضيت
إلى المنزل فذهبت لأقبل ، فامتعت منى القائلة ، فلما صليت الظهر أخذت
بأيدي إخواني من القراء الأشراف : علقمة ، والأسود ، والمسيب ، وموسى
ابن عرفة ، ومضيت أريد عمها ، فاستقبل فقال : يا أبا أمية ، حاجتك ؟
قلت : زينب بنت أخيك . قال : ما بها رغبة عنك (١) ! فأنكحنيها ،
فلما صارت في حبالي ندمت ، وقلت : أى شيء صنعتُ بنساء بنى تميم ؟
وذكرت غلظ قلوبهن ، فقلت أطلقها ! ثم قلت : لا ، ولكن أضمها إلى ، فإن
رأيت ما أحب وإلا كان كذلك . فلو رأيتنى يا شعبي وقد أقبل نساؤهم
يهدينها حتى أدخلت على ، فقلت : إن من السنة إذا دخلت المرأة على زوجها
أن يقوم فيصلى ركعتين ، فيسأل الله من خيرها ، ويعوذ من شرها ، فصليت
وسلمت ، فإذا هى من خلفى تصلى بصلاقي ، فلما قضيت صلاقي أتتني
جواريتها ، فأخذت ثيابي ، وألبسنني ملحفة قد صبغت في عكر العصفور .

فلما خلا البيت دنوت منها ، فمددت يدي إلى ناحيتها ، فقالت : على
رسلك (٢) أبا أمية ! كما أنت ! ثم قالت : الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، وأصلى
على محمد وآله ، إني امرأة غريبة لا علم لي بأخلاقك فيين لي ما تحب فأتيه ،
وما تكره فأزدرج عنه .. وقالت : إنه قد كان لك في قومك منكح (٣) ، وفي
قومي مثل ذلك ، ولكن إذا قضى الله أمراً كان ، وقد ملكت فاصنع ما أمرك
الله به ﴿ إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ﴾ (٤) . أقول قولي هذا وأستغفر
الله لي ولك .

(١) أى لا ترغب في غيرك ، وهي رغبة فيك .

(٢) على رسلك : أى احمد وتأن .

(٣) أى تزوجت من قومك قبل .

(٤) البقرة : ٢٢٩ .

... قال : فأحوجتني والله يا شعبي إلى الخطبة في ذلك الموضع فقلت : الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، وأصلي على النبي وآله وأسلم ، وبعد ، فإنك قد قلت كلاما إن تثبتى عليه يكن ذلك حَظْكَ ، وإن تدعيه يكن حجراً عليك ؛ أحب كذا ، وأكره كذا ، ونحن جميع فلا تفرق ، وما رأيت من حسنة فانشرها ، وما رأيت من سيئة فاستر بها .

وقالت شيئا لم أذكره : كيف محبتك لزيارة الأهل ؟ قلت : ما أحبُّ أن يَمَلَّنِي أصهارى . قالت فمن تحب من جيرائك أن يدخل دارك آذن لهم ، ومن تكرهه أكرهه ؟ قلت : بنو فلان قوم صالحون وبنو فلان قوم سوء .

قال : فبت يا شعبي بأنعم ليلة ، ومكثت معي حولا لا أرى إلا ما أحب ، فلما كان رأسُ الحول (١) جئت من مجلس القضاء ؛ فإذا بعجوز تأمر وتنهى في الدار ! فقلت : من هذه ؟ قالوا : فلانة خنتك (٢) ، فسرى عني ما كنت أجد ، فلما جلست ، أقبلت العجوز فقالت : السلام عليك أبا أمية . قلت : وعَلَيْكَ السلام ، من أنت ؟ قالت : أنا فلانة خنتك . قلت : قربك الله . قالت : كيف رأيت زوجتك ؟ قلت : خير زوجة . فقالت لي : أبا أمية ، إن المرأة لا تكون أسوأ منها في حالتين : إذا ولدت غلاما ، أو حظيت عند زوجها ؛ فإن رابك ريب فعليك بالسوط ، فو الله ما حاز الرجال في بيوتهم شرا من المرأة المدللة . قلت : أما والله لقد أدبت فأحسنت الأدب ، ورُضْتُ فأحسنت الرياضة . قالت : تحب أن يزورك ختائك ؟ قلت : متى شاءوا . قال : فكانت تأتيني في رأس كل حول توصيني تلك الوصية .

فمكثت معي عشرين سنة لم أعتب عليها في شيء إلا مرة واحدة ، وكنت لها ظالما : أخذ المؤذن في الإقامة بعد ما صليت ركعتي الفجر ، وكنت

(١) آخر العام : وسمى العام حولا ؛ لأنه يضم فصولا أربعة ، يتحول فيها الجو من حال إلى حال .

(٢) ختن الإنسان : أصهاره وكل ما كان من قبل المرأة كأبيها وأخيها ، وكذلك زوج البنت ، وزوج الأخت وأم الزوجة كما هنا .

إمام الحنبي ، فإذا بعقرب تدب ، فأخذت الإناء فأكفأته عليها .

ثم قلت : يا زينب ، لا تتحركي حتى آتي ! فلو شهدتني يا شعبي وقد صليت ورجعت فإذا أنا بالعقرب قد ضربتها ، فدعوت بالسكت والملح ، فجعلت أمغث (١) أصبعها ، وأقرأ عليها بالحمد والمُعَوِّذَتَيْن .

● وكان لي جار من كندة يُفَزِّعُ امرأته ويضربها :

فقلت في ذلك :

كُتِمَ زَعَمْتُمْ أَنَّهَا ظَلَمْتُمْ كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ بَلَّ تَظْلِمُونَهَا
فَإِنْ لَا تَعُدُّوا أُمَّهَا مِنْ نَسَائِكُمْ فَإِنْ أَبَاهَا وَالِدٌ لَنْ يَشِينَهَا
وَإِنَّ لَهَا أَعْمَامَ صَدِيقٍ وَإِخْوَةَ وَشَيْخًا إِذَا شِئْتُمْ تَأَيَّمُ دُونَهَا (٢)

قالت النوار : فإذا لانشاء ! .

لمعاذ بن جبل :

فتنة الضراء وفتنة السراء ! *

● وعن رجاء بن حيوة عن معاذ بن جبل قال : إنكم ابتليتم بفتنة الضراء فصبوتم ، وإني أخاف عليكم من فتنة السراء : وهي النساء ، إذا تحلين بالذهب ، ولبسَ رِيْطَ الشام (٣) ، وعصب اليمن ، فأتعبن الغنى ، وكلفن الفقير ما لا يطاق .

● وقال عبد الملك بن مروان : من أراد أن يتخذ جارية للمتعة ليتخذها ببربرية ، ومن أرادها للولد فليتخذها فارسية ، ومن أراد للخدمة ليتخذها رومية .

(١) أمغث إصبعها : المَثُ المرت ، والضرب الخفيف و ذلك .

(٢) تأيم : مكث زمانا لا يتزوج .

(٣) رِيْط : جمع رِبْطَة ، وهي الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ونسيجا واحداً .

لابن هبيرة :

مواصفات !

● عن أبي الحسن المدائني قال : قال يزيد بن عمر بن هبيرة : اشتروا لي جارية شقاء ، مقاء ، رسحاء ، بعيدة ما بين المنكين ، ممسوحة الفخذين (١) .

● وقال الأصمعي - وذكر النساء - بنات العم أصبر ، والغرائب أنجب ، وما ضرب رعوس الأبطال كابن الأعجمية .

★ ★ ★

يونس ومستشير له في الزواج :

إياك أن تقع في قوم قد أصابوا كثيرا من الدنيا مع دناءة فيهم !!

● أبو حاتم الأصمعي عن يونس بن مصعب عن عثمان بن إبراهيم بن محمد قال : أتاني رجل من قريش يستشيرني في امرأة يتزوجها فقلت : يا بن أخي ، إني أعرف في العين إذا عرفت ، وأنكر فيها إذا أنكرت ، وأعرف فيها إذا لم تعرف ولم تنكر : أما إذا عرفت فتتحوّص (٢) ، وأما إذا أنكرت فتجحّظ (٣) ، وأما إذا لم تعرف ولم تنكر فتسجو (٤) ؛ وقد رأيت عينك ساجية ؛ فالقصيرة النسب التي إذا ذكرت أباهما اكتفت به ، والطويلة النسب التي تُعرف حين تطيل في نسبتها ، فإياك أن تقع في قوم قد أصابوا كثيرا من الدنيا مع دناءة فيهم ؛ فتضيع نفسك فيهم ! .

(١) شقاء : يريد كأنها شقة جبل ، مقاء : طويلة ، رسحاء : صغيرة العجيزة أرادها للولد ؛ لأن الأرسح أفرس من العظيم العجيزة ؛ فقد قال عمر بن هبيرة لرجل : ما أنت بعظيم الرأس فتكون سيدا ولا بأرسح فتكون فارسا .

(٢) تتحوّص : الحوصُ ضيق في مؤخرة العينين أو في إحداهما ، والالتفاف حول الشيء .

(٣) تجحّظ : يقال : جحّظت عينه إذا خرجت مقلتها أو عظمت .

(٤) تسجو : تسكن . ومنه البحر والطرف الساجي ؛ وامرأة سجواء الطرف .

الوليد وعقائله (١) :

نطق من احتاج إلى نفسه وسكت من اكتفى بغيره !

- وعن العتبي قال : كان عند الوليد بن عبد الملك أربع عقائل :
لُبابة بنت عبد الله بن عباس ، وفاطمة بنت يزيد بن معاوية ، وزينب بنت سعيد بن العاص ، وأم جحش بنت عبد الرحمن بن الحارث .
فكن يجتمعن على مائدته ويفترقن فيفخرن ، فاجتمعن يوماً .
- فقالت لبابة : أما والله إنك لتسويني بهن ، وأنت تعرف فضلي عليهن ! .
- وقالت بنت سعيد بن العاص (٢) ، أما كنت أرى أن للفخر على مجازا ، وأنا ابنة ذى العمامة ؛ إذ لاعمامة غيرها ! .
- وقالت بنت عبد الرحمن بن الحارث : ما أُحِبُّ بأبي بدلاً ، ولو شئت لقلت فصدقتُ وصدقتُ ! .
- وكانت بنت يزيد بن معاوية (٣) جاريةً حديثة السن ، فلم تتكلم ، فتكلم عنها الوليد فقال :
- نطق من احتاج إلى نفسه ، وسكت من اكتفى بغيره ؛ أما والله لو شاءت لقاتل :
- أنا ابنة قادتكم في الجاهلية ، وخلفائكم في الإسلام ! فظهر الحديث حتى تُحدِّث به في مجلس ابن عباس ، فقال : الله أعلم حيث يجعل رسالته .

(١) عقائله : زوجاته . جمع عقيلة .

(٢) حاكم الكوفة والمدينة أيام معاوية ، قاد الجيوش في طبرستان وجرجان ، وتوفى في العقيق

(٣) الخليفة الثاني الأموي اشتهر بتهتكه ومجونه .

للحجاج في نسوته :

هذه ليلتى !

● الشيباني عن عوانة : قال : ذكر النساء عند الحجاج ، فقال :
عندى أربع نسوة : هند بنت المهلب ، وهند بنت أسماء بن خارجة ، وأم
الجلال بنت عبد الرحمن بن أسيد ، وأمة الرحمن بنت جرير بن عبد الله
البعلي ، فأما ليلتى عند هند بنت المهلب فليلة فتى بين فتیان ، يلعب
ويلعبون ، وأما ليلتى عند هند بنت أسماء فليلة ملك بين الملوك ، وأما ليلتى
عند أم الجلال فليلة أعرابي مع أعراب في حديثهم وأشعارهم . وأما ليلتى عند
أمة الرحمن بنت جرير فليلة عالم بين العلماء والفقهاء .

أبو الحر المخنث :

وفر الله لحيتك .. أبا الحر !

● وعن العتبي قال : حدثني رجل من أهل المدينة قال : كان بالمدينة
مخنث يدل على النساء (١) ، يقال له : أبو الحر ، وكان منقطعاً إلى ، فدلني
على غير ما امرأة أتزوجها ، فلم أرض عن واحدة منهن ، فاستقصرت
يوماً (٢) ، فقال : والله يامولاي لأدلك على امرأة لم تر مثلها قط ، فإن لم تر
كما وصفت فاحلق لحيتي ! فدلني على امرأة فتزوجتها ، فلما زفت إلى وجدتها
أكثر مما وصف ، فلما كان في السحر إذا إنسان يدق الباب ، فقلت من هذا ؟
قال : أبو الحر ، وهذا هو الحجام (٣) معه ، فقلت : قد وفر الله لحيتك
أبا الحر ، الأمر كما قلت !

★ ★ ★

(١) يقوم بترشيع النساء لمريدى الزواج (أشبه بالخاطبة في مجتمعنا) .

(٢) استقصرت : نسبت إليه التقصير .

(٣) الحجام : من سيقوم بحلق ذقنه إذا لم تحظ المرأة بالقبول . والحجامة : امتصاص الدماء

بالحجم . وقد كان الحجام يقوم بما يشبه عمل حلاق الصحة في القرى بحجم ، ويفصد ، ويختن ،
ويحلق !

• للرسول ﷺ في مخنث :

تقبل بأربع وتدبر بثمان !

• ابن بكير عن مالك بن هشام بن عروة عن أبيه : أن مخنثا كان عند أم سلمة زوج النبي ﷺ ، فقال لعبد الله بن أبي أمية ورسول الله ﷺ : يسمع : أبا عبد الله ، إن فتح الله لكم الطائف غدا فأنا أدلك على بنت غيلان ، فإنها تقبل بأربع ، وتدبر بثمان ! (١) .

فقال رسول الله ﷺ : « لا يدخل عليكن هؤلاء » .

رجل من أهل الكوفة وابنة عمه :

الله أجل في قلبي وأعظم !!

• وضرب البعث (٢) على رجل من أهل الكوفة ، فخرج إلى أذربيجان ، فاقتاد جارية وفرسا ، وكان مملكا بابنة عمه ، فكتب إليها ليغيرها :
ألا أبلغوا أم البنين بأننا غنينا وأغننتنا الغطارفة المرد (٣)
بعيد مناسط المنكيين إذا جرى وبيضاء كالتمثال زينها العقْدُ
فهذا لأيام العدو وهذه حاجة نفسى حين ينصرف الجنْدُ

(١) تقبل بأربع وتدبر بثمان ، يريد عكن البطن ، أنها إذا أقبلت أربع ، وإذا أدبرت ثمان . والعكن ما انطوى وتثنى من لحم البطن . يقصد : أنها سمينة ممتلئة .

(٢) بعثه : أرسله ، والبعث : الجيش .

(٣) الغطارفة : جمع غطريف وهو السيد الشريف ، والمرد : جمع أمرد .. وهو من لا شعر

في ذقنه .

فلما ورد كتابه قرأته وقالت : يا غلام ، هات الدواء ، فكتبت إليه
تحييه :

ألا أقره السلام وقل له غنيا - ففيقوا - بالخطارفة المرد
بمحمد أمير المؤمنين أقرهم شباباً - وأغرام - حوالم في الجند
إذا شئت غناني غلام مُرَجَّلٍ ونازعته من ماء مُعْتَصِرِ الورد
وإن شاء منهم ناشيء مَدَكْفَه إلى كبدٍ ملساء أو كفل نَهْدٍ
فما كنتم تقضون من حاج أهلکم شهوراً قضيناها على النأى والبُعْد (١)

فلما ورد كتابها ، لم يزد على أن ركب فرسه ، وأردف الجارية ، وألحق
بها ، فكان أول شيء بدأ لها به السلام أن قال :

بالله هل كنت فاعلة ؟ .

قالت : الله أجلُّ في قلبي وأعظم ، وأنت في عيني أذلُّ وأحقر من أن
أعصى الله فيك (٢) ! فكيف ذقت طعم الغيرة؟! .
فوهب لها الجارية وانصرف إلى بعته .

★ ★ ★

(١) لقد أثار غيرتها بجاريتها ، فأثارته هي الأخرى - كلاماً - بغلام مُرَجَّلٍ الشعر إذا شئت
مكنته مما أحله الله للزوج ! .

(٢) لقد بلغت قمة مراقبة الله عندما قالت : الله أجلُّ في قلبي وأعظم ! وأعطت للأزواج الذين
لا يصونون حق الزوجية درساً يلفتهم إلى ما ينبغي اتباعه مع أم الأولاد ، وما أجمل قولها : وأنت في عيني
أذلُّ وأحقر من أن أعصى الله فيك ، فكيف ذقت طعم الغيرة؟! .. وهكذا يعود الزوج إلى نفسه بعد هذا
الدرس ويهب الجارية لزوجته .

• معاوية وابن صوحان :

(أ) أئى النساء أشهى إليك !؟

... وقال معاوية (١) لصعصعة (٢) بن صوحان : أئى النساء أشهى إليك ؟ .

قال : المواتية لك فيما تهوى (٣) .

قال : فأين أبغض إليك ؟ .

قال : أبعدهن مما ترضى .

قال : هذا النقد العاجل ! .

فقال صعصعة : بالميزان العادل ! .

(ب) إنهن يغلبن الكرام ويغلبن اللثام !!

وقال صعصعة لمعاوية : يا أمير المؤمنين ، كيف ننسبك إلى العقل ، وقد غلب عليك نصف إنسان !؟ . يريد غلبة امرأته فاختت بنت قرظة عليه ، فقال معاوية :

إِنَّهُنَّ يَغْلِبْنَ الْكِرَامَ ، وَيَغْلِبْنَ اللَّثَامَ .

(١) هو ابن أئى سفيان ، كان واليا على دمشق زمن الخليفتين : عمر وعثمان . وهو مؤسس الدولة الأموية سنة ٦٨٣ هـ .

(٢) من المشاهير فى معرفة أنساب العرب .

(٣) التى تكون كما يهوى الإنسان ، وتحقق له ما يأمله فى المرأة .

• جرير البجلي وابن الخطاب :

إن بين جوانحك لعلماً

وعن سفيان بن عُيينة قال :

• شكّا جرير بن عبد الله البجلي إلى عمر بن الخطاب ما يلقي من النساء ، فقال : لا عليك (١) ؛ فإن التي عندي ربما خرجت من عندها فتقول : إنما تريد أن تتصنع لقيان (٢) بنى عدى .

فسمع كلامهما ابن مسعود فقال :

لا عليكما ؛ فإن إبراهيم الخليل شكّا إلى ربه رداءة في خلق سارة ، فأوحى الله إليه : أن البسها على لباسها ما لم تر في دينها وصمة (٣) .

فقال عمر : إن بين جوانحك لعلماً ! .

الحجاج (٤) وابن القرية :

بم يكمل جمال المرأة !؟

• .. وكتب الحجاج إلى ابن القرية : أن اخطب على عبد الملك بن الحجاج امرأة جميلة من بعيد ، مليحة من قريب ، شريفة في قومها ، ذليلة في نفسها ، موالية لبعْلِها .

(١) لا حرج عليك ولا بأس .

(٢) القيان جمع قينة ، وهى الجارية ، معنّية أو غير مغنية .

(٣) وصمة : عيب ونقص ، وانحراف ، وعلى الإنسان أن يتقبل من زوجته ما لا يرضيه منها ، فإن كره منها شيئاً أحب آخر ، إلا إذا كان ما يعيبه منها متعلقاً بالدين .

(٤) الحجاج بن يوسف أحد ولاة الأمويين على الحجاز ، وعند ثورة مصعب بن الزبير رمى الكعبة بالمنجنيق . ثم تولى على العراق فأخمد الفتن بقوة . ويعد من أكبر طغاة الولاة .

فكتب إليه : قد أصبْتُها لولا عظم ثديها ! .
فكتب إليه لا يكمل حسن المرأة حتى يعظم ثديها ؛ فتدفىء الضجيع ،
وتروى الرضيع ! .

أبو العباس وابن صفوان :

أعجب النساء

● وقال أبو العباس أمير المؤمنين لخالد بن صفوان : يا خالد ، إن الناس
قد أكثروا في النساء (١) ، فأيهن أعجب إليك ؟ .

قال : أعجبهن يا أمير المؤمنين التي ليست بالضرع الصغير ولا الفانية
الكبير ، وحسبك من جمالها أن تكون فخمة من بعيد ، مليحة من قريب ،
أعلاها قضيب ، وأسفلها كثيب ، كانت في نعمة ، ثم أصابتها فاقة ، فأترفها
الغنى ، وأدبها الفقر .

ابن صفوان وامرأة :

أريدها بكرة كثيب ، أو ثيبا كبر !

● .. ونظر خالد بن صفوان إلى جماعة في المسجد بالبصرة ، فقال :
ما هذه الجماعة ؟ .

قالوا : على امرأة تُدُلُّ على النساء فأتاها ؛ فقال لها : ابغنى امرأة .

(١) قالوا الكثير فيهن .

قالت : صفها لى .

قال : أريدها بكرا كثيب ، أو ثيبا كبكر ، حلوة من قريب ، فخمة من بعيد ، كانت فى نعمة ، فأصابها فاقة ، فمعها أدب النعمة ، وذل الحاجة ، فإذا اجتمعنا كنا أهل دنيا ، وإذا افترقنا كنا أهل آخرة .

قالت : لقد أصبتها لك .

قال : وأين هى ؟ .

فى الرفيق الأعلى من الجنة فاعمل لها (١) .

لأعرابى فى النساء :

أفضل النساء ..

● وسئل أعرابى فى النساء ، وكان ذا تجربة وعلم بهنّ ؛ فقال : أفضل النساء أطولهن إذا قامت ، وأعظمن إذا قعدت ، وأصدقهن إذا قالت ؛ التى إذا غضبت حلت ، وإذا ضحكت تبسمت ، وإذا صنعت شيئا جودت ؛ التى تطيع زوجها ، وتلزم بيتها ، العزيزة فى قومها ، الذليلة فى نفسها ، الودود الولود ، وكلّ أمرها محمود .

غطفانى وعبد الملك :

أحسن النساء

● وقال عبد الملك بن مروان لرجل من غطفان : صف لى أحسن

(١) هذه المثالية لا وجود لها إلا فى الجنة من بين الحور العين ، فعليه أن يستعد بالعمل الصالح حتى تكون من نصيبه .

النساء . قال : خذها يا أمير المؤمنين ملساء القدمين ، رَدْمَاءُ الكعبيين (١) ، مملوءة الساقين ، جَمَاءُ الركبتين (٢) ، لَفَاءُ الفخذين ، مقرمذة الرُّفغين (٣) ، ناعمة الأليتين (٤) ، منيفة المأكمتين (٥) ، فعمة (٦) العضدين ، فخممة الذراعين ، رَخْصَةٌ (٧) الكفين ، ناهدة الثديين ، حمراء الخدين ، كحلاء العينين ، زَجَاءُ (٨) الحاجبين ، لمياء الشفتين (٩) ، بلجاء الجبين (١٠) ، شماء العينين (١١) ، شبناء (١٢) الشعر ، حالكة الشَّعر ، غيداء العنق (١٣) ، عيناء العينين (١٤) مكسرة البطن ، نائمة الركب .

فقال : ويحك ! وأنتى توجد هذه ؟ .

قال : تجدها في خالص العرب ، أو في خالص الفرس .

- (١) أى ليس بهما شقوق .
(٢) الشاة الجَمَاءُ التى لا قرن لها ، ويقصد أن ركبتها غير بارزتين وليس عظمهما ناتما .
(٣) الرفع كما قال ابن السكيت هو : أصل الفخذ وهو بضم الراء مثل قفل وأقفال لغة أهل الحجاز ويفتحها لغة تميم والجمع رفوغ وأرفع مثل : فُلْس وفلوس وأفلس . وثوب مقرمذ بالطيب والزعفران أى مطلى به .
(٤) الألية : ألية الشاه وهى مفتوحة الهزمة ، ولا يقال : لية والجمع أليات وامرأة عجزاء قال ثعلب : والقياس أليانة .
(٥) المأكْمُ والمأكمةُ وتكسر كافها : لحمة على راس الورك وهما اثنتان أو لحمتان وصلتا بين العجز والمنتين ويقصد أنها عظيمة المأكمتين .
(٦) فعم الساعد والإناء : امتلأ . وفعمت المرأة : استوى خلقها ، وغلظ ساقها فهى فعمة .
(٧) ناعمة الكفين لينتهما .
(٨) إذا راق حاجب المرأة فى طول فهى زَجَاءُ والحاجب أَرْجَج والتزجيج حف ما حول الحاجبين من الشعر وإطالتهما بالإتمد .
(٩) اللَّمَى : سواد بالشفة . والتلمية خضاب الشفاه بالإتمد حتى تحكى اللمى الطبيعي .
(١٠) تبلع الصبح أشرق وأنار . والبلع تباعد ونقاوة ما بين الحاجبين ويقصد أن فى جبينها إشراقاً ونوراً .
(١١) العينين الأنف وشماء عالية ويقصد أن فيها عزة وامرأة شماء عالية الأنف .
(١٢) الشنب : بياض الأسنان وحسنها .
(١٣) القيد : ميل العنق ولين الأعطاف والغادة المرأة اللينة البيينة الغيد .
(١٤) عيناء العينين : حسنة العينين ، ومنه الحور العين .

أقوال في هذا المجال :

١ - قال رجل لمخاطب : ابغنى امرأة لا تؤنس جاراً ، ولا توهن داراً ، ولا تثقب ناراً .

يريد : لا تدخل على الجيران ، ولا يدخل عليها الجيران ، ولا تغرى بينهم بالشر .

٢ - وفي نحو هذا يقول الشاعر :

من الأوانس مثل الشمس لم يرها
في ساحة الدار لا بعل ولا جار .

٣ - وقال الأعشى :

لم تمش ميلاً ولم تركب على جميل ولا ترى الشمس إلا دونها الكليل (١)

٤ - وقال آخر :

ابغنى امرأة بيضاء مديدة ، فرعاء (٢) جعدة ، تقوم فلا يصيب قميصها
منها إلا مشاشة (٣) منكيبها ، وحلمتى نديها ، ورائفتى (٤) أليتها .

٥ - وقال الشاعر :

أبت الروادف والثدى لقمصها مس البطون وأن تمس ظهوراً
وإذا الرياح مع العشى تناوحت نهن حاسدة وهجن غيوراً

٦ - ولآخر :

(١) الكليل : جمع كيلة . ما يشبه الستائر ونحوها مما يكون فوق الأسرة ونسبها نحن المصريين (الناموسية) .

(٢) فرعاء : تامة الشعر . وجعد الشعر بضم العين وكسرهما إذا كان فيه النواء وتقبط خلاف المسترسل ، شعرها «مؤجج» .

(٣) المشاشة بالضم : رأس العظم الممكن المضغ .

(٤) الرانفة : أسفل الألية إذا كنت قائماً .

إذا انبطحت فوق الأثافي^(١) رفعها

بشدين في نحر عريض وكعنب

٧ - ونظر عمران بن حطان إلى امرأته وكانت من أجل النساء وكان

من أقبح الرجال فقال :

إني وإياك في الجنة إن شاء الله ! .

قالت له : كيف ذاك ؟ .

قال : إني أعطيت مثلك فشكرت ، وأعطيت مثلي فصيرت ! .

من أخبار عائشة بنت طلحة :

صان الله ذلك الوجه

١ - ونظر أبو هريرة إلى عائشة بنت طلحة فقال : سبحان الله -

ما أحسن ما غذاك أهلك ، والله ما رأيت وجهها أحسن منك إلا وجه معاوية
على منبر رسول الله ﷺ .

وكان معاوية من أحسن الناس وجهها .

٢ - ونظر ابن أبي ذؤيب إلى عائشة بنت طلحة تطوف بالبيت ، فقال

لها : من أنت ؟ .

فقالت :

من اللاء لم يحججن يبعين حسبة^(٢) ولكن ليقتلن البريء المغفلا

فقال لها : صان الله ذلك الوجه عن النار ! .

فقيل له : أفتنتك أبا عبد الله ؟ .

(١) الأثافي : جمع أثفة بالضم ويكسر الحجر يوضع عليه القدر . والكعنب : الركب الضخم .

زعم أنها إذا بطحت على وجهها لم تمس الأرض بشيء من سائر جسدها إلا نهود ثديها ، وعظم ركبها
فصارت لبدنها كأنافي القدر .

(٢) الحسبة بكسر الحاء : احتساب الأجر على الله وادخاره عنده لا يرجو ثواب الدنيا واللاء ،

واللاقي بمعنى واحد .

قال : لا ؛ ولكن الحسن مرحوم .

٣ - وقال يونس : أخبرني محمد بن إسحق قال : دخلتُ عليَّ عائشة بنت طلحة فوجدتها متكئة ، ولو أن بختية (١) نocht خلفها ما ظهرت .

٤ - السرى بن إسماعيل عن الشعبي قال : إني لفي المسجد نصف النهار إذ سمعت باب القصر يفتح ؛ فإذا بمصعب بن الزبير ومعه جماعة فقال : يا شعبي اتبعني . فاتبعته ؛ فأقَى دار موسى بن طلحة ، فدخل مقصورة ، ثم دخل أخرى ، ثم قال : يا شعبي اتبعني ، فإذا امرأة جالسة عليها من الخلى والجواهر ، ما لم أر مثله ، ولهي أحسن من الخلى الذي عليها .
فقال : يا شعبي ، هذه ليلى التي يقول فيها الشاعر :

ومازلت من ليلى لُدُن طرَّ (٢) شاربي
إلى اليوم أخفى حُبَّها وأدأجنُ (٣)
وأحمل في ليلى لقوم ضغينة
وتُحمَلُ في ليلى على الضغائن (٤)

هذه عائشة ابنة طلحة ، فقالت له : أما إذ جلوتني عليه فأحسن إليه !
فقال : يا شعبي ، رُج العشية إلى المسجد ، فرحت ، فقال :
يا شعبي ، ما ينبغي لمن جليت عليه عائشة بنت طلحة أن ينقص عن عشرة آلاف فأمر لي بها ، وبكسوة ، وقارورة غالية ، فقيل للشعبي في ذلك اليوم :
كيف الحال ؟!

قال : وكيف حال من صدَّر عن الأمير ببدر (٥) ، وكسوة ، وقارورة غالية (٦) ، ورؤية وجه عائشة بنت طلحة !

(١) البُحْتُ : نوع من الأبل . والواحدة بختية ، ونocht . أناخت : بركت يقصد ضخامتها .
(٢) لُدُن طرَّ شاربي : لندن ظرف مكان بمعنى عند وقد يستعمل في الزمان ، وطرَّ شاربه نبت ، ويقصد منذ بلوغه .
(٣) داجنة مداجنة : داهنة ، وخاتله .
(٤) أعادى في حبا وأعادى من أجلها .
(٥) البُدرة : عشرة آلاف درهم ، والكمية العظيمة من المال ، والكيس الموضوعه فيه .
(٦) الغالية : أخلاط من العطور والروائح ذات الشذى الفواح .

أحسن ما وصفه واصف بنظم أو شعر :

زواج عمرو بن حُجر من بنت عوف

ما وراءك يا عصام !؟

وكان عمرو بن حُجر ملك كندة - وهو جد امرئ القيس - أراد أن يتزوج ابنة عوف بن مُحَلِّم الشيباني الذي يقال فيه : « لا حُرَّ بوادي عوف » ؛ لإفراط عزه ، وهى أم إياس ، وكانت ذات جمال وكال ؛ فوجه إليها امرأة يقال لها : « عصام » لتنظر إليها وتمتحن ما بلغه عنها .

فدخلت على أمها أمامة بنت الحرث ، فأعلمتها ما قدمت له ؛ فأرسلت إلى ابنتها ... ؛ فقالت : أى بُنيَّة ، هذه خالتك أتت إليك لتنظر إلى بعض شأنك ، فلا تسترى عنها شيئا أرادت النظر إليه : من وجه ، وخلق ، وناطقها فيما استنطقتك فيه . فدخلت « عصام » عليها ، فنظرت إلى ما لم تر عينها مثله ، قطُّ بهجة وحسنا وجمالا ، وإذا هى أكمل الناس عقلا ، وأفصحهم لسانا ، فخرجت من عندها وهى تقول :

« ترك الخِدَاعَ من كشف القناع » . فذهبت مثلا .

ثم أقبلت إلى الحارث فقال لها : « ما وراءك يا عصام » ؟ . فأرسلها مثلا .

قالت : « صرح المِحْضُ عن الزبد (١) » . فذهبت مثلا . قال : أخبريني .

قالت : أخبرك حقا وصدقا :

(١) مثل يقال للأمر إذا انكشف وتبين . والمِحْضُ : الوعاء الذى يضرب ويحرك فيه اللبن حتى يخرج منه الزبد ، والمراد أنها فضحت ، واستوت .

رأيت جبهة كالمراة الصقيلة ، يزينها شعر حالك كأذئاب الخيل (١)
المضفورة إن أرسلته (٢) خلته السلاسل ، وإن مشطته قلت عنا قيد كرم جلاها
الوايل (٣) ، ومع ذلك حاجبان كأنهما حُطاً بقلم ، أو سوّداً بحمم (٤) ، قد
تقوسا على مثل عين العبرة (٥) ، التي لم يُرُعها قانص ، ولم يُذرها قسورة ،
بينهما أنف كحد السيف المصقول ، لم يخنس به قصر ، ولم يُمعن به طول ،
حفت به وجنتان كالأرجوان ، في بياض محض كالجُمان ، شقّ فيه فم
كالخاتم ، لذيد المتسم ، فيه ثنانيا غر ذوات أشر ، وأسنان كالدر ، وريق
كالخمر ، له نشر الروض بالسجر ، ينقلب فيه لسان ذو فصاحة وبيان ...
يقلبه به عقل وافر ، وجواب حاضر ، تلتقى دونه شفتان حمراوان كالورد
يجلبان ريقا كالشهد ، تحت ذاك عنق كإبريق الفضة ، رُكّب في صدر تمثال
دُمية ، يتصل به عضدان ممتلئان لحما ، مكتئزان شحما ، وذراعان ليس فيهما
عظم يحس ، ولا عرق يُجس ، ركبت فيهما كفان دقيق قصبيهما ، لين
عصبيهما ، تعقد إن شئت منهما الأنامل ، وتركّب الفصوص في حفر
المفاصل ، وقد تربع في صدرها حقان كأنهما رمانتان .. يخرقان عليها ثيابها ،
من تحته بطن طوى كطى الطباطبى المدججة ، كسى عكنا كالقراطيس المدرجة
تحيط تلك العكن بسرة كمدهن العاج المجلو ، خلف ذلك ظهر كالجدول ،
ينتهي إلى خصر لولا رحمة الله لا نخذل ، تحته كفل يُفَعدها إذا نهضت ،

(١) الذنب : الذيل .

(٢) تركته مرسلا دون أن تضفره .

(٣) الوايل : المطر الشديد . وتقصد لمعان شعرها وصفاءه .

(٤) الحُممة : بوزن رُطبة : ما أحرق من خشب ونحوه . والجمع بمحذف الماء ويقصد كأنما

سودا بفحم . (وتقوم أفلام الكحل في عصرنا بهذه المهمة) .

(٥) العبرة : الرقيقة البشرة الناصعة البياض والسمنية الممتلئة الجسم والجامعة للحسن في الجسم

والخلق ، وقد كان العرب يشبهون عيون المرأة بعيون المها - بقر الوحش - ويرعها : يخفها ، والقسورة

الأسد . ويخنس : يتأخر ، والخنس تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة . والجُمان :

الفضة . وغرّ : بيضاء . والأشر : تباعد ما بين الأسنان . والنشر : الرائحة العطرة .

ويُنْهَضُهَا إِذَا قَعَدَتْ (١) ، كَأَنَّهُ دِعْصُ (٢) رَمَلٍ ، لِبَدِهِ سَقُوطُ الطَّلِّ ، يَحْمَلُهُ فَخْذَانِ لِفَاوَانٍ ، كَأَنَّهُمَا نَضِيدُ الْجُمَانِ (٣) ، تَحْمَلَانِ سَاقَانِ خَدَلْجَتَانِ (٤) ، وَشَيْتَا (٥) بِشَعْرٍ أَسْوَدٍ كَأَنَّهُ حَلَقُ الزَّرْدِ (٦) ، وَيَحْمَلُ ذَلِكَ قَدَمَانِ كَحَذْوِ اللِّسَانِ ، تَبَارَكَ اللَّهُ ، مَعَ صَغَرِهِمَا كَيْفَ تَطْيِقَانِ حَمْلَ مَا فَوْقَهُمَا ، فَأَمَّا مَا سِوَى ذَلِكَ ، فَتَرَكْتُ أَنْ أَصِفَهُ غَيْرَ أَنَّهُ أَحْسَنُ مَا وَصَفَهُ وَاصِفٌ بِنَظْمٍ أَوْ شَعْرٍ .
 قَالَ : فَأَرْسَلْتُ إِلَى أَبِيهَا يَخْطُبُهَا ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمَا مَا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ فِي صَدْرِ هَذَا الْكِتَابِ .

الفرزدق وأمة له :

وقال الفرزدق في أمة الزنحية

يَأْرُبُّ خَوْدٍ مِنْ بَنَاتِ الزَّنَجِ تَنْقَلُ تَنْوَرًا شَدِيدَ الْوَهْجِ (٨)
 أَغْيَرَ مِثْلَ الْقَدَحِ الْخَلْنَجِ يَزْدَادُ طَيِّبًا بَعْدَ طَوْلِ الْهَرَجِ (٩)

يَعْلَى الْهُذَلِيِّ وَطَلْحَةُ الطَّلِحَاتِ :

أَقْدَمُ أَرْوَجِكَ ابْنَتِي وَأَصْنَعُ بِكَ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ !

● وَعَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيِّ عَنِ ابْنِ عِيَّاشٍ قَالَ : حَدَّثَنَا يَعْلَى الْهُذَلِيُّ قَالَ :

- (١) الْعَكَنُ : مَا انطوى وتنتى من لحم البطن سِمْنَا . وَالْمُدْهَنُ : آلَةُ الدَّهْنِ وَقَارُورَتُهُ وَالْجَدُولُ : النَّهْرُ الصَّغِيرُ ، وَالْكَفْلُ : الْعَجْزُ ، وَمَوْخَرَةُ الظَّهْرِ مِنَ الْمَرْأَةِ وَعَجْرَتُهَا .
- (٢) الدِعْصُ : الْكُتَيْبُ وَالْمَجْتَمَعُ مِنَ الرَّمْلِ الْمُسْتَدِيرِ .
- (٣) نَضِيدُ الْجُمَانِ : اللَّوْلُؤُ الْمَنْظُومُ ، وَالْفَضَّةُ النَّضِيدَةُ الَّتِي يَكُونُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ .
- (٤) خَدَلْجَتَانِ : مَمْلُوعَتَانِ . وَالْخَدَلْجَةُ : الْمَرْأَةُ الْمَتَلِّقَةُ الذَّرَاعِينَ وَالسَّاقِينَ .
- (٥) وَشَيْتَا : حَلِيَّتَا وَزَيْنَتَا .
- (٦) الزَّرْدُ : الدَّرْعُ الْمَزْرُودَةُ .
- (٧) هُوَ أَبُو فِرَاسٍ هَمَامِ بْنِ غَالِبِ التَّمِيمِيِّ ، أَحَدُ الشُّعْرَاءِ الْبَارِزِينَ فِي الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ .
- (٨) الْخَوْدُ : الْمَرْأَةُ الشَّابَةُ . وَالتَّنُورُ : تَجْوِيفَةُ اسْطِوَانِيَّةٍ مِنْ فَخَّارٍ تَجْعَلُ فِي الْأَرْضِ وَيَحْبِزُ فِيهَا .
- (٩) الْخَلْنَجُ : شَجَرٌ تَتَخَذُ مِنْ خَشَبِهِ الْآبِيَّةُ ، وَالْهَرَجُ الْاِخْتِلَاطُ وَهَرَجَ جَارِيَتُهُ جَامِعًا .

كنت بسجستان مع طلحة الطلحات ، فلم أر أحدا كان أسخى منه
ولا أشرق نفسا ؛ فكتب إلى عمى من البصرة : إني قد كبرت ، ومالي كثير ،
وأكره أن أوكله غيرك فأقدم أزوجه ابنتي وأصنع بك ما أنت أهله .

قال فخرجت على بغلة لى تركية فأتيت البصرة فى ثلاثين يوما ، ووافيته
فى صلاة العصر ، فوجدته قاعدا على دكانه ، فسلمت عليه فقال لى : من
أنت ؟ قلت ابن أخيك يعلى ، قال : وأين ثقلك (١) ؟ .

قلت : تعجلت إليك حين أتانى كتابك ، وطربت نحوكم . قال : يابن
أخى ، أتدرى ما قالت العرب ؟ قلت : لا . قال : قالت العرب : شر الفتيان
المفلس الطروب ! قال فقممت إلى بغلتى ، فأعددت سرجى عليها ، فما قال لى
شيئا ، ثم قال : إلى أين ؟ قلت : إلى « سجستان » . قال : فى كنف الله .

قال : فخرجت فبت فى الجسر ، ثم ذكرت أم طلحة ، فانصرفت أسأل
عنها ، حتى أتيت منزلها - وكان طلحة أبرَّ الناس بها - فقلت : رسول
طلحة ، فقالت : ائذنوا له . فدخلت ، فقالت : ويحك ! كيف أبنى ؟
قلت : على أحسن حال . قالت : فله الحمد ! وإذا بعجوز قد تحدرت ،
قالت : فما جاء بك ؟ قلت : كيت وكيت . قالت : يا جارية ائتنى بأربعة
آلاف درهم ! ثم قالت : ائت عمك فابتن بابنته ، ولك عندنا ما تحب !
قلت : لا والله لا أعود إليه أبدا ، قالت : يا جارية ، ائتنى ببغلة رحالتى . ثم
قالت : راوح (٣) بين هذه وبغلتك حتى تأتى سجستان . قلت : اكتبى
بالوصاة لى ، والحالة التى استقبلتها . فكتبت بوجعها التى كانت فيه ، وبعافية
الله إياها ، وبالوصاة لى ، فلم تدع شيئا .

ثم دفعت حتى أتيت سجستان ، فأتيت باب طلحة ، وقلت
للحاجب : رسول صفية بنت الحرث . وأنا عباس باسر (٤) ، فدخل ؛ فخرج

(١) الثقل : المتاع . وفى القرآن : ﴿ وتحمل أثقالكم ﴾ .

(٢) سجستان : إحدى الولايات الواسعة جنوبى هراة ، وبينها وهراة عشرة أيام .

(٣) راوخ بينهما : أى اركبهما على التبادل ، هذه مرة ، وتلك أخرى .

(٤) عباس باسر : عباس قطب وجهه ، وبسر الرجل وجهه كلعج ؛ يقال : عباس وبسر .

متوشحاً^(١) ، وخلفه وصيف يسعى بكرسى ، فقامت بين يديه ، فقال :
ويلك ! كيف أمي !؟ .

قلت : بأحسن حالة . قال : انظر كيف تقول ؟ قلت : هذا كتابها .

قال : فعرف الشواهد والعلامات ، قلت : اقرأ كتاب وصيتها . قال :
ويحك ! ألم تأتني بسلامتها ؟ حسبك ! فأمر لي بخمسين ألف درهم ، وقال
لحاجبه : اكتبه في خاصة أهلي ، قال فوالله ما أتى على الحول حتى تم لي مائة
ألف .

قال ابن عياش : فقلت له : هل لقيت عمك بعد ذلك ؟ قال : لا والله
ولا ألقاه أبدا .

السلاماني وقريب له :

ما كنت أظن أن امرأة تجترىء على مثل هذا الكلام !!

● وعن الهيثم بن عدى عن ابن عباس قال : أخبرني موسى
السلاماني ، مولى الحضرمي ، وكان أيسر تاجر بالبصرة ، قال : بينا أنا جالس
إذ دخل علي غلام لي فقال : هذا رجل من أهل أمك يستأذن عليك - وكانت
أمه مولاة لعبد الرحمن بن عوف - فقلت : ائذن له . فدخل شاب حلو
الوجه ، يعرف في هيئته أنه قرشي في طمرين^(٢) فقلت : من أنت يرحمك
الله ؟ .

قال : أنا عبد الحميد بن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري^(٣)
خال رسول الله ﷺ قلت : في الرحب والقرب . ثم قلت : يا غلام ، برّه
وأكرمه ، وألطفه ، وأدخله الحمام ، وأكسه قميصاً رقيقاً ، ومبطناً قوهياً ،

(١) الوشاح ينسج من أديم عريضاً ويرضع بالجواهر وتشده المرأة بين عاتقها وكشحتها ، ويقال
توشح الرجل بثوبه وسيفه .

(٢) الطمر : الثوب الخلق البالي .

(٣) عبد الرحمن بن عوف : أحد العشرة الذين بشرهم النبي بالجنة . كان في الهجرتين في الحجاز
والحبيشة ، وقاد القتال في دومة الجندل .

ورداء عمريا . وخذونا له نعلين حضرميين ، فلما نظر الشاب في عطفيه (١) ، وأعجبته نفسه ، قال : يا هذا أبغني أشرف أئيم بالبصرة أو أشرف بكر بها ! قلت : يابن أخي ، معك مال ؟ قال : أنا مال كما أنا ! .

قلت : يابن أخي ، كف عن هذا . قال : انظر ما أقول لك ! قلت : فإن أشرف أئيم بالبصرة هند ابنة أوى صُفرة . أخت عشرة ، وعمة عشرة ، وحالها في قومها حالها . وأشرف بكر بالبصرة الملاة بنت زرارة بن أوفى الجرشي قاضي البصرة . قال : اخطبها على . قلت : يا هذا ، إن أباه قاضي البصرة ! قال : انطلق بنا إليه . فانطلقنا إلى المسجد ، فتقدم . فجلس إلى القاضي ، فقال له : من أنت يابن أخي ؟ قال له : عبد الحميد بن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف خال رسول الله ﷺ . قال : مرحبا بك . ما حاجتك ؟ قال : جئت خاطبا . قال : ومن ذكرت ؟ قال : الملاة ابنتك . قال : يابن أخي ، ما بها عنك رغبة (٢) . ولكنها امرأة يُفتاتُ عليها (٣) في أمرها ، فاخطبها إلى نفسها . فقام إليّ فقلت : ما صنعت ؟ قال : قال : كذا وكذا .

قلت : ارجع بنا ولا تخطبها . قال : اذهب بنا إليها ، فدخلنا دار زرارة فإذا دار فيها مقاصير ، فاستأذنا على أمها ، فلقيتنا بمثل كلام الشيخ ثم قالت : وما هي في تلك الحجرة . قلت له : لا تأتها . قال : أليست بكرا ؟ قلت : بلى . قال : ادخل بنا إليها . فاستأذنا فأذنت لنا ، فوجدناها جالسة وعليها ثوب قوهى رقيق معصفر ، تحته سراويل يرى منها بياضُ جسدها ، ومرطٌ قد جمعته على فخذيها ، ومصحف على كرسى بين يديها فأشرجت (٤) المصحف ثم نحتة ، فسلمنا ، فردت ، ثم رحبت بنا ، ثم قالت : من أنت ؟ قال : أنا عبد الحميد بن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى خال رسول الله ﷺ !

(١) عطفاً الرجل : جانباه والجمع : أعطاف .

(٢) رغب فيه أحبه ، ورغب عنه كرهه ، وماها رغبة عنك أى غير كارهة له ، ولا رغبة لها .

في سواك .

(٣) يفتات عليها الباطل ويختلق ؛ أو يفتات عليها في أمرها لو لم نرجع إليها وننزل عند رأيها .

(٤) أشرجت المصحف أغلقته وضمت أجزاءه بعضها إلى بعض .

ومد بها صوته ، قالت : يا هذا ، إنما يمد هذا الصوت للساسانيين ! قال موسى : فدخل بعضى فى بعض ! ثم قالت : ما حاجتك ؟ قلت : جئت خاطبا . قالت : ومن ذكرت ؟ قال : ذكرتك . قالت : مرحبا بك يا أخا أهل الحجاز . ما الذى بيدك ؟ قال : لنا سهمان بخير أعطاناها رسول الله ﷺ - ومد بها صوته - وعين بمصر ، وعين باليمامة ، ومال باليمن .

قالت : يا هذا ، كل هذا عنا غائب ، ولكن ما الذى يحصل بأيدينا منك ؟ فإنى أظنك تريد أن تجعلنى كشاة عكرمة ، أتدرى من عكرمة ؟ قال : لا .

قالت : عكرمة بن ربيعى ؛ فإنه نشأ بالسواد ، ثم انتقل إلى البصرة وقد تغذى باللبن ، فقال لزوجته : اشترى لنا شاة نحتلبها ، وتصنعين لنا من لبنها شرابا وكامخا .

ففعلت وكانت عندهم الشاة إلى أن استحرمت (١) ، فقالت : يا جارية ، خذى بأذن الشاة وانطلقى بها إلى التياس ، فانزى (٢) عليها ! ففعلت ، فقال التياس : آخذ منك على النزوة درهما ! فانصرفت إلى سيدتها فأعلمتها . فقالت : إنما رأينا من يرحم ويعطى ، وأما من يرحم ويأخذ فلم نره ! .

ولكن يا أخا أهل المدينة أردت أن تجعلنى كشاة عكرمة . فلما خرجنا قلت له : ما كان أغناك عن هذا ! قال : ما كنت أظن أن امرأة تجترىء على مثل هذا الكلام ! .

ابن علفة وعبد الملك :

جنبى هجناء ولدك !

● وعن الأصمعى قال : كان عقيل بن عُلفَةَ المرى غيورا فخورا ، وكان يُصهر إليه خلفاء (٣) بنى أمية ، فخطب إليه عبد الملك بن مروان ابنته لبعض ولده ، فقال : جنبى هجناء (٤) ولدك .

(١) استحرمت : الحزمة العُلْمَة ، وطلب الذكر . (٢) يتقدمون لمصاهرته وطلب يد بناته . (٣) الهجين : الذى أبوه عربى وأمه أعجمية . (٤) اجعلى التيس يواقعها .

ابن عُلقمة وأولاده :

وما يدريك ما نعتُ الخمر !؟

- وكان إذا خرج يمتار (١) خرج بابنته « الجرباء » معه . فخرج مرة فنزلوا ديرا من أديرة الشام يقال له : دير سعد ، فلما ارتحلوا قال عقيل : قضيت وطرا من دير سعدٍ وربما علا عُرضُ ناطحته الجماجم (٢) ثم قال لابنه أجز يا عميس . فقال :
- فأصبحن بالمومة يحملن فتية نَشَاوى من الإدلاج ميلَ العمائم (٣) ثم قال لابنته : يا جرباء أجزى ، فقالت :
- كأن الرى أسقام صرْحِدِيَّة عُقَاراً تَمَشَّتْ فى المطا والقوائم (٤)

فقال لها : وما يدريك أنت ما نعت الخمر !؟ ثم سل السيف ونهض إليها ، فاستغاثت بأخيها عميس ، فانتزعه بسهم فأصاب فخذة فبرك ، ومضوا وتركوه ، حتى إذا بلغوا أدنى المياه ، قال لهم : إنا أسقطنا جزوراً لنا فأدركوه ، وخذوا معكم الماء ! ففعلوا ، وإذا عقيل بارك وهو يقول :

إن بنى زملوني بالدم من يلق أبطال الرجال يُكَلِّم (٥)
ومن يكن درءً به يقوم شينشنة أعرفها من أخزم (٦)

- (١) الميرة : الطعام ، ويمتار لعياله يجمع لهم الطعام والمونة وفى القرآن : ﴿ ونمير أهلنا ﴾ .
- (٢) العُرْض : السحب تَلْعوه وتناطحه . وفى القرآن ﴿ قالوا هذا عارض ممطرنا ﴾ .
- (٣) المومة : الصحراء .. والإدلاج : سير الليل كله أو فى آخره .
- (٤) الصرْحدية : شراب منسوب إلى صرحد ، والعقار : الخمر . والمطا : الظهر . والقوائم : الأرجل .

(٥) الكَلِّم : الجرح .

- (٦) فى مجمع الأمثال للميدانى : كان أخزم عاقا لأبيه فمات ، فوثب أولاده على جدهم فأدموه فقال : (إن بنى صرْجوني بالدم شينشنة أعرفها من أخزم) والشينشنة الطبيعة والعادة ، يضرب : فى قرب الشبه .

الشنشنة : الطبيعة . وأخزم : فحل كريم وهذا مثل للعرب .

عبد الملك وابنة عبد الرحمن :

والله لا تزوّجني أبو الذباب !

● الشيباني عن عوانة قال : خطب عبد الملك بن مروان ابنة عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فأبت أن تتزوجه . وقالت : والله لا تزوّجني أبو الذباب ! .

فتزوجها يحيى بن الحكم . فقال عبد الملك : والله لقد تزوجت أفوه أشوه . فقال يحيى : أما إنها أحببت مني ما كرهت منك . وكان عبد الملك ردىء الفم يدمى فيقع عليه الذباب فسمى أبا الذباب .

★ ★ ★

● أخت أبي سفيان :

إن عقيلاً كان مع الأعبة !

● وعن العتبي قال : خطب « قرية » ابنة حرب أخت أبي سفيان بن حرب أربعة عشر رجلاً من أهل بدر ، فأبتهم وتزوجت عقيل بن أبي طالب . قالت : إن عقيلاً كان مع الأعبة يوم قتلوا ، وإن هؤلاء كانوا عليهم ! . ولاحته (١) يوماً فقالت : يا عقيل ؛ أين أخوالى ؟ أين أعمامى ؟ كأن أعناقهم أباريق الفضة ! قال لها إذا دخلت النار ، فخذى على يسارك .

(١) لائحته : الملاحاة المنارعة .

زياد وسعيد بن العاص في ابنته :

كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى !

● وكتب زياد إلى سعيد بن العاص يخطب إليه ابنته ، وبعث إليه بمال كثير وهدايا ، فلما قرأ الكتاب ، أمر حاجبه بقبض المال والهدايا ، وأن يقسمها بين جلسائه . فقال الحاجب : إنها أكثر من ظنك .

قال سعيد : أنا أكثر منها ! ثم وقع إلى زياد في أسفل كتابه :

﴿ كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾ (١) .

★ ★ ★

الحسن ورجل يزوج ابنته :

زوجها ممن يتقى الله !!

● وقال رجل للحسن : إن لى بنية ، فمن ترى أن أزوجها ؟ قال :

زوجها ممن يتقى الله ! فإن أحبها أكرمها ، وإن أبغضها لم يظلمها ! .

★ ★ ★

(١) سورة العلق : ٦ .

عبد الملك (١) وعمر بن عبد العزيز (٢)

وصلك الله يا أمير المؤمنين !

● وقال عبد الملك بن مروان ، لعمر بن عبد العزيز : قد زوّجك أمير المؤمنين ابنته فاطمة ، فقال عمر : وصلك الله يا أمير المؤمنين ، فقد كفيت المسألة ، وأجزلت في العطية ! .

★ ★ ★

الحسن يستشار :

اليسار يسار العقل والدين !!

● قيل للحسن : فلان خطب إلينا فلانة . قال : أهو موسر من عقل ودين ؟ قالوا : نعم .
قال : فزوجوه .

★ ★ ★

(١) الخليفة الأحمى (٦٤٦ - ٧١٥) المؤسس الثانى لدولة بنى أمية جلس على العرش سنة ٦٨٥ هـ وعرب الدولة ، وعمم استعمال اللغة العربية فى جميع بلاد الدولة .
(٢) من الخلفاء الأمويين . اشتهر بتقواه . أبطل لعن على المنابر التى سنها معاوية قال فيه هرقل ملك الروم عندما بلغه وفاته : إن الأخيار لا يبقون عند الأشرار إلا قليلا .

حيوة بن شريح :

تزوج بعشرة وأبق تسعين !

● قال رجل لحيوة بن شريح : إني أريد أن أتزوج . فماذا ترى ؟ .

قال : كم من المهر ؟ .

قال : مائة .

قال : فلا تفعل ، تزوج بعشرة وأبق تسعين ، فإن وافقتك رجحت التسعين ، وإن لم توافقك تزوجت عشراً ؛ فلا بد في عشرة نسوة من واحدة توافقك ! .

★ ★ ★

هبنقة القيسي وراغب في الزواج :

البكر لك والثيب عليك !

● وقال رجل أردت النكاح فقلت : لأستشيرن أول من يطلع علي ثم أعمل برأيه ؛ فكان أول من طلع هبنقة القيسي (١) ، وتحتة قصبة ، فقلت له : أريد النكاح فما تشير به علي ؟ قال :

البكر لك ، والثيب عليك ، وذات الولد لا تقر بها ، واحذر جوادي لا ينفحك ! .

★ ★ ★

(١) هبنقة : لقب ذى الودعات يزيد بن ثروان - يضرب به المثل في الحمق ؛ لأنه جعل في عنقه قلادة من ودع وعظام وخزف مع طول لحيته ، فسئل فقال : لئلا أضل فسرقها أخوه في ليلة وتقلدها ، فأصبح هبنقة ورآها في عنقه فقال : أخى أنت أنا فمن أنا ؟ وضرب به المثل في الحمق ! .

مكثرٌ ومقلٌّ في الزواج :

زلقة من غير ماء !!

● وعن الأصمعي قال : أخبرني رجل من بني العنبر عن رجل من أصحابه ، وكان مُقَلًّا (١) ؛ فخطب إليه مكثر من مال ، مقل من عقل ، فشاور فيه رجلا يقال له : أبو يزيد ، فقال : لا تفعل ، ولا تزوج إلا عاقلا ديناً ، فإنه إن لم يُكْرَمها لم يظلمها . ثم شاور رجلا آخر يقال له : أبو العلاء ، فقال له : زوجه ؛ فإن ماله لها ، وحمقه على نفسه ... فزوجه فرأى منه ما يكره في نفسه وابنته ، وأنشده فقال :

ألْهَى إذ عصيت أبا يزيد ولهفى إذ أطعت أبا العلاء
وكانت هفوةً من غير ريح وكانت زلقةً من غير ماء !!

★ ★ ★

زواج معبد بن خالد :

قالت : أنا أسدةٌ من بني أسد .. فخرجت ولم أعُد !!

● المفضل بن محمد الضبي : قال : أخبرني مسعر بن كدام عن معبد ابن خالد الجدلي قال : خطبت امرأة من بني أسد في زمن زياد - وكان النساء يجلسن لخطابهنَّ - قال : فجئت لانظر إليها وكان بيني وبينها رواق (٢) ؛ فدعت بجفنة عظيمة من الثريد (٣) ، مكللة باللحم ، فأتت على آخرها ، وألقت العظام نقيه ، ثم دعت بشن عظيم مملوءة لبنا ، فشربته حتى أكفأته على وجهه .

(١) مقلًا : قليل المال .

(٢) الرُّواق : سقف في مُقَدِّم البيت ، والستار .

(٣) الجفنة : وعاء يفت فيه الخبز ويعد بمرق اللحم والدجاج ليصبح ثريداً .

وقالت : يا جارية ، ارفعى السجف (١) ؛ فإذا هي جالسة على جلد
أسد ، وإذا شابة جميلة ؛ فقالت : يا عبد الله ، أنا أسدة من بنى أسد ، وعلى
جلد أسد ، وهذا طعامي وشرابي ؛ فعلام تراني ؟ فإن أحببت أن تتقدم
فتقدم ، وإن أحببت أن تتأخر فتأخر ! فقلت : أستخير الله في أمرى وأنظر ! .
قال : فخرجت ولم أعد ! .

★ ★ ★

(١) السجف : الستائر .

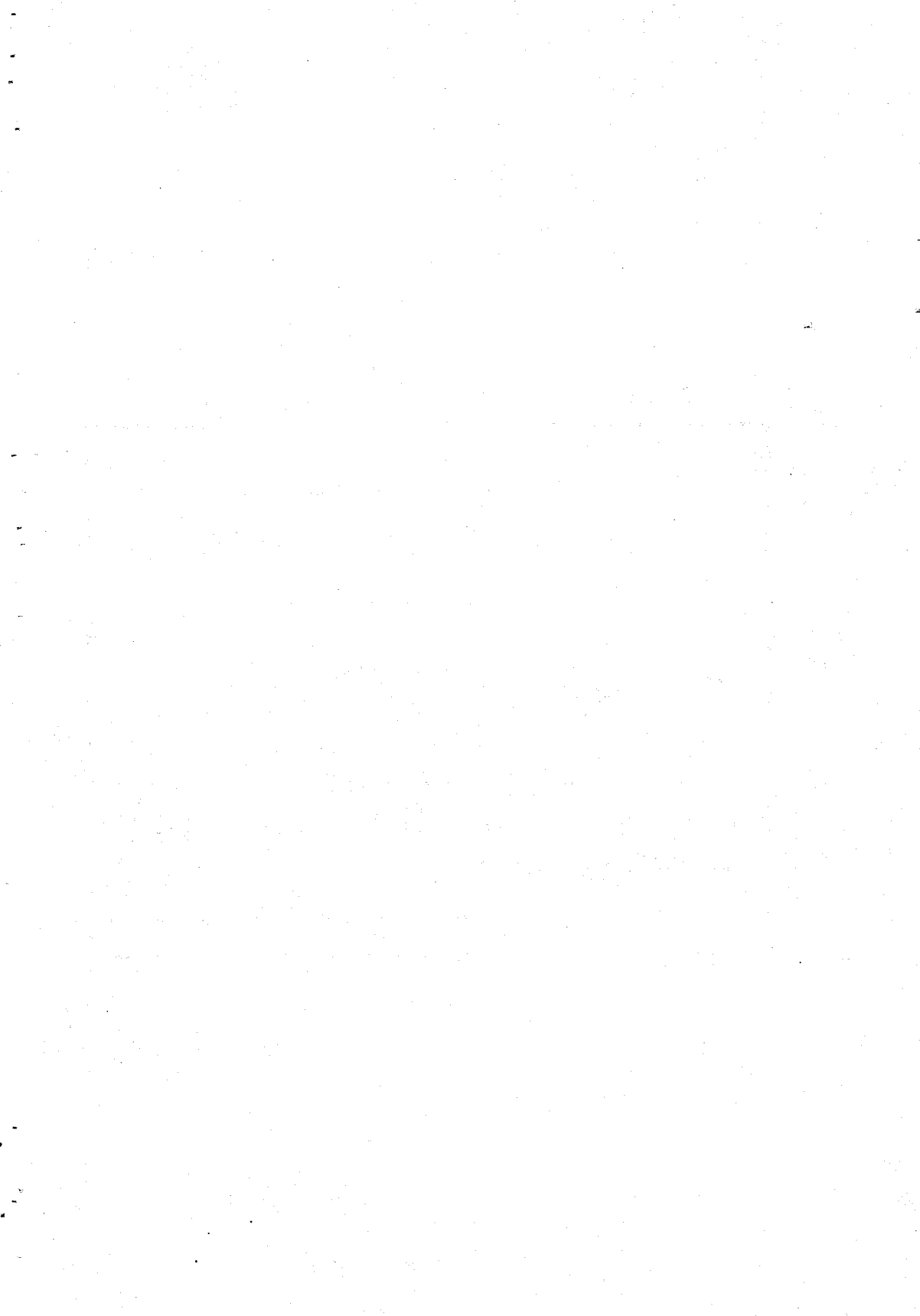
الباب الثاني

لطائف من أخبار النساء وطرائف من حياتهن

● قال الشاعر العربي :

والليالي من الزمان حبالى
يلدن كل عجيب

● وأعجب العجب ما يرويه « ابن عبد ربه » عن النساء من لطائف وطرائف ، فتعال نستمتع معا ببعض ما تضمنته كتب التراث وجمعه لنا ابن عبد ربه في موسوعته الكبرى « العقد الفريد » وكشفت لنا عنه الأيام والليالي .. !



من أخبار النساء :

وعلى الغايات جر الذبول !

لابن أبى ربيعة فى مقتل زوجة المختار

● لما قتل مصعب بن الزبير ابنة النعمان بن بشير الأنصارية ، زوجة المختار بن أبى عبيد ، أنكر الناس ذلك عليه وأعظموه ؛ لأنه أتى بما نبى رسول الله ﷺ عنه فى نساء المشركين ؛ فقال عمر بن أبى ربيعة :

إن من أعظم الكبائر عندى قتل حسناء غادة عَطْبُول (١)
قُتِلَتْ باطلاً على غير ذنبٍ إن لله درها من قتيلى
كتب القتل والقتال علينا وعلى الغايات (٢) جر الذبول

* * *

الخوارج وامرأة أرادوا قتلها :

من يُنشأ فى الحلية !!

● ولما خرجت الخوارج بالأهواز ، أخذوا امرأة فهَمُّوا بقتلها ؛

فقال لهم :

أتقتلون من يُنشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير ميين (٣) ؟!

فأمسكوا عنها .

(١) غادة عَطْبُول : الغادة الناعمة . والعطبول : طويلة العنق فى اعتدال وحسن .

(٢) الغايات : جمع غانية وهى التى استغنت بحسنها وجمالها الطبيعى عن الزينة فهى تجر ذيلها

اختيالا .

(٣) كناية عن المرأة .

جارية لأمية وراغب في زواجها :

أنت أسد فاطلب لنفسك لُبَّة !

● قال : وحدثنا بعض أصحابنا أن جارية لأمية بن عبد الله بن خالد ابن أسيد ذات ظرف وجمال ، مرت برجل من بنى سعد ، وكان شجاعا فارسا فلما رآها قال : طوى لمن كانت له امرأة مثلك ! (١) .

ثم إنه أتبعها رسولا يسألها : أها زوج ؟ ويذكره لها ؛ فقالت للرسول ما حرفته ؟ فأبلغه الرسول قولها ؛ فقال : ارجع إليها ، فقل لها :

وسائلةٍ ما حرفتى ؟ قلت : حرفتى مقارعة الأبطال في كل شارق (٢)
إذا عرّضت لى الخيل يوماً رأيتنى أمام رعيلى الخيل أحمى حقائقى (٣)
وأصيرُ نفسى حين لآخر صابراً على ألم البيض الرقاق البوارق (٤) !

فأنشدها الرسول ما قال ، فقالت له : ارجع إليه ، وقل له : أنت أسد ، فاطلب لنفسك لُبَّة ! فلستُ من نسائك ! وأنشدت هذه الأبيات :

ألا إنما أبغى جواداً بماله كريماً محياه قليل الصدائق
فتى همه مُذْكَانُ حَوْدٍ كريمةٍ يعانقها بالليل فوق الثمارق (٥)
ويشربها صبراً كُمَيْتاً مُدامةً نداماه فيها كل خرق موافق

(١) طوى : منزلة في الجنة . وأيضاً : الغبطة والسعادة وهو المراد هنا .

(٢) الشارق : الشمس حين تشرق والمقصود في أيامى كلها .

(٣) الحقيقة : ما يجب على الإنسان أن يحميه من مال وعرض ووطن وكرامة وأهل .

(٤) السيف البتارة .

(٥) الحَوْدُ : الشابة حسن الخلق ، والثمارق جمع تمرقة ؛ الوسادة الصغيرة يتكأ عليها .

المغيرة و غلام حارثي :

لا خير لك فيها !

● وعن الشعبي (١) قال : سمعت المغيرة بن شعبة يقول : ما غلبني أحد قط إلا غلام من بني الحارث بن كعب ، وذلك أنني خطبت امرأة من بني الحارث ، وعندى شاب منهم ، فأصغى إلى فقال : أيها الأمير ، لاخير لك فيها ! قلت : يا بن أخي ، وما لها ؟ .

قال : إني رأيت رجلا يقبلها !! .

قال : فبرئت منها ؛ فبلغني أن الفتى تزوجها ، قلت : ألم تخبرني أنك رأيت رجلا يقبلها؟! قال : بلى رأيت أباها يقبلها !! .

أبو سعيد وابن سيرين في الزواج :

لا تتزوج امرأة تنظر في يدها

● أبو سعيد قال : صحبت ابن سيرين عشرين سنة فقال لي يوما : يا أبا سعيد ، إن تزوجت فلا تتزوج امرأة تنظر في يدها ! ولكن تزوج امرأة تنظر في يدك ! .

ما الحب إلا للحبيب الأول :

بين جاريتين

● يحيى بن عبد العزيز عن محمد بن الحكم عن الشافعي قال : تزوج

(١) الشعبي هو : أبو عامر بن شراحيل علامة الكوفة محدث ومستشار (٦٤٢ - ٧٢٣ هـ) .

رجل من الأعراب امرأة جديدة على امرأة قديمة ، وكانت جارية الجديدة تمر على باب القديمة فتقول :

ومايستوى الرجلان : رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فُشلت ثم مرت بعد أيام فقالت :

ومايستوى الثوبان : ثوبٌ به البلى وثوبٌ بأيدي البائعين جديد فخرجت إليها جارية القديمة فقالت :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما القلبُ إلا للحيب الأول كم منزلٍ في الأرض يألفهُ الفتى وحينئذُ أبداً لأول منزلٍ

● أعرابي وولي امرأة :

الأصمعي (١) قال : أخبرني أعرابي فقال : خطب منا رجل مغموز امرأة مغموزة (٢) .

فزوجوه ، فقال رجل لولي المرأة : تعمم لكم فلان فزوجتموه ! فقالوا : ماتعمم لنا حتى تبرقعنا له ! (٣) .

لأعرابية تنصح بنات عمها :

● أبو حاتم عن الأصمعي قال : قالت أعرابية لبنات عم لها : السعيدة منكن من يتزوجها ابن عمها ، فيمهرها (٤) بتيسين ، وكليين ، وعيرين ،

(١) أحد أئمة اللغة الأقدمين من البصريين حفظ لغة البدو ولهجاتها ، وكان معلماً للأمين ولولاه للذهبت أكثر دواوين العرب .

(٢) غمز الشيء بيده وبعينه طعنه ، وفي القرآن : ﴿ وإذا مروا بهم يتغامزون ﴾ ورجل مغموز أي مطعون في كرامته وشرفه . ويقال : ليس في فلان غميرة . أي مطعن .

(٣) تعمم : ليس العمامة وتستر وراءها ، مدعياً الصلاح ، وتبرقت لبست البرقع رمز التصون والمحافظة .

(٤) يمهرها : يعطيها مهرها وصداقها .

ورحيين ، فينبُ التيسان ، وينهق العيران (١) ، وينبح الكلبان ، وتدور
الرَّحيان ، فيعج الوادى (٢) ؛ والشقية منكن من يتزوجها الحضرى ،
فيكسوها الحرير ، ويطعمها الخمير ، ويحملها ليلة الزفاف على عود . تعنى :
سرجا .

● الأصمعى قال : سمعت أعرابيا يشارُ (٣) امرأته ، فقالت لها أخته :
أما والله أيام شرخه (٤) ، إذ كان ينكتك كما ينكت العظم عن مخه ،
لقد كنت له تبوعا ، ومنه سموعا ! .
فلما لان منه ما كان شديداً ، وأخلق (٥) ما كان جديداً تغيرت له ! أما
والله لئن تغير منه البعض لقد تغير منك الكل .

لأعرابى فى زوجته :

● وقيل لأعرابى : كيف حبك لزوجتك ؟ قال : ربما كنت معها على
الفراش ، فمدت يدها إلى صدرى ، فوددت - والله - أن آجرَةً خرت من
السقف فقَدَّتْ (٦) يدها وضلعت من أضلاع صدرى ! ثم أنشأ يقول :

لقد كنت محتاجا إلى موت زوجتي ولكن قرين السوء باق مُعَمَّرٌ
فيا ليتها صارت إلى القبر عاجلاً وعذبها فيه نكير ومُنْكَرٌ

لآخر فى مثله :

● وتزوج أعرابى امرأة فطالت صحبتها له ، فتغير لها وقد طعنت فى

(١) العير : الحمار وحشيا كان أم أهليا .

(٢) يعج الوادى : يمتلئ بالأصوات والحركة والحياة ؛ حيث يختلط نيب التيسين ، بنهق
العيرين ، بصوت الرَّحِيِّين ، بنباح الكلبين فتؤلف جميعها موسيقى حبيبة إلى قلبها .

(٣) يُشارُ : يخاصم .

(٤) شرخ الشباب : أوله ونضارته .

(٥) أخلق : بلى وقدم .

(٦) الآجر : الطوب الذى يبنى به وهو فارسى معرب . والآجرُ غير اللَّيِّن . فهو طوب عولج

بالنار فاحترق بعد أن كان لبنا ، وقَدَّتْ : قطعت ومرقت .

السن ، فقالت له : ألم تكن ترضى إذا غضبت ، وتُعْتَبُ (١) إذا عتبت ،
وتشفق إذا آبيت ! فما بالك الآن ؟ .

قال : ذهب الذى كان يصلح بيننا ! .

الأصمعى وأعرابى طلق زوجته :

الأصمعى قال : كنت أختلف (٢) إلى أعرابى أقتبس منه الغريب (٣) ،
فكنت إذا استأذنت عليه يقول : يا أمانة ، إيذنى لى . فتقول : ادخل .
فاستأذنت عليه مراراً فلم اسمعه يذكر أمانة ؛ فقلت له : يرحمك الله ،
ما أسمعك تذكر أمانة منذ حين ! قال : فوجم وجمه (٤) ندمت على ما كان
منى ؛ ثم قال :

ونجوتُ من غُلِّ الوَثاقِ (٥)	ظننت أمانة بالطلاق
سبى ولم تَدْمَع مآقِ (٦)	بانة فلم يَألم لها قلد
تهيه النفس تعجيل الفراق	ودواء مالا تشتتــــ
بين اثنين فى غير اتفاق	والعيش ليس بطيب بـ
لأرحت نفسى بالإباق (٧)	لو لم أرُح بفراقها

لأعرابى طلق امرأته :

● الأصمعى قال : تزوج أعرابى امرأةً فأذته ، وافتدى منها بحمار

(١) أعته : سره بعد ما ساءه ، واسترضاه فأرضاه .

(٢) أختلف إليه : أنزل عليه زائراً بين وقت وآخر .

(٣) غريب اللغة ؛ فقد كان الأصمعى من طلابه والباحثين عن الدرر فهو أحد أئمة اللغة
الأقدمين من البصريين حفظ لغة البدو ولهجاتها . عهد إليه هارون الرشيد بتعليم الأمين له عدة مؤلفات ،
ولولاه لذهبت أكثر دواوين العرب .

(٤) وجم وجوما اشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام .

(٥) ظعن : سار ورحل ، والظعينة المرأة ما دامت فى الهودج . والغل القيد فى الرقبة ، وأوثقه

فى الوثاق شده .

(٦) بانة طلقت أو بعدت . والمآق مفرد ما مؤق العين : طرفها مما يلى الأنف .

(٧) الإباق : الهرب .

وجبة (١) ، فقدم عليه ابن عم لها من البادية فسأله عنها ! فقال :

حَطَّتْ إِلَى الشَّيْطَانِ لِلْحَيْنِ بَنَتْهُ
فَادْخَلَهَا مِنْ شِقْوَتِي فِي جِبَالِيَا
فَأَنْقَذَنِي مِنْهَا جِمَارِي وَجُبْتِي
جَزَى اللَّهُ خَيْرًا جِبْتِي وَحِمَارِيَا !!

لأعرابي بين يدي زياد :

● الأصمعي قال : خاصم أعرابي امرأته إلى زياد ، فشدد على الأعرابي ؛ فقال : أصلح الله الأمير ؛ إن خير عمر الرجل آخره ؛ يذهب جهله ، ويثوب حلمه ، ويجتمع رأيه .

وإن شر عُمر المرأة آخره : يسوء خلقها ، ويحد لسانها ، وتعقم رحمها ! قال له : صدقت ، اسفع بيدها (٢) .

لبعض الأعراب في مثله :

● قال : وذكرت أعرابية زوجها وكان شيخا ! فقالت :

ذهب ذَفْرُهُ ، وبقي بَحْرُهُ ، وفتر (....) (٣) .

● الأصمعي قال : كان أعرابي قبيح طويل خطب امرأة ؛ فقيل له : أى ضرب (٤) تريدها ؟ .

(١) الجبة : ثوب واسع يلبس فوق الثياب ، ويطلق على ما يرتديه رجال الدين جبة .

(٢) سفع بيده ، وسفع بناصيته أخذ بها وفي القرآن : ﴿ لِنَسْفَعَنَّ بِالنَّاصِيَةِ ﴾ .

(٣) الذفر : شدة ذكاء الريح طيبة كانت أم نتنة ، وهي تقصد ذهاب الريح الطيبة ، أما الكلمة

التي بين القوسين فهي تعنى الضعف الجنسي .

(٤) أى نوع أو صنف من النساء ؟ .

قال : أريدها قصيرة جميلة ، فيأتى ولدها في جمالها وطولى ، فتزوجها على تلك الصفة ، فجاء ولدها فى قصرها وقبحه ! .

● قدم أعرابى من طيبء فاحتلب لبناً ثم قعد مع زوجته ينتجعان (١) ، فقالت له : من أنعم عيشا نحن أم بنو مروان ؟ .

قال لها : بنو مروان أطيب منا طعاما ، إلا أنا أردأ منهم كسوة ، وهم أظهر منا نهاراً ، إلا أنا نحن أظهر منهم ليلاً ! .

لا تفعلى ؛ فإنه وُكَلَّةٌ تُكَلَّةٌ !!

● الأصمعى قال : خاصم أعرابى امرأته إلى السلطان فقيل له : ما صنعت ؟ قال : خيراً ، كبهأ الله لو جهها ، ولو أمرنى إلى السجن ! .

● الأصمعى قال : استشارت أعرابية فى رجل تتزوجه ، فقيل لها : لا تفعلى فإنه وكلة تكلة ، يأكل خلله [أى يأكل ما يخرج من بين أسنانه إذا تخلل] .

قال أبو حاتم : هو الخلالة .

ووكلةٌ تُكَلَّةٌ : أى يكل أمره إلى الناس ويتكل عليهم .

يوم عتاب .. ويوم اكتئاب !!

● العتبنى قال : خطب إلى أعرابى رجل موسر إحدى ابنتيه ، وكان للخطاب امرأة ، فقالت الكبرى : لا أريده ! قال أبوها : ولم ؟ قالت : يوم عتاب ، ويوم اكتئاب ، يبلى فيما بين ذلك الشباب ! .

قالت الصغرى : زوجنيه ! قال لها : على ما سمعت من أختك ؟ .

(١) ينتجعان : ينعمان بشره هنيئاً .

قالت : نعم ، يوم تزين ، ويوم تسمُن ، وقد تقر فيما بين ذلك
الأعين .

لأعرابية ترقص طفلا :

الأصمعي قال : رأيت امرأة ترقص طفلا لها وتقول :
أحبه حب الشحيح ماله قد كان ذاق الفقر ثم ناله
إذا أراد بذله بدا له (١)

أقوال وتعليقات وطرائف

أقوال :

- ذكر عند مالك بن أنس (الباه) (٢) ، فقال :
هو نور وجهك ، ومخ ساقيك ! فأقل منه أو أكثر .
- وقال معاوية :
ما رأيت نهما في النساء إلا عرفت ذلك في وجهه !
- وقال كسرى :
كنت أراني إذا كبرت أنهن لا يُحِبِّينَنِي ؛ فإذا أنا لا أحبهن ! .
وأنشد الرياشي لأعرابي من بني أسد :

تمت لو عاد شرحُ الشباب ومن ذا على الدهر يُعطي المنى ؟
وكنْتُ مكيناً لدى الغانيات فلا شيء عندي لها ممكنا
فأما الحسانُ فيأيننني وأما القباح فآبى أنا

(١) بدا له : أي خطر له فيه رأى .

(٢) الباءة : النكاح والتزوج ، ويقال أيضا ؛ الباهة والباه ، وقيل هو : كناية عن الجماع .

- ودخل عيسى بن موسى على جارية ، فلم يقدر على شيء فقال :
النفس تطمح والأسباب عاجزةٌ والنفسُ تهلكُ بين اليأس والطمع
- وقالوا : من قل جماعة فهو أصح بدنا ، وأطول عمرا ، ويعتبرون ذلك بذكر الحيوان ، وذلك أنه ليس في الحيوان أطول عمرا من البغل ، ولا أقل عمرا من العصافير ، وهي أكثر سفادا (١) .

تعليقات :

ما أحسن والله ما أقبل !!

● خاطب يزكيه وسيط :

أبو الحسن المدائني قال : خطب رجل من بنى كلاب امرأة ، فقالت : أمها : دعني حتى أسأل عنك ، فانصرف الرجل ، فسأل عن أكرم الحى عليها ؛ فذلل على شيخ منهم كان يحسن التوسط في الأمر ، فأتاه يسأله أن يحسن عليه الثناء ، وانتسب له فعرفه .

ثم إن العجوز غدت عليه فسألته عن الرجل ، فقال : أنا أعرف الناس به ، فقالت : فكيف لسانه ؟ قال : مدره (٢) قومه وخطيبهم . قالت : فكيف شجاعته ؟ قال : منيع الجار (٣) ، حامى الذمار ! . قالت : فكيف حماسته ؟ قال : ثمال قومه (٤) وربيعهم .

وأقبل الفتى ، فقال الشيخ : ما أحسن والله ما أقبل ! ما انثنى

(١) سفادا : نزوا وجماعا .

(٢) المِدْرَه : كمنبر السيد الشريف ، والمقيد في اللسان واليد عند الخصومة والقتال .

(٣) جاره في منعه من الأعداء به ، والذمار بالكسر كل ما يجب على المرء حفظه وحمايته .

(٤) ثمال : على وزن كتاب : الغيث الذي يقوم بأمر قومه .

ولا انحنى . ودنا الفتى فسلم ، فقال : ما أحسن والله ما سلم ! ماجأر (١) ولاخار .

ثم جلس . فقال : ما أحسن والله ما جلس ! مادنا ولا نأى (٢) .

وذهب الفتى ليتحرك فضرط ، فقال الشيخ ما أحسن والله ما ضرط ، ما أظنها (٣) ولاأغنها ، ولابربرها ولاقرقرها (٤) .

ونفض الفتى خجلا ، فقال : ما أحسن والله ما نهض ما انفتل (٥)

ولا انخذل وأسرع الفتى ، فقال : ما أحسن والله ما خطا ما ازور (٦) ولا اقطوطى .

فقال العجوز : حسبك ياهذا ، وجه إليه من يرده فوالله لوسلح (٧) في ثيابه لزوجناه .

الزبير بن بكار :

أخذ من دنا منى !

● قال : جاءت امرأة إلى ابن الزبير تستعدى على زوجها ، وتزعم أنه يصيب جاريتها ، فأمر به فأحضر ، فسأله عما ادعت ، فقال :

هي سوداء وجاريتها سوداء ، وفي بصرى ضعف ويضرب الليل برواقه ، فأنا أخذ من دنا منى .

(١) جأر : رفع صوته ، وهو يقصد أنه كان معتدلا في صوته وسلامه .

(٢) لم يقترب ، ولم يبتعد ، بل جلس مجلسا وسطا .

(٣) الطنين : صوت الذباب والطمست ، وأطن ساقه قطعها ، وأغن الذباب صوت وهو يريد أنه تحكم في ضراطه فجاء على صورة جميلة .

(٤) البريرة : صوت المعز وكثرة الصباح والجلبة ؛ والقرقرة : هدير البعير والضحك إذا استغرب فيه ورجع .

(٥) انفتل : وتفتل ووجهه عنهم : صرفه . وانخذل : أحس بالخذلان والكسوف .

(٦) ازور : مال وانحرف ، واقطوطى ثقل في مشيه ، وتقصد أنه كان مترنا في مشيته وكان شيئا لم يكن .

(٧) سلح : تبرز .

شهادة أعرابي :

أرأيتَه !!؟

● واستشهد أعرابي على رجل وامرأة زنيا ، فقيل له : أرأيتَه داخلا وخارجا كالمروء في المكحلة ؟ فقال : والله لو كنت جلدة استها ما رأيتَه .

من طرائف الأعراب :

ماترى ياربنا فيما ترى !؟

● الأصمعي قال : أصابت الأعراب مجاعة ، فمررت برجل منهم قاعد مع زوجته بقارعة الطريق ، وهو يقول :

يا رب إني قاعد كما ترى

وزوجتي قاعدة كما ترى

والبطن مني جائع كما ترى

فما ترى يا ربنا فيما ترى !؟

ياليتي كنت صيبا مرضعاً !!

● ونظر أعرابي إلى امرأة حسناء جميلة ، تسمى ذلفاء ، ومعها صبي يبكي ، وكلمها بكى قبلته فأنشأ يقول :

يا ليتني كنت صيبا مُرضعاً

تحملني الذلفاء حولاً أكتعا (١)

إذا بكيت قبلتني أربعا

فلا أزال الدهر أبكى أجمعا

(١) حولاً كاملاً .

الباب الثالث

النساء المنجيات

وأبناء السرارى والإماء

قال شاعرنا :

نعم الإله على العباد كثيرة
وأجلهن نجابة الأولاد

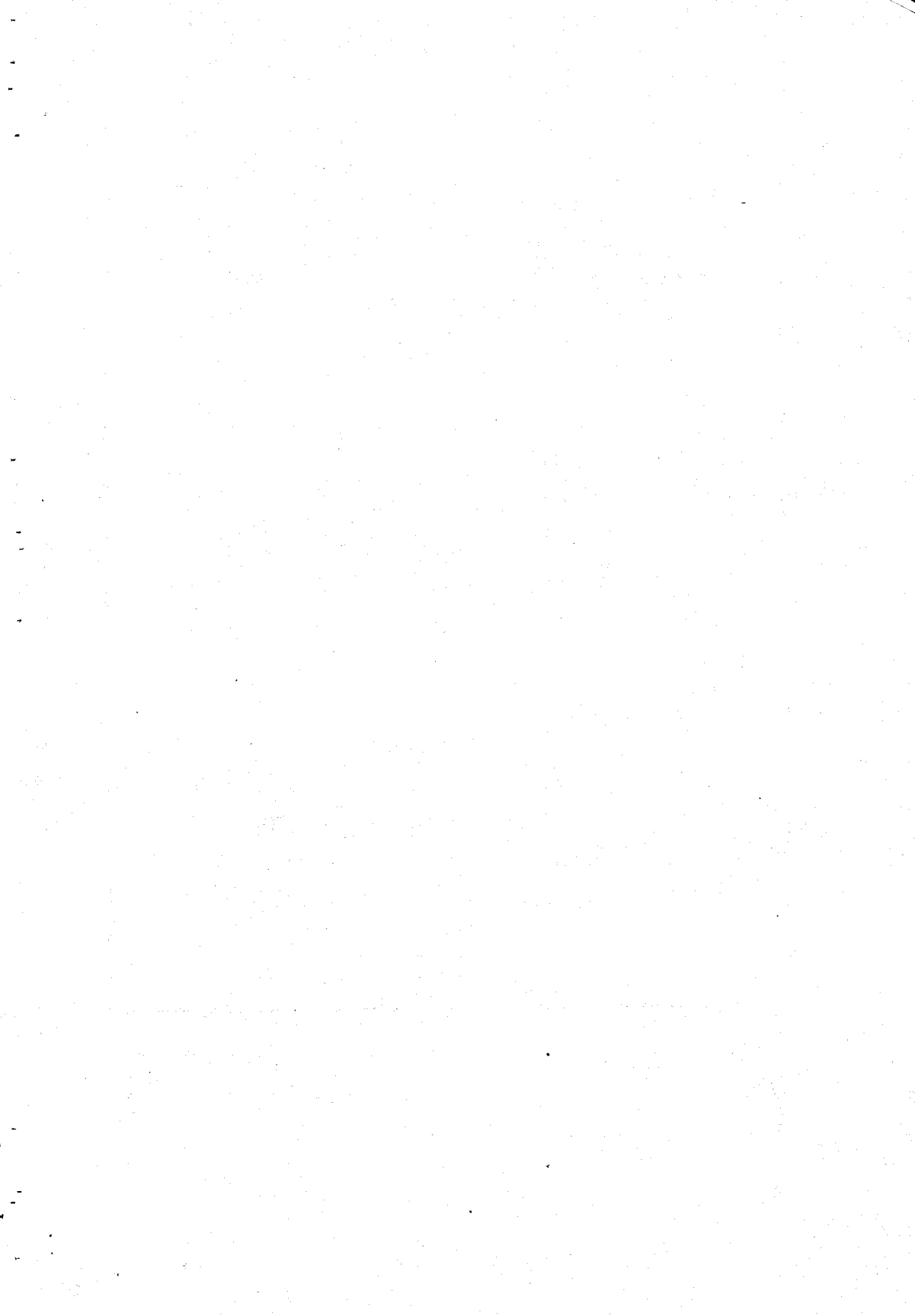
فأى النساء أنجب ؟

وأى الأبناء أفضل ؟

أولاد الحرائر أم أبناء السرارى والإماء ؟

وماذا قيل فى المهجناء والأدعياء ؟

ذاك ما يحدثنا عنه الفقيه ابن عبد ربه .



بين يدي هذا الباب للمحقق

السرارى والإماء

قد تتراءى لعيوننا أكثر من علامات استفهام حول السرارى والإماء ! .
وربما يقول قائل : أليس فى تعدد الزوجات ما فيه الكفاية ؟ .
ويقول الأستاذ العقاد فى كتابه « المرأة فى القرآن » :
« لقد شرع الإسلام العتق ولم يشرع الرق ، فلم يكن للعتق أثر فى
شرائع الحضارات التى سبقت ظهور الإسلام .

أما الرق فقد كان معروفا معترفا به فى كل حضارة قديمة .
فلما ظهر الإسلام جاء بالعتق ولم يجيء بالرق وسبق التطور الدولى إلى
تقرير فك الأسرى عند الأعداء ، وتقرير المن بتسريح الأسرى عنده .

والنساء المملوكات أقدم فى التاريخ من الرجال المملوكين . وتعتبر قضية
الإماء والسرارى جزءاً من قضية الرق على عمومها لولا أن المرأة المستعبدة تنفرد
بمشكلاتها .. فإن كان العتق برا كبيراً بالإنسان الذى سلبت حرته وهانت على
الناس كرامته فإن العتق لا يؤول بالجارية إلى حرية تغبط عليها ، وهى بلا عائل
ولا زوج وربما نقلها العتق من العبودية لسيد واحد إلى العبودية لكل سيد
تأوى إليه .

وقد نظرت شريعة الإسلام إلى الفارق بين الرجل والمرأة فى أمر العتق ،
فعملت على نقل النساء المملوكات من رابطة العبودية إلى رابطة الزوجية ،
وأمرت المسلمين بتزويجهن والبر بهن :

﴿ وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ﴾ [سورة النور : ٣٢] .

﴿ فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ﴾ [٣ : سورة النساء] .

وفضلت الزواج بالجارية المملوكة على الزواج بسليمة البيوت من المشركات ولو حسن مرآها في العين :

﴿ ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ﴾ .

[سورة البقرة : ٢٢١]

وفرضت لهن حقوقا كما فرضت للأزواج :

﴿ قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم ﴾ .

[سورة الأحزاب : ٥٠]

وجعلت أصحاب المال ومن يملكونهم سواء فيما عندهم من رزق الله :

﴿ فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه

سواء ﴾ .

[سورة النحل : ٧١]

وحرص الإسلام على البر بهن في عواطفهن وإحساسهن كما حرص على

البر بهن في أرزاقهن ومعيشتهن ، فكان عليه الصلاة والسلام ينهى المسلم أن

يقول : « عبدى وأمتى » وإنما يقول : « فتاى وفتاى » كما يتحدث عن أبنائه .

وكانت وصيته بالصلاة والرفيق من آخر وصاياه صلى الله عليه وسلم قبل انتقاله إلى

الرفيق الأعلى .

وارتفع الإسلام باتباعه إلى منزلة من الإنصاف للرفيق والرفق به لم تبلغها

الإنسانية بآدابها وقوانينها ودياناتها وأنظمتها بعد أكثر من ألف سنة .

ومما له دلالة في هذا الصدد أن ارتفاع المهانة عن الممالك في العالم الإسلامي مكثرت غير مرة من إقامة الدول وارتقاء المناصب وولاية الوزارة والقيادة ، ومصاهرة البيوتات من أصحاب الملك والإمارة .
وإليك ما جاء في العقد الفريد عن السراري والإماء :

المنجبات من النساء :

أنجب النساء

- قالوا : أنجب النساء الفُروك (١) ؛ وذلك أن الرجل يغلبها على الشبق ، لزهدها في الرجل .
- أبو حاتم عن الأصمعي قال : النجبية التي تنزع بالولد إلى أكرم العرقين .
- وقال عمر بن الخطاب : يا بني السائب ، إنكم قد أضويتم ، (٢)
- فانكحوا في النزاع .
- وقالت العرب : بنات العم أصبر ، والغرائب أنجب .
- والعرب تقول : اغتربوا لا تُضُؤوا : أى انكحوا في الغرائب ، فإن القرائب يُضُؤن البنين .
- وقالوا : إذا أردت أن يَصْلُبَ ولدُ المرأة ، فأغضبها ثم قع عليها ؛ وكذلك الفرعة ! .

(١) الفُروك : الزاهدة في الرجال ، ولا تحبهن ، والمبغضة لهن .
(٢) الضوى : الهزال ، ودقة العظم وقلة اللحم ، وأضوى دق وأضعف والمرأة ولدت ولدا

وقال الشاعر :

مِمَّنْ حَمَلْنَ وَهَنَّ عَوَاقِدُ حُبِّكَ النَّطَاقَ فَشَبَّ غَيْرَ مُهَبَّلٍ
حَمَلَتْ بِهِ فِي لَيْلَةٍ مَزْعُودَةٍ كُرْهَا وَعَقَدَتْ نَطَاقَهَا لَمْ يُحَلَّلِ

قالت أم تابط شرا :

والله ما حملته ترضعا ولا وضعا ، ولا وضعته يتنا ولا أرضعته غيلا ،
ولا أئمته مئقا (١) .

ومن أمثال العرب :

أنا مئق ، وأنت تئق ، فمتى نتفق ؟ (٢) .

إبراهيم عليه السلام وهاجر

● تسرى الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام بهاجر ، فولدت له
إسماعيل عليه السلام .

محمد عليه الصلاة والسلام ومارية ثم صفية

● وتسرى النبي عليه الصلاة والسلام مارية القبطية ، فولدت له
إبراهيم .

أبي اسحاق وجدى إبراهيم !

● ولما صارت إليه صفية بنت حبي ، كان أزواجه يعيرنها باليهودية ،
فشكت ذلك إليه ، فقال لها : أما إنك لو شئت لقلت - فصدقت

(١) قال في القاموس المحيط : وضعت المرأة حملها ووضعا ، وتوضعا بضمهما ، وتفتح الأولى
ولدتها . وووضعا وتوضعا ، وتوضعا بضمتين : حملت في آخر طهرها في مقبل الحيضة . ووضعته يتنا أى
وضعته منكسا ، تخرج رجلاه قبل رأسه . وأرضعته غيلا ، أى لبنا فاسدا ، وذلك عندما ترضع وهى
حامل . وأئمته مئقا : أى غاضبا مغتاظا .

(٢) الملقق : المغتاظ الباكي والتئق : السريع إلى الشر الغضوب . مما يدل على اختلافهما بحيث
لا يتفقان ، وفي النسخة المحققة . نئق : أى الذى لا يحتمل شيئا .

وَصُدِّقَتْ - : أُنَى إِسْحَاقَ ، وَجَدَى إِبْرَاهِيمَ ، وَعَمَى إِسْمَاعِيلَ ، وَأَخَى
يُوسُفَ .

هشام وزيد بن علي :

لا يعلم الغيب إلا الله

● ودخل زيد بن علي على هشام بن عبد الملك ، فقال له هشام :
بلغني أنك تحدث نفسك بالخلافة ، ولا تصلح لها ؛ لأنك ابن أمة ! .
فقال له : أما قولك : إني أُحَدِّثُ نفسي بالخلافة ، فلا يعلم الغيب
إلا الله .

وأما قولك : إني ابن أمة ، فإسماعيل ابن أمة ، أخرج الله من صُلبه خير
البشر محمداً ﷺ ، وإسحاق ابن حرة أخرج الله من صلبه القردة
والخنزير ! ①

الرغبة في السراري (٢) :

أبناء الإمام يتفوقون !

● قال الأصمعي : وكان أكثر أهل المدينة يكرهون الإمام ، حتى نشأ
منهم عليُّ بن الحسين ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر ، وسالم بن عبد الله بن
عمر ، ففارقوا أهل المدينة فقها وعلمًا وورعًا ، فرغب الناس في السراري .

★ ★ ★

(١) إشارة إلى قول الله تعالى : ﴿ من لعنه الله وغيض عليه وجعل منهم القردة والخنزير ﴾

[المائدة : ٦]

(٢) السراري : جمع سرية . وهي الأمة التي بوأتها بيتا منسوبة إلى السر بالكسر للجماع

عبد الملك وابن الحسين في جارية تزوجها :

لا عار على مسلم !

- وتزوج علي بن الحسين جارية له ، وأعتقها ، فبلغ ذلك عبد الملك فكتب إليه يؤنبه ، فكتب إليه علي : إن الله رفع بالإسلام الخسيصة ، وأتم به النقيصة ، وأكرم به من اللؤم ؛ فلا عار على مسلم .
- وهذا رسول الله ﷺ قد تزوج أمته ، وامرأة عبده ! .
- فقال عبد الملك : إن علي بن الحسين يشرف من حيث يتضع الناس .

★ ★ ★

أقوال وتجارب :

عجبي !

- وقال بعضهم : عجبت لمن لبس القصير كيف يلبس الطويل ؟
- ولمن أحفى شاربه كيف أعفاه ؟ (١) وعجبا لمن عرف الإمام كيف يقدم على الحرائر .

وقال الشاعر :

أمهات القوم أوعية

لا تشتمن امرءاً في أن تكون له أم من الروم أو سوداء عجماء
فإنما أمهات القوم أوعية مستودعات ، وللأحساب آباء (٢)

★ ★ ★

(١) أحفى شاربه حلقه .. وأعفاه : تركه .

(٢) ينسب الأبناء إلى الآباء ويفخرون بحسبهم ، أما المرأة فهي مجرد وعاء .

وقالوا :

شتان ما بينهما !

● الأمة تشتري بالعين ، وترد بالعيب ، والحرّة غُلّ (١) في عنق من صارت إليه !! .

(٢) الهجناء

للغرب والفرس :

أسماء ومسميات

العرب تسمى العجمي إذا أسلم : المسلماني ؛ ومنه يقال : مُسالمة السّواد .

والهجين عندهم : الذي أبوه عربي ، وأمه أعجمية .

والمدرّع : الذي أمه عربية ، وأبوه أعجمي .

وقال الفرزدق :

إذا باهليّ أنجبت حنظليّة له ولداً منها ؛ فذاك المدرّع

والعجميّ : النّصراني ونحوه ، وإن كان فصيحاً .

والأعجمي : الأخرس اللسان ، وإن كان مسلماً .

(١) الغل : القيد . والجمع أغلال .

(٢) الهجناء : جمع هجين وهو العربي الذي ولد من أمه . أو من أبوه خير من أمه - القاموس

المحيط .

ومنه قيل : زياد الأعجم ؛ وكان في لسانه لُكنة .

والفرس تسمى الهجين : دوشن ، والعبد : واشي ونجاش ، ومن تزوج أمة : نفاش ، وهو الذى يكون العبد دونه ، وسمى أيضا : بوركان .

والعرب تسمى العبد الذى لا يخدم إلا مادامت عليه عين مولاه : عبد العين .

وكان العرب في الجاهلية لا تورث الهجين .

وكانت الفرس تطرح الهجين ولا تعده (١) ، ولو وجدوا أماً أمة على رأس ثلاثين أما ، ما أفلح ولدها عندهم ولا كان آزاد ، ولا كان بيده مزاد . [والآزاد عندهم : الحر ، والمزاد : الریحان] .

★ ★ ★

وقال ابن الزبير لعبد الرحمن بن أم الحكم :

إذا قيل له من أبوك ؟ قال : أمى الفرس !

تبغلت لما أن أتيت بلادهم وفي أرضنا أنت الهمامُ القلمسُ (٢)
ألست ببغل أمه عريضة أبوه حمار أدبر الظهر يُنخسُ (٣)
وشبه المدرع بالبغل ؛ إذا قيل له من أبوك ؟ قال : أمى الفرس !

(١) أى تطرحه من حسابها ، ولا تعده ممن يتكاثر بهم ويتفاخر .

(٢) القلمس : السيد العظيم . وتبغل : صار بغلا .

(٣) ينخس بالمنخاس لينشط ، والكريم من الحيوانات من ينشط بنفسه .

مما احتج به الهجاء :

سيف أهلك زوجه !

● وما احتج به الهجاء : أن النبي ﷺ زوج ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب من المقداد بن الأسود .

وزوج خالدة بنت أبي لهب من عثمان بن أبي العاص الثقفي ؛ وبذلك احتج عبد الله بن جعفر ، إذ زوج ابنته زينب من الحجاج بن يوسف ، فعيره الوليد بن عبد الملك ، فقال عبد الله بن جعفر : سيف أهلك زوجه ! والله ما فديت بها إلا خيط رقبتى .

وأخرى أن النبي ﷺ : قد زوج ضباعة من المقداد ، وخالدة من عثمان بن أبي العاص ، ففيه قدوة وأسوة .

● وزوج أبو سفيان أم الحكم بالطائف في ثقيف .

● وقال لهدم الكاتب في عبد الله بن الأهم ، وسأله فحرمه (١) :

وما بنو الأهم إلا كالرحم لا شيء إلا أنهم لحم ودم
جاءت به جذام من أرض العجم أهتم سلاح (٢) على ظهر القدم
مقابل في اللؤم من خال وعم

بنو أمية وأولاد الإمام (٣) :

● وكانت بنو أمية لا تستخلف بنى الإمام ، وقالوا : لا تصلح لهم

العرب .

(١) أى لم يعطه .

(٢) السلاح من الطائر كالتفوط من الإنسان .

(٣) الإمام : جمع أمة ، وهى الجارية المستترقة .

فقال عبد الملك كالمستحي :

وما شرُّ الثلاثة أمَّ عمرو بصاحبك الذي لاتصبحينا (١)

★ ★ ★

بنو أمية في أولاد الأمهات :

لماذا !؟

● قال الأصمعيّ : كانت بنو أمية لاتبايع لبني أمهات الأولاد ؛ فكان الناس يرون أن ذلك لاستهانة بهم ، ولم يكن لذلك .

ولكن لما كانوا يرون أن زوال ملكهم على يد ابن أم ولد ؛ فلما ولي الناقص ظن الناس أنه الذي يذهب ملك بني أمية على يديه - وكانت أمه بنت يزيدجرد بن كسرى - فلم يلبث إلا سبعة أشهر حتى مات ؛ ووُثب مكانه مروان بن محمد - وأمّه كردية - فكانت الرواية عليه .

ولم يكن لعبد الملك ابن أسد رأيا ، ولا أذكي عقلا ، ولا أشجع قلبا ، ولا أسمح نفسا ، ولا أسخى كفا من مسلمة ؛ وإنما تركوه لهذا المعنى .

(١) من معلقة عمرو بن كلثوم وقبله :

صَدَدْتُ الكَأْسَ عِنا أم عمرو وكان الكَأْسُ مجراها اليمين

وبعضهم يروى هذين البيتين لعمرو بن أخت جذيمة الأبرش ، وذلك لما وجدته مالك وعقيل في البرية وكانا يشربان ، وأم عمرو هذه المذكورة تصد عنه الكأس ، فلما قال هذا الشعر سقياه ، وحمله إلى خاله جذيمة . ولهما حديث . وهذا البيت من شواهد سيويوه على أن اليمين نصب على الظرفية . كما جاء في شرح القصائد العشر للخطيب التبريزي .

شيء عن يحيى بن أبي حفصة :

كان يهوديا فأسلم .

● وكان يحيى بن أبي حفصة أخو مروان بن أبي حفصة يهوديا ، أسلم على يد عثمان بن عفان فكثرت ماله ، فتزوج خولة بنت مقاتل بن قيس بن عاصم ، ونقدها خمسين ألفا .

ويقول فيه القلاخ :

نبئت خولة قالت حين أنكحها :
لطالما كنتُ - منك العارَ - أنتظر
أنكحت عبددين ترجو فضل مالهما
في فيك - ممارجوت - التراب والحجر
لله در جيادٍ أنت سائسها
برذنتها (١) وبها التحجيل والغرر

فقال مقاتل يرد عليه :

وما تركت خمسون ألفاً لقائل
فإن قلم زوجت مولى فقد مضت
عليك - فلا تحفل - مقالة لائم
به سنة قبلي وحبُّ الدراهم
ويقال : إن غيره قال ذلك .

★ ★ ★

(١) حولتها إلى برازين بعد أن كانت جيادا كريمة محجلة تبدو غرتها . والبرذون الدابة . والبرذون التركي من الخيل وهو خلاف العراب - المصباح المنير .

الأدعياء

زياد بن عبيد :

أخاف هذا الجالس على المنبر !!

● أول دَعِيٍّ (١) كان في الإسلام واشتهر زياد بن عبيد ، دعى معاوية ، وكان من قصته أنه : وجهه بعض عمال عمر بن الخطاب رضى الله عنه على العراق إلى عمر بفتح كان ، فلما قدم وأخبر عمر بالفتح في أحسن بيان وأفصح لسان ، قال له عمر : أتقدر على مثل هذا الكلام في جماعة الناس على المنبر ؟ .
قال : نعم ، وعلى أحسن منه ، وأنا لك أهيب ! .

فأمر عمر بالصلاة جامعة ، فاجتمع الناس ، ثم قال لزياد : قم فاخطب وقص على الناس ما فتح الله على إخوانهم المسلمين . ففعل وأحسن وجوّد ، وعند أصل المنبر عليّ بن أبى طالب ، وأبو سفيان بن حرب . فقال أبو سفيان لعلى : أيعجبك ما سمعت من هذا الفتى ؟ قال : نعم . قال : أما إنّه ابن عمك ! قال : فكيف ذلك ؟ قال : أنا قذفته في رحم أمه سمية ! قال : فما يمنعك أن تدّعيه ؟ قال : أخاف هذا الجالس على المنبر - يعنى عمر - أن يفسد على إهابى . فلما وُلّي معاوية استلحقه بهذا الحديث ، وأقام له شهوداً عليه ؛ فلما شهد الشهود ، قام زياد على أعقابهم خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : هذا أمر لم أشهد أوّله ؛ ولا علم لى بآخره ؛ وقد قال أمير المؤمنين ما بلغكم ، وشهد الشهود بما قد سمعتم ، والحمد لله الذى رفع منا ما وضع الناس ، وحفظ ما ضيعوا ؛ فأما عبيد ، فإنما هو والد مبرور ، أو ربيب مشكور . ثم جلس .

(١) الدعيّ : من ينسب إلى غير أبيه ، وكان العرب يتيبنون من يرغبون في إلحاقهم بنسبهم ، فجاء القرآن ، وأبطل التبنى ، وقال : ﴿ ادعوهم لأبائهم ﴾ .

فقال فيه عبد الرحمن بن حسان بن ثابت :

ألا أبلغ معاوية بن حرب فقد ضاقت بما يأتي اليدانِ
أتغضب أن يُقال : أبوك عَفٌّ وترضى أن يقال : أبوك زانٍ ؟
وأشهد أن قُربك من زيادٍ كقُربِ الفيلِ من وُلْدِ الأتانِ (١)

وقال زياد :

ما هجيتُ بيت قط أشد علي من قول يزيد بن مفرغ الحميري :
فكر ففى ذاك إن فكرت معتبرُ هل نلتَ مكرمةً إلا بتأمير ؟
عاشت سمية ما عاشت وما علمت أن ابنها من قريشٍ في الجماهير
سبحان من ملك عباد بقدرته لا يدفع الناسُ محتوم المقادير
وكان ولد سمية : زياداً ، وأبا بكرة ، ونافعاً ، فكان زياد ينسب في قريش ،
وأبو بكرة في العرب ، ونافع في الموالي ؛ فقال فيهم يزيد بن مفرغ :

إن زياداً ونافعاً وأبا بكرة عندي من أعجب العجب
إن رجالاً ثلاثةً خُلِقُوا من رجم أنثى مخالفي النسب
ذا قُرشي فيما يقول ، وذا مولى ، وهذا ابن أمه عربى !

★ ★ ★

● وقال بعض العراقيين في أبي مسهر الكاتب :

حمارٌ في الكتابة يدعمها كدعوى آل حربٍ في زياد
فدع عنك الكتابة لست منها ولو غرقت ثوبك بالمداد (٢)

★ ★ ★

(١) الأتان : أنثى الحمار .

(٢) المداد : ما يكتب به وقد جاء في الكتاب العزيز : ﴿ قل لو كان البحر مدداً لكلمات ربي

لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جفنا بمثله مدداً ﴾ .

● وقال آخر في دَعَى :
لَعِينُ يورثُ الأبناءَ لعناً ويطبخُ كل ذى نسبٍ صحيح

★ ★ ★

يا حرسني خذ هذا الحجر !..

● عبد الله بن حجاج :
ولما طالت خصومة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، ونصر بن حجاج عند معاوية في عبد الله بن حجاج - مولى خالد بن الوليد - أمر معاوية حاجبه أن يؤخر أمرهما حتى يحتفل مجلسه ، فجلس معاوية وقد تلفع بمطرف خبز أخضر ، وأمر بحجر فأدنى منه ، وألقى عليه طرف المطرف ، ثم أذن لهما وقد احتفل المجلس ، فقال نصر بن حجاج : أخى وابن أبى ، عهد إلى أنه منه .
وقال عبد الرحمن : مولاي وابن عبد أبى وأمته ، ولد على فراشه . فقال معاوية : يا حرسني ، خذ هذا الحجر - وكشف عنه - فادفعه إلى نصر بن حجاج . وقال : يا نصر ، هذا مالك في حكم رسول الله ﷺ ؛ فإنه قال : « الولد للفراش ، وللعاهر الحجر » فقال نصر : أفلا أجريت هذا الحكم في زياد يا أمير المؤمنين ؟ قال : ذاك حكم معاوية ، وهذا حكم رسول الله ﷺ .

● وليس في الأرض أحسن من الأدياء لتستحق بذلك العربية .

قال الشاعر :

دَعَى واحدٌ أجدى عليهم من ألفى عالمٍ مثل ابن داب
ككلب السوء يحرسُ جانبيه وليس عدوّه غير الكلاب

(١) ينسب إلى من ولد على فراشه ، أما العاهرة فلها الحجر والرجم .

من طباع العرب

للأصمعي في دعوى :

● وقال الأصمعي : استمشى رجل من الأعداء ، فدخل عليه رجل من أصحابه ، فوجد عنده شيحا وقيصوما ، فقال له : ما هذا ؟ فقال : - ورفع صوته - الطبيعة تتوق إليه ! يريد أن طبيعته من طباع العرب ؛ فقال فيه الشاعر :

يَشْمُ الشَّيْحَ والقَيْصُومَ مَ كَى يَسْتُوجِبُ التَّسْبَا (١)

وليس ضميره في الصد ر إلا التين والعنبا

أبو سعيد الخزومي :

دعوى على دعوى

● وعن إسماعيل بن أحمد قال : رأيت على أبي سعيد الشاعر الخزومي كردوانيا مصبوغا بتوريد ، فقلت : أبا سعيد ، هذا خز ؟ قال : لا ، ولكنه دعوى على دعوى ، وكان أبو سعيد دعيا في بني مخزوم ، وفيه قال الشاعر :

متى تاه (٢) على الناس شريف يا أبا سعد
فته ما شئت إذا كنت بلا أب ولا جد
وإذا حظك في النسب بة بين الحر والعبد
وإذا فارقك الفحش ففى أمن من الحد

(١) الشيخ والقيصوم والقرأز : من النباتات التي كان العرب يتوق إلى شمها . ويتمتع بجمال منظرها حين تظل عليه بمرآها الجميل فيما حوله من صحراء ، وهو يحاكيم ليقال هو منهم .

(٢) تاه : اختال ، وفخر ، وزها .

تزوج ابن عبد العزيز في عبد القيس :

تعيون أمرا ظاهراً في بناتكم !!

● وعن أحمد بن عبد العزيز قال : نزلت في دار رجل من بني عبد القيس بالبحرين ، فقال لي : بلغني أنك خاطب ؟ قلت نعم . قال : فأنا أزوجك . قلت له : إني مؤلى . قال : اسكت وأنا أفعل ! فقال أبو بيجر فيهم :

أمن قلةٍ صرئتم إلى أن قبلتُم
وأصهَبَ رومِيّ ، وأسودَ فاحِمِ
شكولهم شتى وكلّ نسييكم
متي قال : إني منكمُ فمصدقُ
أكلهم وافي النساءِ جدوده
وكلهم قد كان في أولية
على علمكم أن سوف ينكح فيكم
فهلا أيتم عفة وتكرما
تعيون أمرا ظاهرا في بناتكم
متي شاء منكم مغرم كان جده
وحصنُ بن بدر أو زراة دارم
فقد صرت لأدرى وإن كنت ناسياً
وعلّ رجالُ الترك من آل مذحج
وعلّ رجالُ العجم من آل عالج
زعمتم بأن الهند أولاد خندف

دعاوة زراع وآخر تاجر
وأبيض جعِد من سراة الأحامر
لقد جئتم في الناس إحدى المناكر
وإن كان زنجياً غليظ المشافر (١)
وكلهم أوفى بصدق المعادر ؟
له نسبة معروفة في العشائر
فجدعا ورغما للأنوف الصواغر (٢)
وهلا وجلتم من مقالة شاعر ؟ (٣)
وفخركم قد جار كل مفاخر
عمارة عبس خير تلك العمائر
وزبانُ زبان الرئيس ابن جابر
لعل نجاراً من هلال بن عامر
وعلّ تميماً عصبة من يُحابر
وعلّ البوادي جُدلت بالحواضر
وبينكم قرنى وبين البرابر

(١) المشافر والأشفار الشفتان .

(٢) جدعا : قطعاً وفي المثل : « لأمرٍ ما جدع قصير أنفه » ! .

(٣) وجلتم : خفتم .

وذيّلم من نسل ابن ضبة باسيل
بنو الأصغر الأملأك أكرم منكم
وأولى بقرنانا ملوك الأكاسر (١)
ولم نر شراً في دعى مجاهر
ويشتم لؤما عرضه وعشيره
وإمدح جهلاً طاهراً وابن طاهر

★ ★ ★

● وقال زرارة بن ثروان أحد بنى عامر بن ربيعة بن عامر :

اختلط الأسافل بالأعلى !

قد اختلط الأسافل بالأعلى وباح الناس واختلط النجار (٢)
وصار العبد مثل أبن قبيس وسبق مع المعلهجة (٣) العشار

جعفر بن سليمان، وولده أحمد :

ثم تريد أن ينجبن !!

● وذكر جعفر بن سليمان بن على يوما ولده ، وأنهم ليسوا كما يجب ، فقال له ولده أحمد بن جعفر : عمدت إلى فاسقات المدينة ومكة وإماء الحجاز ، فأوعيت فيهم نطفك ، ثم تريد أن ينجبن؟! ألا فعلت في ولدك ما فعل أبوك فيك حين اختار لك عقيلة قومها؟! .

★ ★ ★

(١) الأكاسر : ملوك الفرس وواحدھا : كسرى .

(٢) النجار : الأصل .

(٣) المعلهجة : المهجين .

الأشعث وعلى :

من هذه يا أمير المؤمنين !؟

● ودخل الأشعث بن قيس على علي بن أبي طالب ، فوجد بين يديه صببية تدرج ، فقال : من هذه يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذه زينب بنت أمير المؤمنين . قال : زوجنيها يا أمير المؤمنين ! قال : اغرب (١) بفيك الكيثكث ولك الأثلب (٢) ! أغرك ابن أبي قحافة حين زوجك أم فروة ؟ .

إنها لم تكن من الفواطم ولا العواتك من سليم . فقال : قد زوجتم أخمل مني حسبا ، وأوضع مني نسبا : المقداد بن عمرو ، وإن شئت فالمقداد بن الأسود .

قال علي : ذلك رسول الله ﷺ فعله ، وهو أعلم بما فعل ؛ ولئن عدت إلى مثلها لأسوءئك ! .

● وفي هذا المعنى قال الكميّ بن زيد :

وما وجدت بنات بنى نزار حلائل أسودين وأحمرينا
وما حملوا الحمير على عتاق (٣) مطهمة فيلفوا مبالغينا
بنى الأعمام أنكحنا الأيامى وبالآباء سميننا البنينا

الهيثم بن عدى :

إذا نسبت عديا .. !؟

● عن العتبي قال : وكان الهيثم بن عدى فيما زعموا دعياً ، فقال فيه

الشاعر :

(١) اغرب : ابعد عنى . ورجل كَثَّ اللحية وكثيها . كنف شعر لحيته .
(٢) الأثلب : ويكسر ، التراب والحجارة ، أو فئاتها . كناية عن رده ردا قبيحا فليس له عنده إلا أن يخنو في وجهه التراب .
(٣) العتاق : كرام الخيل .

الهيثم بن عدى من تنقله في كل يوم له رحل على حسب
 إذا اجتدى^(١) معشراً من فضل نسبتهم فلم ينيلوه عداهم إلى نسب
 فما يزال له حل ومرتحل إلى النصرارى وأحياناً إلى العرب
 إذا نسبت عدياً في بنى ثعل

★ ★ ★

● وقال بشار القصيلي :

عربى من زجاج

إن عمراً ، فاعرفوه عربى من زجاج
 مظلم النسبة لايعرف إلا بالسراج
 ● وقال فيه :

عربى من قوارير

ارفق بنسبة عمر، حين تنسبه فإنه عربى من قوارير
 مازال في كبر حداد يردده حتى بدا عربياً مظلم النور
 ● وقال أيضاً في أدياء :

زائف الحسب

● هم قعدوا فانتقوا لهم حسبا يدخل بعد العشاء في العرب
 والناس قد أصبحوا صيارفة أعلم شىء بزائف الحسب

(١) اجتدى : سأل . (٢) إذا قدمنا الدال قبل العين في (عدى) يصبح (دعياً) .

● وقال أبو نُوَاس في أشجع بن عمرو :

قل لمن يدعى سُلَيْمِي سفاها لست منها ولا قلامة ظفر (١)

إنما أنت من سليمان كواو ألحقت في الهجاء ظلما بعمرو

● وقال فيه :

أيا متحيراً فيه لمن يتعجب العجب
لأسماءٍ تَعَلَّمَهُنَّ أشجع حين ينتسب
ولأحمد بن الحارث الخراز في حبيب الطائي :

لو أنك إذا جعلت أباك أوساً جعلت الجد حارثة بن لأم
وسميت التي ولدتك سَعْدَى فكنت مقابلاً بين الكرام

● وله فيه :

أنت عندي عربيٌّ ليس في ذاك كلام
شعر فخذيك وساقِي لك نُخْرَامِي وَثُمَامُ (١)
وضلوع الصدر من جسمك نبع وبشام (٢)
وقذى عينيك صمغ ونواصيك نُعَامُ (٣)
لو تحركت كذا لا نُجَفَلت منك نعمام

★ ★ ★

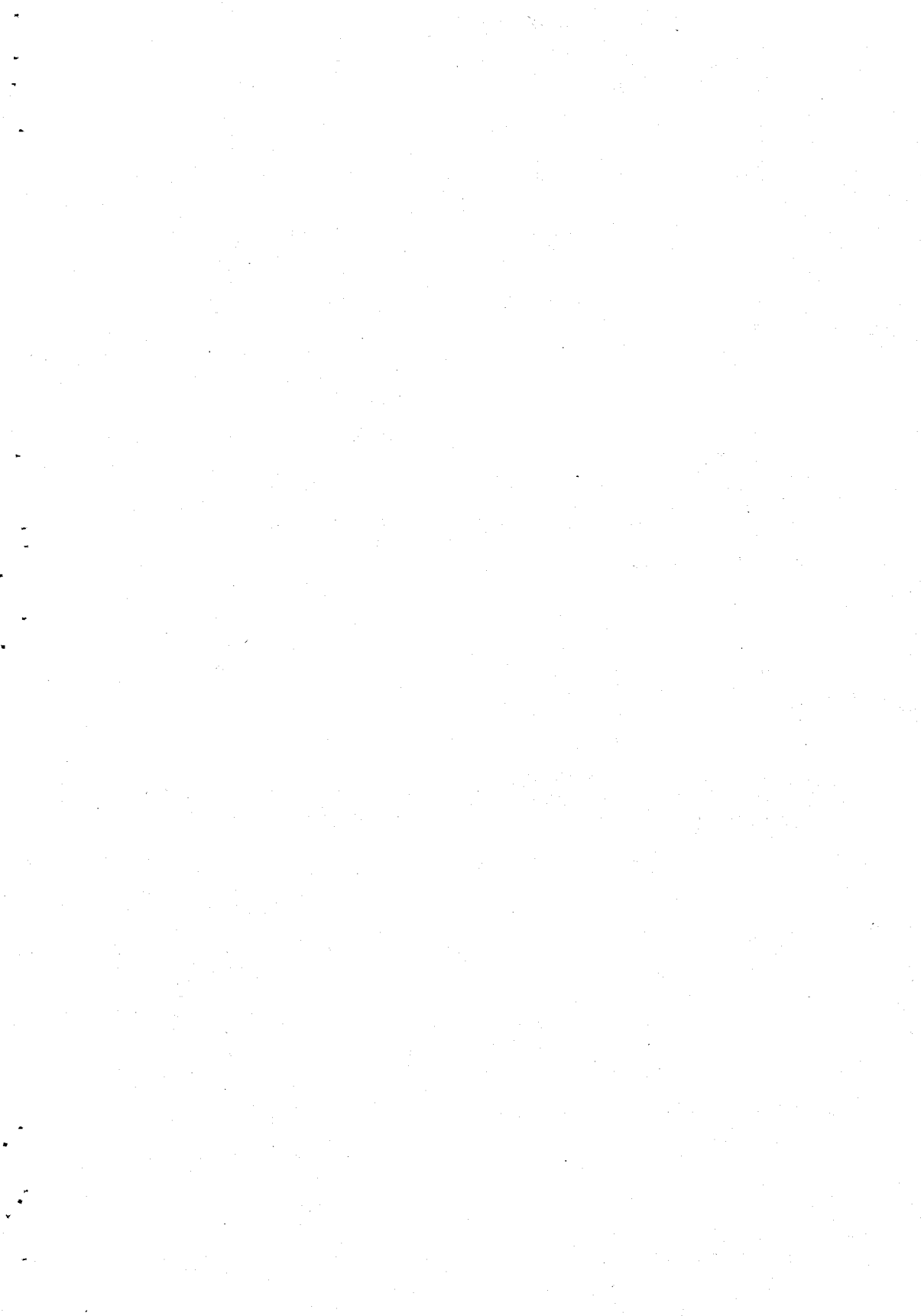
(١) قلامة ظفر ، ما يقلم من الأظافر وذلك كناية عن الشيء الصغير الحقير . والمراد أنه ليس بها أدنى اتصال .

(٢) وواو عمرو ليست من بنية الكلمة ، وإنما أخذوها من داود ، ولذا نراه بواو واحدة كما يقال .

(٣) من نبات الصحراء .

(٤) النبع : شجر للقيس وللسهام ، والبشام شجر عطر الرائحة ورقه يسود الشعر ويُستاك بقضبه .

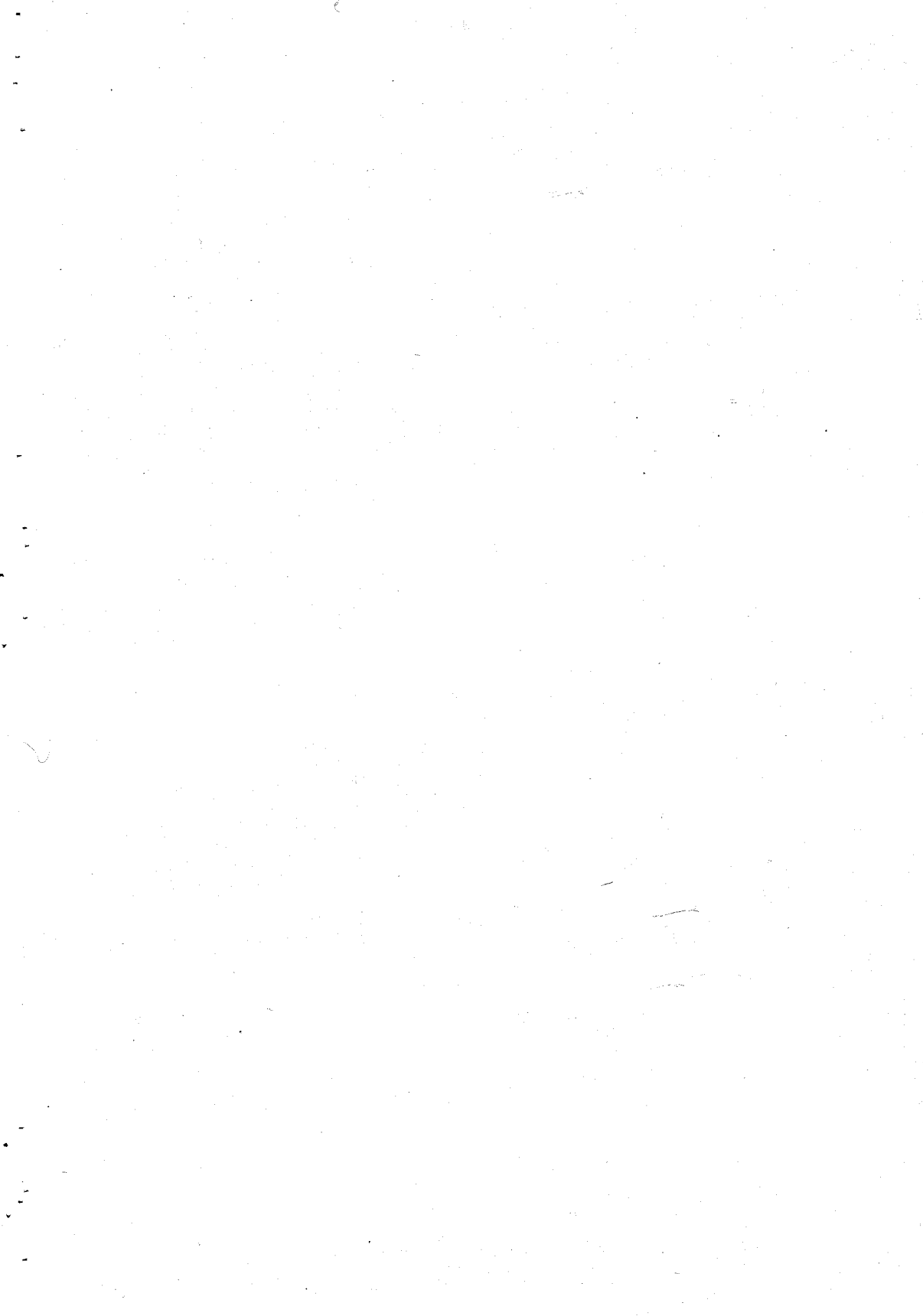
(٥) والثغام نبات أبيض ، وأنعم الرأس صار كالثغامه بياضاً .



الباب الرابع

سمات الجمال وأحوال المحبين

- الحسن من منظور عربى .
- رقة التشيب .
- قولهم فى الغزل .
- التزين والتطيب .
- ما يكتب على العصائب وغيرها .
- ما يعترى المحبين من نحول وشحوب .
- عند الوداع .



بين يدي هذا الباب

تُرى لو سئلت عن أحسن النساء - في عصرنا - فماذا يكون جوابك ؟ .

وهل « مقاييس العصر » تلتقى مع تلك المقاييس التي تحدث عنها ابن عبد ربه ؟ .

وهل ترانا نجد في إجابات الآخرين قدرا مشتركا تلتقى كلمتنا عليه ، إن وجهنا إليهم هذا السؤال ؟ .

وهل الحب أعمى ؟ والأمر قسمة ونصيب !! .

وإلى أى مدى تختلف وجهات النظر في صفات الحسن ، وهل حقا للناس فيما يعشقون مذاهب ؟ .

● قيل لأعرابي : أتحسن صفة النساء ؟ قال :

إذا عذب ثناياها ، وسهل خذاها ، ونهد ثدياها ، وفعم ساعداها والتف فخذاها ، وعرض وركاها ، وجدل ساقاها ، فتلك هم النفس ومناها .

● وقالوا : أحسن النساء : الرقيقة البشرة ، النقية اللون ، يضرب لونها بالعداة إلى الحمرة ، وبالعشبي إلى الصفرة ! .

ويحدثنا ابن عبد ربه عن صفات الحسن التي هام بها الشعراء والمحبون وملئوا الدنيا تشبيها وغزلا رقيقا .. وتترأى لنا كما عبروا عنها مجتمعة في محبوبتهم فإذا هي : جميلة من بعيد ، مليحة من قريب ! .

ثم يحدثنا عن التزين والتطيب .. وحب الزينة - كما يقول الأستاذ العقاد في كتابه : « المرأة في القرآن » ... أصل من أصول الرياء يشاركها فيه الرجل في ظاهر الأمر ، ولكنه يخصها في جانب غير مشترك بينها وبين زينة الرجولة ؛ فإن الرجل يتزين ليعزز إرادته .

وإنما تتزين المرأة لتعزز إرادة غيرها في طلبها ! .

وليست الزينة التي تتراد للإغراء بالقبول ؛ كالزينة التي تتراد للإغراء بالطلب ؛ فإن الفرق بينهما هو الفرق بين :

الإرادة والانقياد ، وبين من يريد ، ومن ينتظر أن يُراد !! ولا يفوت ابن عبد ربه أن يحدثنا عما يكتب على العصائب من شعارات الحب والهيام .. وما يعترى المحبين من شحوب ونحول . . .

وأخيرا يعرض علينا لحظات الوداع والفراق وما يصحبها من :
عبرات تبعث الأسى ... وأنفاس حارة ، ودموع دامية وخوف ألا يكون لقاء ... حيث يفتضح العاشق في يوم الزحيل !! ... عفوا إن كنت أطلت وأرجو ألا أكون قد أثقلت ! ولا أقول وداعا ، ولكن إلى لقاء في الباب القادم بعد أن تستمتع بهذا الباب ! .

★ ★ ★

صفات الحُسن

الحسن كما يروونه :

أهو حمرة في صفرة ؟

عن أبي الحسن المدائني قال :

الحسن أحمر ، وقد تضرب فيه الصفرة مع طول المكث في الكن (١) ، والتضمخ (٢) . بالطيب ، كما تضرب بيضة الإدحى (٣) ، واللؤلؤة المكنونة .

وقد شبه الله عز وجل في كتابه فقال :

﴿ كأنهن يبيض مكنون ﴾ (٤) .

وقال الشاعر :

كأن يبيض نعام في ملاحفها إذا اجتلاهن قيظ ليلة ومد (٥)

لون ورد كسا البياض احمرارا

وقال آخر :

مروزي (٦) الأديم تغمره الصفرة حيناً لا يستحق اصفرارا
وجرى من دم الطبيعة فيه لون ورد كسا البياض احمرارا

(١) الكن : البيت وجمعه أكنان وأكنة ، والكن وقاء كل شيء وستره .

(٢) ضَمَخَ جسده بالطيب لطخه به .

(٣) الأدحى : مبيض النعام في الرمل .

(٤) الصافات : ٤٩ .

(٥) الوَمَد : محرقة الحر الشديد مع سكون الريح أوندى يجيء في صميم الحر من قبل البحر

ويقال : ليلة وَمَدٌ ، وومدةٌ . أو شدة حر الليل ، مع وجود رطوبة الجو .

(٦) ثياب مروزية : نسبة إلى مرو من بلاد فارس .

لقد أصبحت جميلا !

وقالت امرأة خالد بن صفوان (١) له :

لقد أصبحت جميلا ! فقال لها : وما رأيت من جمالي وما فيّ رداءُ
الحسن ولا عموده ، ولا بُرنسه ؟ قالت : وكيف ذلك ؟ قال :

عمود الحسن : الشَّطَّاط (٢) ، ورداؤه : البياض ، وبرنسه : سواد
الشعر .

رقة البشرة وشفاء الأديم (٣) :

وقالوا : إن الوجه الرقيق البشرة ، الصافي الأديم ، إذا خجل يحمرُّ ،
وإذا فرّق يصفر .

ومنه قولهم : ديباج الوجه - يريدون تلونه .

حمرة خلطت صفرة في بياض :

وقال عدى بن زيد يصف لون الوجه :-

حمرة خلطت صفرة في بياض مثل ما حاك حائك ديباجا (٥)

الحسن ... يرون فيه ألوان الشمس بالضحى ... والعرار بالعشى ...
والفضة والذهب والدر .. والعقيق ... والورد ! :

(١) خالد بن صفوان : من فصحاء العرب المشهورين كان يجالس عمر بن عبد العزيز ، وهشام
ابن عبد الملك وله معهما أخبار . وجاء في كتاب الأعلام للزركلي : إنه لم يتزوج .

(٢) الشَّطَّاط ؛ كسحاب وكتاب : الطول وحسن القوام واعتداله .

(٣) الأديم : الجلد .

(٤) الفرق : الخوف .

(٥) الديباج : حرير سميك .

وقال : إن الجارية الحسنة تتلون بلون الشمس ، فهي بالضحي
بيضاء ، وبالعشى صفراء :

وقال الشاعر :

بيضاء ضَحَوْتُهَا وصفها _____ رَأَى العِشِيَةَ كالعرارة (١)

وقال ذو الرمة :

بيضاء صفراء قد تنازعها لوانان من فضة ومن ذهب

ومن قولنا :

بيضاء يَحْمُرُ خداهما إذا خجلت كما جرى ذهب في صفحتي ورق (٢)

ومن قولنا :

كم شادن (٣) لطف الحياء بوجهه فأصاره ورداً على وجناته

ومن قولنا :

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله دُرّاً يعود من الحياء عقيقاً (٤)

ومن قولنا .

عقائل كالآرام (٥) أما وجوهها فدر ، ولكن الخلود عقيق

★ ★ ★

(١) العرارة : بهاء البر . واحدته عرارة ، وزهره أصفر طيب الرائحة ويقول الشاعر :

تتبع من شميم عرارة نجد فما بعد العشية من عرارة

(٢) الورق : الفضة .

(٣) شادن الغزال فهو شادن إذا قوى وطلع قرناه واستغنى عن أمه ويشبهون الفتاة بالغزال .

(٤) العقيق : هناك أنواع من العقيق كثيرة في ألوان بيضاء وسمرءة وحمراء وزرقاء وهناك أنواع

تصبع حسب الطلب ، وهو من الأحجار الكريمة وكان المعروف لدى الشعراء الأحمر فراحوا يتغنون
بجماله ، والدر أبيض .

(٥) العقيلة من النساء الكريمة المخدرة (المصونة في خدورها) والآرام جمع رئم : الظبي الأبيض .

الجميلة من بعيد ... المليحة من قريب :

ومن قولهم في الجارية :

جميلة من بعيد ، مليحة من قريب ؛ فالجميلة التي تأخذ بصرك جملة على بعد ، فإذا دنت لم تكن كذلك .

والمليحة : التي كلما كررت فيها بصرك زادتك حسنا .

وقال بعضهم :

الجميلة : السمينة من الجميل ، وهو الشحم .

والمليحة : أيضا من الملحة ، وهو البياض .

والصبيحة : مثل ذلك ؛ يشبهونها بالصبح في بياضه .

★ ★ ★

قولهم في رقة التشيب (١)

● ومن الشعر المطبوع الذي يجرى مع النفس رقة ، ويؤدى عن الضمير إبانة ، مثل قول العباس بن الأحنف :

وليلة ما مثلها ليلة	صاحبها بالسعد مفجوع
ليلة جئناها على موعد	نسرى وداعى الشوق متبوع
لما خبت نيرانها وانكفأ الـ	سامرُ عنها وهو مصروع ^(٢)

(١) لا نكاد نجد فرقا في الاستعمال اللغوي بين كلمات : الغزل ، والتشيب والنسيب فاللغويون يعرفون إحدى هذه الكلمات بالأخرى ، ومغازلة النساء محادثتهن ، وذكر محاسن المرأة في الشعر : وإذا كان الغزل في أصله حديثا إلى النساء فإن النسيب أن ينسب الشاعر إلى نفسه هوى مبرحا وحبا عنيفا وأن يتحدث عما ينسب إلى المرأة من ديار وآثار ، أما التشيب فهو إبراز الصفات وتجليتها للعيون .

(٢) انكفأ السامر : انصرف .

قامت تشنى وهى مرعوبة
حتى إذا ما حاولت خطوة
بكى وشاحاها على متنها
فانتبه الهادون من أهلها
ياذا الذى نم علينا لقد
لا تشغينى أبدا بعدها
مابال خلخالك ذا خرسية
عاذلتى فى حيا أقصرى

تَوَدُّ أَنْ الشَّمْلَ مجموع
والصدر بالأرداف مدفوع (١)
وإنما أبكاهما الجوع (٢)
وصار للموعد مرجوع
قلت ومنك القول مسموع
إلا ونمامك منزوع
لسان خلخالك مقطوع
هذا لعمري عنك موضوع

● وفى معناه لبشار بن برد

سیدی لا تَأْتِ فى قمر
وتوق الطيب ليلتنا إنه واشى إذا سطعا

● وله أيضا

يقولان لو عزيت قلبك لارعى (٤) فقلت وهل للعاشقين قلوب!؟

● كثيرٌ وشعر جميل :

الأصمعى قال : سمع كثيرٌ عزةً منشداً ينشد شعر جميل بن معمر الذى

● يقول فيه :

ما أنت والوعد الذى تعديننى
تقضى الديون ولست تقضى عاجلا
ياليتنى ألقى المنية بغتةً
إلا كبرق سحابة لم تمطر
هذا الغريم ولست فيه بمعسر
إن كان يوم لقائكم لم يُقدر (٥)

(١) والصدر مدفوع بالأرداف والمراد بها العجز .

(٢) المتن : الظهر .

(٣) ليالٍ دُرْع : ثلاث ليل تلى البيض لاسودادٍ أوائلها ، و ليلة درعاء يطلع قمرها عند الصبح .

(٤) ارعى عن القبيح : ارتدع وأقلع عما كان فيه .

(٥) المنية : الموت .

يهوك ماعشت الفؤاد وإن أمت يتبع صداى صداك بين الأقبير (١)
فقال كثير :

هذا والله الشعر المطبوع (٢) ، ما قال أحد مثل جميل ، وما كنت
إلا راويةً لجميل (٣) ، ولقد أبقى للشعراء مثالا تحتذى عليه .

الفرزدق وشعر لابن أبي ربيعة :

وسم الفرزدق رجلا ينشد شعر عمر بن أبي ربيعة الذى يقول فيه

وقالت وأرخت جانب الستر إنما معى فتحدث غير ذى رقية أهلى
فقلت لها : مالى لهم من ترقيب ولكن سرى ليس يحمله مثل
فقال الفرزدق :

هذا والله الذى أرادت الشعراء أن تقوله فأخطأته وبكت على الطلول (٤) .
وإنما عارض بهذا الشعر جميلا فى شعره الذى يقول فيه :

خليلى فيما عشتما هل رأيتما قتيلا بكى من حب قاتله قبلى ؟
فلم يصنع عمر مع جميل شيئا ! .

● ولبشار بن برد :

وج قلبى مابه من حبها ضاق من كتانه حتى علن
لا تلم فيها وحسن حبها كل ما مرّت به العين حسن

(١) الأقبير : جمع قبر . والصدى رجع الصوت . ويقصد أن روحه سوف تتابع روحها ، وتظل
متعلقة بها .

(٢) الشعر المطبوع : غير المتكلف الصادر عن طبيعة الإنسان واتسم بالصدق .

(٣) الراوية : كان لكل شاعر راوية يحفظ شعره ويردده ويرويه وينشره .

(٤) الطلول : جمع طلل . ما بقى من آثار ديار المحبوبة . حيث كان اللقاء والأنس :

قولهم في الغزل

● قال رجل لمحمد بن سيرين :

ما تقول في الغزل الرقيق يُنشده الإنسان في المسجد ؟ .
فسكت عنه حتى أقيمت الصلاة ، وتقدم إلى المحراب ، فالتفت إليه ،
فقال :

وتبردُ بردَ رداءِ العرو س في الصيف رقرقت فيه العبيراً
وتسخنُ ليلة لا يستطيع نباها بها الكلبُ إلا هريراً (١)

ثم قال : الله أكبر .

● الحجاج وأبو هريرة :

وقال الحجاج :

دخلت المدينة فقصدت إلى مسجد النبي ﷺ فإذا بأبي هريرة قد أكبَّ
الناس عليه يسألونه ، فقلت : هكذا ! افرجوا لي عن وجهه . فأفرج لي عنه .
فقال له : إني إنما أقول هذا :

طاف الخيلان فهاجا سقما خيالَ أروى وخيالَ تكتما
ثريك وجهاً ضاحكا ومعصما وساعداً عبلاً (٢) وكفا أدرما

فما تقول فيه ؟ قال : لقد كان رسول الله ﷺ يُنشدُ (٣) مثل هذا في
المسجد فلا ينكره .

(١) العبير : أخلاط من الطيب . والهير : صوت الكلب أقل وأخفض من النباح لقلته صبره
على البرد ويقصد : أنها باردة الصيف . سخنة المشتى .

(٢) عبلاً : ضخماً ممتلئاً ، وكفا أدرما : ناعماً أملس ، لينا واره اللحم .

(٣) ينشد : أي يقال ويلقى في حضرته مثل هذا الشعر فلا ينكره كما سيأتي في أبيات الغزل التي
ألقاها كعب بن زهير في المسجد بين يديه ، وخلع برده عليه ، وعفا عنه .

كعب بن زهير بين يدي النبي * ودعوة القمبة لا تدفع

ودخل كعب بن زهير على النبي ﷺ فمثل بين يديه وأنشده :

- بانث سعاد فقلبي اليوم متبولٌ متيمٌ إثرها لم يُفد مكبولٌ (١)
وما سعاد غداة الين إذ رحلوا إلا أعنُّ غضيضُ الطرفِ مكحولٌ (٢)
هيفاءٌ مُقبلةٌ عجزاءٌ مُدبرةٌ لا يُشتكى قصرٌ منها ولا طولٌ (٣)
فما تدومُ على حالٍ تكونُ بها كما تَلَوْنُ في أثوابها العولُ (٤)

* كان واحدا من الشعراء الذين هجوا الرسول ﷺ ولكنه جاء تائبا فقبل الرسول توبته وأهداه برده .
(١) بانث : فارقت فراقا بعيدا . وسعاد : اسم امرأة . وقيل : هي امرأته وابنة عمه ، وقد خصها بالذكر لطول غيبته عنها ؛ لهروبها من النبي ﷺ بعد أن هجاه . ومتبول : أسقمه الحب وأضناه . ومتيم : ذليل مستعبد . ولم يفد : لم يخلص من الأسر . ومكبول : مقيد . وهو يريد : أن محبوبته فارقت ، فصار قلبه في غاية الضنى والسقم والذل والأسر ، لا يجد من قيده فككا ، ولا يستطيع من سجنه خلاصا .

(٢) الأعن : الظبي الصغير الذي في صوته غنة ، وهي صوت يخرج من الخياشيم . والطرف : النظر ، وغضيض الطرف : فاتره . ومكحول من الكحل (يفتح الحاء) وهو سواد يعلو جفون العين من غير اكتحال . شبه محبوبته وقت الفراق بالظبي الموصوف بغنة الصوت ، وغض البصر ، والكحل . وهي من صفات الجمال .

(٣) هيفاء : من الهيف (بتحريك الياء) وهو ضمور البطن ودقة الخاصرة . ومقبلة : حال وعجزاء : أي كبيرة العجز وهو الردف . إنه يصفها في حال إقبالها وإدبارها . لا يشتكى الرأي عند رؤيتها قصرها فيها . وهو يريد : أن محبوبته يحسن منظرها في كل حال ^{حين} فإذا أقبلت فهي هيفاء ، وإذا أدبرت فهي عجزاء ، وهي متوسطة بين الطول والقصر .

(٤) العول : ساحرة الجن في زعمهم . يزعمون أن العول تُرى في الصحراء بألوان شتى ، فتأخذ جانباً عن الطريق ، فيتبعها من يراها ، فيضل عن الطريق فيهلك . وهو يريد أن هذه المحبوبة لا تلوم على حال تكون عليها ، بل تتغير من حال إلى حال ، فتتلون بألوان شتى ، وترى في صور مختلفة كما تتلون العول في أثوابها بألوان كثيرة .

ولا تمسك بالعهد الذى وعدت
 كانت مواعيد عُقُوبٍ لها مثلاً
 إلا كما يُمسك الماء الغرايبيل (١)
 وما مواعيدُها إلا الأباطيل (٢)
 إن الأمانى والأحلام تَضليل (٣)
 فلا يَعْرُنْكَ ما مَنَّتْ وما وَعَدَتْ

ثم خرج من هذا إلى مدح الرسول ﷺ فكساه بردا اشتراه منه معاوية
 بعشرين ألفاً .

● ومن قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود فى الغزل :

كتمت الهوى حتى أضربك الكتم
 وتَمَّ عليك الكاشحون (٤) وقبل ذا
 ولامك أقوامٌ ولومهم ظلم
 عليك الهوى قد نم لو نفع النَم
 عَناها ، ولا تحيا حياة لها طعم
 فىا من لنفس لا تموت فينقضى
 ألا إن هجران الحبيب هو الإثم
 تجنبت إتيان الحبيب تأثماً (٥)

● ومن شعر عروة بن أذينة ، وهو من فقهاء المدينة وعُباها ، وكان من أرق
 الناس تشبيها :

قالت وأبثتها وجدى (٦) وبحت به
 قد كنت عندى تُحبُّ الستر فاستتر

(١) تَمَسَّكُ : أى تَمَسَّكُ . يشبه تمسكها بالعهد بإمساك الغرايبيل للماء . مبالغة فى النكث
 والنقض وعدم الوفاء بالعهد ؛ لأن الماء بمجرد وضعه فى الغربال يسقط منه .
 (٢) كانت : صارت . وعُقُوب (بضم العين) رجل اشتهر عند العرب بإخلاف الوعد ،
 ف ضرب به المثل فى الخلف . والأباطيل جمع باطل .
 (٣) ما منت : ما مَنَّتْك إياه وحملتك على تمنيه أو ما كذبت عليك فيه من الوصل ، وما وعدتك
 به من ترك الهجر ؛ فإن الأمانى التى يتمناها الإنسان والأحلام التى يراها فى المنام سبب فى الضلال ،
 وضياع الزمان .

(٤) الكاشحون : جمع كاشح وهو الذى يضير العداوة .

(٥) تأثماً : تخرجا .

(٦) وجدى : حى وفى رواية شجوى .

أَلَسْتَ تُبْصِرُ مَنْ حَوْلِي ؟ فقلت لها غطى هواك وما ألقى على بصرى (١)
● وقد وقفت عليه امرأة فقالت :

أنت الذى يقال فيك الرجل الصالح وأنت القائل :

إذا وجدتُ أوار (٢) الحب فى كبدى غدوتُ نحو سقاءِ الماءِ أبتد
هبنى بردت ببرد الماءِ ظاهره فمن لئارٍ على الأحشاء تتقدُّ ؟

والله ما قال هذا رجل صالح ؛ .

وكذبت عدوة الله عليها لعنة الله ؛ بل لم يكن مرثيا ، ولكنه كان
مصدورا فنفت (٣) .

● ومن قول عبد الله بن المبارك (٤) ، وكان فقيها ناسكا شاعرا رقيق
النسيب معجب التشبيب حيث يقول :

زعموها سألت جارتها وتبعت ذات يوم تبترد (٥)
أكما ينعتنى تُبْصِرُنِي عَمَرَ كُنَّ اللهُ أَمْ لَا يَقْتَصِدُ (٦)
فتضحكن وقد قلن لها حسنٌ فى كلِّ عينٍ من تود (٧)
حسداً حملته من شأنها وقديماً كان فى الحبِّ الحسد

● وقال شريح القاضى وكان من جلة التابعين والعلماء المتقدمين ،
استفضاه (٨) على رحمه الله ومعاقبة ، وكان يزوج امرأة من بنى تميم تسمى زينب .

(١) غطى هواك ... أى ستر حتى لك كل شىء عنى فلا أرى غيرك .

(٢) أوار الحب : حره وهيبه ! .

(٣) يقصد أنه أخرج ما كان يعانى منه فى صدره ، وصرح بما يعانىه .

(٤) الأبيات للشاعر القرشى عمر بن أبى ربيعة زعيم الغزيرين وقد مات سنة ٩٣ هـ المنتخب

من أداب العرب وليس كما يقول صاحب العقد وأول القصيدة :

ليت هذا أنجزتنا ما تعدد وشفقت أنفسنا مما نجد

(٥) تبترد : تصب الماء البارد على رأسها .

(٦) ينعتنى : يصفنى ، وعمرُ كُنَّ اللهُ : أى أذكر كُنَّ اللهُ . يقصد : يعتدل فلا يبالغ .

(٧) أى أن من تحبه تعتقد أنه حسن لدى جميع الناس .

(٨) استفضاه : ولاه القضاء .

فنقم عليها فضربها ، ثم ندم فقال :
رأيت رجالا يضربون نساءهم
فشئت يميني يوم أضرب زينبا
أأضربها من غير ذنب أتت به
فما العدل مني ضرب من ليس أذنباً؟
فزينب شمسُ والملوك كواكبُ
إذا برزت لم تُبَد منهن كوكبا (١)

★ ★ ★

لبعض الأعراب :

- ذكر أعرابي امرأة فقال :
لها جلد من لؤلؤ مع رائحة المسك ، وفي كل عضو منها شمس
طالعة (٢) ! .
- وذكر أعرابي امرأة ، فقال : كاد الغزال أن يكونها لولا ماتم منها ،
وما نقص منه ! .
- وقال أعرابي في امرأة ودعها للمسير : والله ما رأيت دمعة تترقق
من عين بإثم (٣) على ديباجة خد ، أحسن من عبرة أمطرتها عينها ، فأعشيب
لها قلبي ! .
- وقال : سمعت أعرابيا يقول : إن لي قلبا مروعاً ، وعينا دموعاً ؛
فماذا يصنع كل واحد منهما بصاحبه ، مع أن داءهما دواؤهما ، وسقمهما
شفاؤهما !!؟

(١) هذا البيت مأخوذ من قول النابغة الذبياني للنعمان في الاعتذار والمدح
فإنك شمسُ والملوك كواكبُ إذا طلعت لم يبُد منهن كوكب
(٢) مشرقة ومتألقة .
(٣) الإثم : عنصر معدني يكتمل به (الكحل) .

● وقال أعرابي : دخلت البصرة فرأيت أعينا دعجاً (١) ، وحواجب زجاً (٢) ، يسحبن الثياب ، ويسلبن الألباب .

● وذكر أعرابي امرأة فقال :

خلوت بها ليلة يزينها القمر ، فلما غاب أرتنيه . قلت له :
فما جرى بينكما ؟ فقال : أقرب ما أحل الله مما حرم : الإشارة بغير
باس والتقرب من غير مساس .

● وذكر أعرابي امرأة فقال : هي أحسن من السماء ، وأطيب من

الماء .

● قال : وسمعت أعرابيا يقول :

ما أشد جولة الرأى عند الهوى ، وفضام النفس عن الصبا (٣) ، ولقد
تقطعت كبدى للعاشقين ، لوم العاذلين قرطة (٤) في آذانهم ، ولوعات الحب
جبرات على أبدانهم ، مع دموع على المغاني ، كغروب السواني (٥) .

● وذكر أعرابي امرأة فقال :

لقد نعمت عين نظرت إليها ، وشفى قلب تضجع عليها ، ولقد كنت
أزورها عند أهلها ، فيرحب بي طرفها (٦) ، ويتجهمني لسائها . قيل له : فما
بلغ من حبك لها ؟ .

(١) الدّعج : جمع دعجاء ، وهي شديدة السواد مع سعتها .

(٢) الزّج : الدقيقة ، ويقول الشاعر : « وزججن الحواجب والعيون » والزّجاء : الدقيقة

الحاجبين الممتدتهما حتى كأنهما خطاً بقلم .

(٣) الصّبا : الشوق والعشق والهيام في الحب .

(٤) ما يعلق في شحمة الأذن جمع قرط .

(٥) المغاني جمع مغنى منزل المخين حيث يجد الإنسان المحب ما يقنيه عن كل الدنيا والغروب :

جمع غُرب وهو الدلو ، والسواني جمع سانية وهي ما سقى عليه من بعير وغيره .

(٦) كما يقول الشاعر :

أشارت بطرف العين خيفة أهلها	إشارة محزون ولم تتكلم
فأيقنت أن الطرف قد قال : مرحبا	وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم
أو كما يقول آخر : لساني عليه	وقلبي معه

قال : إني ذاكر لها وبينى وبينها عدوة الطائر ، فأجد لذكرها ربح المسك .

● وذكر أعرابي نسوة خرجن متنزهات ، فقال :
وجوه كاللدنانير (١) ، وأعناق كأعناق اليعافير (٢) ، وأوساط كأوساط الزنابير ، أقبلن إلينا بحجول (٣) تخفق ، وأوشحة (٤) تعلق ، وكم أسير هن ؟ وكم مطلق ؟ .

● قال : وسمعت أعرابيا يقول : اتبعت فلانة إلى طرابلس الشام ، والحريص جاحد ، والمضل ناشد ، ولو خضت إليها النار ما أمتها .
● قال :

وسمعت أعرابيا يقول :
الهوى هوان ، ولكن غلط باسمه ، وإنما يعرف من يقول : من أبكته المنازل والطلول .

● وقال أعرابي :
كنت في الشباب أعض على الملام ، عَضَّ الجواد على اللجام ، حتى أخذ الشيب بعنان شبابي .

● وذكر أعرابي امرأة فقال :
إن لساني لذكرها لذلول ، وإن حبها لقلبي لقتول ، وإن قصير الليل بها ليطول .

(١) جمع دينار ، ويشبهها بها في الاستدارة واللمعان .
(٢) اليعافير : جمع يَفُور ، وهو الظبي بلون التراب أو عام . وقد تضم الياء .
(٢) الحجول : جمع حجل . الخَلخال . وفي القرآن : ﴿ ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ﴾ .
(٤) الأوشحة : جمع وشاح . أديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحتها .

● ووصف أعرابي نساء ببلاغة وجمال فقال :
كلامهن أقتل من النبل ، وأوقع بالقلب من الوبل بالمحل (١) ،
فروعهن (٢) أحسن من فروع النخل .

● ونظر أعرابي إلى امرأة حسناء جميلة تسمى ذلفاء ، ومعها صبي
يبكى ، فكلما بكى قبلته ، فأنشأ يقول :

ياليتنى كنت صبيا مرضعا تحملني الذلفاء حولاً أكتعا (٣)
إذا بكيت قبلتني أربعا فلا أزال الدهر أبكى أجمعا

● العتبي قال : وصف أعرابي امرأة حسناء فقال :
تبسم (٤) عن خمش اللثا ، كأقاحي النبات ، فالسعيد من ذاقه ،
والشقي من راقه .

● وقال العتبي : خرج ليلة حين انحدرت النجوم ، وشالت
أرجلها ، فمازلت أصدع الليل حتى انصدع الفجر فإذا بجارية كأنها علم ،
فجعلت أغازلها ، فقالت :

يا هذا أمالك ناه من كرم ، إن لم يكن لك زاجر من عقل ! قلت : والله
ما يراني إلا الكواكب ، قالت : فأين مكوكبها !؟ .

● ذكر أعرابي امرأة فقال :
هي السقم الذي لا يبرء معه ، والبرء الذي لا سقم معه وهي أقرب من
الحشا ، وأبعد من السما .

(١) الوبل بالمحل : المطر بالأرض الجدباء .

(٢) يقصد الضفائر .

(٣) كاملا .

(٤) تبسم أي تتبسم فحذفت تاؤه تخفيفا على المتكلم . واللثا جمع لثة . والأقاحى جمع

أقحوان : نبات أوراق زهره مفلجة صغيرة يشبهون بها الأسنان واحده أقرحانة .

● وقال أعرابي - وقد نظر إلى جارية بالبصرة في ماتم - :

بصرية لم تبصر العين مثلها غدت بيباض في ثياب سواد
غدوت إلى الصحراء تبكين هالكا فأهلكت حيا، كنت أشأم عاد (١) !
فيارب خذ لي رحمة من فؤادها وحل بين عينها وبين فؤادي

● وقال في جارية ودعها :

مالت تودعني والدمع يغلبها كما يميل نسيم الريح بالغصن
ثم استمرت وقالت وهي باكية ياليت معرفتي إياك لم تكن

● العتبي قال : أنشد أعرابي :

يازين من ولدت حواء من ولد لولاك لم تحسن الدنيا ولم تطب
أنت التي من أراه الله صورتها نال الخلود فلم يهرم ولم يشب

● وأنشد الرياشي لأعرابي :

من دمنة خلقت عينك في هتن فما يرد البكا جهلاً من الدمن (٢)
ماكنت للقلب إلا فتنة عرضت يا حبذا أنت من معروضة الفتن
تسوء سلمى وأجزئها به حسناً فمن سواي يجازي السوء بالحسن ؟

● قال : وسمعت أعرابيا يصف امرأة فقال :

بيضاء جعدة ، لا يمس الثوب منها إلا مشاشة (٣) كتفها ، وحلمتي
تديها ، ورضفتي ركبتها ، ورائفتي أليتها ، وأنشد :

(١) أشأم عاد : الأشأم الذي يأتي بالشؤم . وأشأم عاد كان سببا في هلاك قومه عاد ، وشؤمهم .

(٢) الدمنة بقية الماء في الحوض . وعين هتون : تصب الدمع .

(٣) المشاشة رأس العظم اللين .

(٤) الرصفة عظام في الركبة كالأصابع المضمومة .

أبت الروادف والئدى لقمصها مس البطون وأن تمس ظهورا
وإذا الرياح مع العشى تناوحت نبهن حاسدة وهجن غيورا
● وقال أعرابي :

ليت فلانة حظى من أملى ، ولرب يوم سرته إليها حتى قبض الليل
بصرى دونها ، وإن من كلام النساء ما يقوم مقام الماء فيشفى من الظمأ .
● وذكر أعرابي امرأة فقال :

تلك شمس باهت الأرض شمس سمائها ، وليس لى شفيع فى
اقتضائها (١) ، وإن نفسى لكتوم لدائها ، ولكن تفيض عند امتلائها .
أخذ هذا المعنى حبيب فقال :

وياشمس أرضيها التى تم نورها فباهت بها الأرضون شمس سمائها
شكوت وما الشكوى لمثلى عادة ولكن تفيض النفس عند امتلائها
● وقيل لأعرابي :

ما بال الحب اليوم على غير ما كان عليه قبل اليوم ؟ قال :
نعم . كان الحب فى القلب ، فانتقل إلى المعدة ، إن أطعمته شيئا أحبها
وإلا فلا .

وكان الرجل يحب المرأة ، يطيف بدارها حولا (٢) ، ويفرح إن رأى
من رآها ، وإن ظفر منها بمجلس تشاكيا ، وتناشدا الأشعار ، وإنه ليوم يشير
إليها وتشير إليه ، ويعددها وتعدده ، فإذا اجتمعا لم يشكوا حبا ، ولم ينشدما
شعرا ، ولكن يعاشرها ويطلب الولد .

(١) اقتضائها : طلبها .

(٢) يظل العام كله يطوف بيبتها ، وكان هذا يكفيه منها ويفرحه أن يرى من يراها وكذلك شأن

الحبين فهذا جميل يقول :

لو أبصره الواشى لقرت بلابله
وبالأمل المرجو حاب آمله

ورأى لأرضى من بينة بالذى
بالمسى ، وبألا . أستطيع

● وقال أعرابي :

شكوت ! فقلت ، كل هذا تبرما
فلما كتمت الحب قالت : لشدما
وأدنو فتقصيني ، فأبعد طالبا
فشكواى تؤذيها ، وصبرى يسوؤها
فيا قوم هل من حيلة تعلمونها
بجبي أراح الله قلبك من حبي
صبرت ! وما هذا بفعل شجي القلب
رضاه ، فتعدت التباعد من ذنبي
وتجزع من بعدى ، وتنفر من قرنى
أشيروا بها واستوجبوا (١) الشكر من رنى

التزين والتطيب

● دخل رجل على محمد بن المنكدر يسأله عن التزين والتطيب فوجده
قاعداً على حشايا مصبغة ، وجارية تغلله بالغالية (٢) فقال له .
يرحمك الله ، جئت أسألك عن شيء فوجدتك فيه ! .
قال : على هكذا أدركت الناس .

● وفي حديث : أن النبي ﷺ قال : إياكم والشعث ، حتى لو لم يجد
أحدكم إلا زيتونة فليعصرها وليدهن بها .

● وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة :

« مالى أراك شعثناء ، مرهء ، سلتاء ؟ » .

قالت : يارسول الله أولسنا من العرب ؟

قال : « بلى ، ربما أنسيت العربُ الكلمة ، فيعلمنها جبريل » .

الشعثناء : التى لا تدهن .

والمرهء : التى لا تكتحل .

(١) ولكم الشكر جزاء من ربكم على حسن صنعكم .

(٢) الغالية : أخلاط من الطيب ، وتغليت بالغالية وتغللت إذا تطيبت بها . والحشايا : جمع

حشية وهى ما يجلس عليه .

والسلتاء : التي لا تختضب .

● وقال ﷺ :

« ما نلتُ من دنياكم إلا النساء والطيب » .

● وروى مالك عن يحيى بن سعيد ، أن أبا قتادة الأنصاري قال
يارسول الله ، إن لي جمعة (١) ، أفرجلها يارسول الله ؟ .

قال : « نعم وأكرمها » .

قال : فكان أبو قتادة رما دهنها في اليوم مرتين .

★ ★ ★

(١) الجُمَّة من الإنسان : مجتمع شعر ناصيته . يقال : هي التي تبلغ المنكبين . والجمم : جمع .
مثل غرفة وغرف .

ما يكتب على العصائب وغيرها

ظلمتى فى الحب يا ظالم !

● أبو الحسن قال : دخلت على هارون الرشيد ، وعلى رأسه جوار كاتماثيل ، فرأيت عصابة منظمة بالدرد والياقوت مكتوبا عليها بصفائح الذهب :

ظلمتى فى الحب يا ظالم والله فيما بيننا حاكم

● قال : ورأيت على عصابة أخرى :

وضع الخند للهوى عزُّ

● قال : ورأيت فى صدر أخرى هلالا مكتوبا عليه :

أفلت من حور الجنان وخلقت فتنة من يرانى

● قال إسحق بن إبراهيم :

دخلت على الأمين محمد بن زبيدة ، وعلى رأسه وصائف فى قراطق (١)

مفروجة بيد وصيفة منهن مروحة مكتوب عليها :

ف وى طاب السرور	بى طاب العيش فى الصد
ر إذا اشتد الحرور (٢)	ممسكى ينفى أذى الحـ
ه أمين الله نور (٣)	الندى والجود فى وجـ
بُه وأخلاه النظر	ملك أسلمه الشـ

● وفى عصابة :

ألا بالله قولوا يا رجال أشمس فى العصاية أم هلال

(١) قراطق : جمع قرطق وهو القباء أشبه ب (الروب) . والوصائف جمع وصيفة .

(٢) الحرور : حر الشمس .

(٣) الندى : الكرم والعطاء .

● في أخرى :

أتهوون الحياة بلا جنون فكفوا عن ملاحظة العيون
● وكتبت ورد جارية الماهانى على عصابتها ، وكانت تحيد الغناء مع
فصاحتها وبراعتها :

تمت وتم الحسن في وجهها فكل شيء ما سواها محال
للناس في الشهر هلال ولى في وجهها في كل يوم هلال
● وكتبت في عصابتها بيتين من شعر الحسن بن هانى وهما :

يا راميا ليس يدرى ما الذى فعلا عليك عقلى فإن السهم قد قتلا (١)
أجريتته في مجارى الروح من بدنى فالنفس في تعب والقلب قد شغلا

● قال على بن الجهم :

خرجت علينا عالج جارية خالصة كأنها خوط بانٍ وهى تيمس في رقة ،
وعلى طرّتها مكتوب بالغالية ، وكانت من مجان أهل بغداد مع علمها بالغناء :

ياهللا من القصور تجلى صام طرفى لمقلتيك وصلى
لست أدرى ليلي أم لا كيف يدرى بذاك من يتقل (٢)
لو تفرغت لاستطالة ليلي ولرعى النجوم كنت محلا

● قال : وخرجت إلينا منال وعليها درع خام على جانبه الأيمن

مكتوب :

كتب الطرف في فؤادى كتابا هو بالشوق والهوى مخنوم
وعلى الأيسر مكتوب :

كأن طرفى على فؤادى بلاء إن طرفى على فؤادى مشوم

(١) العقل : الدية .

(٢) يتقل : يكره النوم ولا يطيقه ، ويتقلب في فراشه .

● قال : وكان على عصابة ظبي جارية سعيد الفارسي مكتوب بالذهب :

العين قارئة لما كتبت في وجنتي أنامل الشجن (١)
وقال : وحدثني الحسن بن وهب قال : كتبت شعب على قلنسوة جارتها شكل :

لم ألق ذا شجن يبوح بحبه إلا حسبتك ذلك المحبوبا
حذرا عليك وإنني بك واثق ألا ينال سوى منك نصيبا
● وكتب شفيع خادم المتوكل على عاتق قبائه الأيمن :

بدر على غصن نضير شرق الترائب بالعبير (٢)
وعلى عاتقه الأيسر :

خطت صحيفة وجهه في صفحة القمر المنير
● وكتبت وصيف جارية الطائي على عصابتها :

فما زال يشكو الحب حتى حسبته تنفس في أحشائه وتكلما
فأبكي لديه رحمة لبكائه إذا ما بكى دمعا بكيت له دما
● وكان على عصابة مزاج وهي من مواجن أهل بغداد وفتاكها :

قالوا عليك دروع الصبر قلت لهم هيهات إن سبيل الصبر قد ضاقا
ما يرجع الطرف عنها حين يبصرها حتى يعود إليها الطرف مشتاقا
● وكتبت عنان جارية الناطفي على عصابتها :

الكفر والسحر في عيني إذا نظرت فاغرب بعينيك يا مغرور عن عيني
فإن لي سيف لحظ لست أغمده من صنعة الله لا من صنعة القيين

(١) الشجن : الحزن والهم .

(٢) يفوح العبير من ترائبه . والترائب جمع تريبة وهي العظمة من الصدر . أعلاه والعبير :

أخلاط من الطيب .

● وكتبت حدائق في كفها بالخناء :

ليس حُسن الخضاب زين كفى حُسن كفى زين لكل خضاب
● قال وخرجت علينا جارية حمدان ، وقد تقلدت سيفاً محلي ، وعلى رأسها قلنسوة مكتوب عليها :

تأمل حسن جارية يحار بوصفها البصر
مذكرة مؤنثة فهي أنثى وهي ذكر

● وعلى حمائل سيفها مكتوب بالذهب :

لم يكفه سيف بعينه يقتل من شاء بحديه
حتى تردى مرهفا صارما فكيف أبقى بين سيفيه (١)
فلو تراه لابساً درعه يخطر فيها بين صفيه
علمت أن السيف من طرفه أقتل من سيف بكفيه (٢)

● وكتبت واجد على منطقة جارتها منصف الكوفية :

وفؤادى رق حتى كاد من صدرى ينسل
بعض ماى يصدع القلب ب فما ظنك بالكل

● ومن قولى فيما كتبت على كأس مذهبة :

اشرب على منظر أنيق وامزج بريق الحبيب ريقى
واحلل وشاح الكعاب رفقا واحذر على خصرها الدقيق (٤)
وقل لمن لام فى التصانى إليك خلى عن الطريق

● وقف صريع الغوانى بباب محمد بن منصور ، فاستسقى ، فأمر

(١) تردى : ارتدى وليس .. والمرهف الصارم : السيف القاطع .

(٢) السيف من طرفه : نظرات عينيه .

(٣) الكعاب : من نهد ثديها وأصبحت ناضجة .

وصيفا له فأخرج إليه خمراً في كأس مذهبة ، فلما نظر إليها في راحته قال :

ذهب في ذهب را	ح بها غصن لجين (١)
فأت قرة عيني	من يدي قرة عين
قمر يحمل شمسا	مرحبا بالقمرين
لا جرى بيني ولا	بينهما طائر بين
وبقينا ما بقينا	أبدأ متفقين
في غبوق وصبوح	لم نبغ نقداً بدين (٢)

● محمد بن إسحاق قال : حدثني أحمد بن عبد الله قال : رأيت على مروحة مكتوبا :

الحمد لله وحده	وللخليفة بعده
وللمحب إذا ما	حبيبه بات عنده

● وقال : ورأيت في مجلس سريرا مكتوبا عليه بالذهب :

أشهى وأعذب من راح ومن ورد	إفان قد وضعا خدّاً على خد (٣)
وضم أحدهما أحشاء صاحبه	حتى كأنهما للقرب في عقد
هذا يبوح بما يلقاه من حزن	وذاك يظهر ما يخفى من الوجد

● وفي عصابة أخرى :

وإن يحجبوها بالنهار فمن لهم بأن يحجبوا بالليل عنى خيالها

لعن الله من عذر !!

● قال أبو عبيدة : ورأيت جارية على جبينها مكتوبا :

كتبت في جبينها . بعير على قمر (٤)

(١) اللجين : الفضة .

(٢) الغبوق والصبوح : شراب المساء وشراب الصباح .

(٣) الراح : الخمر .

(٤) العبير : أخلاط من طيب و عطور .

في سطور ثلاثة لعن الله من عذر
وتأولت كفهها ثم قلت اسمعي الخبر
كل شيء سوى الخيا نة في الحب يغتفر

لا تدعني موسوسة

● قال الأصمعي : رأيت على باب الرشيد وصائف (١) على عصابة
واحدة منهم مكتوباً :

نحن حورٌ نواعم من أراضي مقدسة
أحسن الله رزقنا ليس فينا مُنجسة (٢)
فاتق الله يافتى لا تدعني موسوسة

قولهم في النحول

قال عمر بن أبي ربيعة (٣) القرشي : يصف نحول جسمه وشحوب لونه
في شعره الذي يقول فيه :

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيضحى وأما بالعشى فيخضُرُ
أخا سفرٍ جواب أرضٍ تقاذفت به فلوات (٤) فهو أشعث أغبر
قليلاً على ظهر المطية شخصه خلا ما نفى عنه الرداء المحبر
وفي هذا المعنى يقول :

فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت مصاييح شبت بالعشاء وأتور (٥)

(١) وصائف : جمع وصيفة .

(٢) منجسة تنحس من يعاشرها ، ويقصدن أنهم مُسعدات لمن يقبل عليهن .

(٣) شاعر غزل مفتون بالنساء ، وصاف لمن ، محب إليهن ، لا يمدح سواهن .

(٤) فلوات : جمع فلاة : الصحراء .

(٥) شبت : أوقدت . أتور : نيران جمع نار . إن شئت هزمت وإن شئت لم تهمز .

- وغاب قمير كنت أرجو غيوبه
 وخفض عنى الصوت أقبلت مشية الـ ...
 وحباب وشخصى خيفة القوم أزور (٢)
 وكادت بمكتوم التحية تجهر (٣)
 وقالت - وعضت بالبنان - فضحتنى
 أريتك إذ هنا عليك ألم تخف
 فو الله ما أدرى أتعجيل حاجة
 فقلت لها: بل قادنى الشوق والهوى
 فيالك من ليل تقاصر طوله
 وبالك من ملهى هناك ومجلس
 يميج ذكى المسك منها مفلج
 وترنو بعينها إلى كارنا
 وروح رعيان ونوم سمر (١)
 حجاب وشخصى خيفة القوم أزور (٢)
 وكادت بمكتوم التحية تجهر (٣)
 وأنت امرؤ ميسور أمرك أعسر (٤)
 رقيبا وحولى من عدوك حضر (٥)
 سرت بك أم قد نام من كنت تحذر (٦)
 إليك وماعين من الناس تنظر
 وما كان ليلي قبل ذلك يقصر
 لنا لم يكدره علينا مكدر
 رقيق الحواشى ذو غروب مؤشر (٧)
 إلى ربرب وسط الحميلة جوذر (٨)

- (١) قُمير : تصغير قمر ؛ لأنه كان غير تام ، ويكون ذلك أول الشهر وآخره . رُوخ : ذهب
 عشية . رعيان : رعاة ؛ جمع راع . سمر : جمع سامر ، وهم الجماعة يتحدثون ليلا .
 (٢) الحباب : الحية . أزور : مائل منحرف . ويروى : ونفضت عنى العين مكان ونخفض عنى
 الصوت . والمعنى : احترست من العين وأمنتها . ومنه النفضة جمع نافض وهم الجماعة يبعثون فى الأرض
 لينظروا فيها عدو أم لا ؟ .
 (٣) ويروى فتوهت . بدلا من تلهفت . تحيرت وجزعت . ويمكن بدلا من بمكتوم .
 (٤) ميسور أمرك : السهل منه - والفعل يسر . أعسر : صعب والفعل عسر بضم السين .
 (٥) أريتك وأريتك بمعنى أخبرتني .
 (٦) تتساءل عن سر مبادرته بالحمية .
 (٧) يميج : محج الشراب من فيه رمى به وبابه ردًا ، والمراد أن لفها شذا ذكيا . مفلج : الفلج
 فى الأسنان تباعد ما بينها ، وفلج من باب طرب . والحواشى : الجوانب جمع حاشية ، والغروب جمع
 غرب ، وهو حد كل شئ ومنه غرب السيف واللسان . والمراد أن أسنانها رقيقة محدة . مؤشر : محرز ،
 ويكون ذلك فى الحدائة .
 (٨) ترنو : تديم النظر مع سكون الطرف . الربرب : القطيع من البقر الوحشى ، والحميلة :
 الموضع يكثر فيه الشجر . والجوذر بضم الذال وتفتح ولد البقرة الوحشية . يصف هيئة نظرها إليه
 فى موضع تقر فيه العيون ؛ حيث الظل والسكينة .

- يرف إذا تفتت عنه كأنه
فلما تقضى الليل إلا أقله
أشارت بأن الحى قد حان منهم
فلما رأت من قد تتور منهم
فقلت : أباديهم فيما أفوتهم
فقلت : أتحميقا لما قال كاشح
فإن كان ما لا بد منه فغيره
أقص على أختي بدء حديثنا
لعلهما أن تبغيا لك مخرجاً
فقلت لأختيها : أعينا على فتى
فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا :
يقوم فيمشى بيننا متكراً
فكان مجنى دون من كنت أتقى
فلما أجزنا ساحة الحى قلن لى
- حصى بردٍ أو أقحوانٍ منور (١)
وكادت توالى نجمه تتغور (٢)
هبوبٌ ولكن موعدك عزور (٣)
وأيقظهم قالت: أشركيف تأمر (٤)؟
وإما ينال السيف ثاراً فيثأر (٥)
علينا وتصديقاً لما كان يؤثر (٦)
من الأمر أدنى للخفاء وأستر (٧)
ومالى من أن تعلمتا متأخر
وأن ترجبا صدرًا بما كنت أحصر (٨)
أتى زائرا والأمر للأمر يقدر
أقلى عليك اللوم فالأمر أيسر
فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر (٩)
ثلاث شخوص كاعبان ومعصر (١٠)
لم تتق الأعداء والليل مقمر؟

- (١) يرف : يبرق ويتلألأ من رفيف البرق . يفتت : يضحك ضحكا حسنا . الأتحوان : البابونج . وهو نبت طيب الرائحة حوالبه ورق أبيض ووسطه أصفر والجمع أتحى .
(٢) التوالى : التابع . تتغور : تغور فتذهب .
(٣) عزور : موضع قرب مكة .
(٤) تتور : ثار وتحرك . الأيقاظ : جمع يقظ .
(٥) أباديهم : بادى بالعداوة : جاهر بها .
(٦) أتحميقا : أى أتفعل هذا تحميقا . الكاشح : الذى يضمرك للعداوة .
(٧) أدنى للخفاء : أقرب إلى الستر والتخفى .
(٨) تزجبا صدرًا : يتسع صدرهما أحصر : أضيق . أى بما كان يضيق به صدرى .
(٩) سقط بيت يقول فيه الشاعر قبل هذا البيت :
وقال الصغرى سأعطيه مطرفي ودعى وهذا البرد إن كان مجنر
والمطرف بضم الميم وكسرهما واحد المطارف وهى أردية (تلبس فوق الثياب) من خز مربعة لها
أعلام . درعى : قميصى مذكر . وأما درع الحديد فمؤنثة والبرد : ثوب مخطط .
(١٠) مجنى : ترمى . ثلاث : ذكر اسم العدد لأنه أراد ثلاث فتيات كما بينه بالبدل . الكاعب :
التي نهد ثديها . والمعصر التي بلغت شبابها وأدركت أو التي راهقت العشرين . والفعل أعصر .

وقلن : أهذا دأبك الدهر سادراً أما تستحي؟ أما ترعوى؟ أم تفكر^(١)؟

● ويروى أن يزيد بن معاوية لما أراد توجيه مسلم بن عقبة إلى المدينة ، اعترض الناس ، فمر به رجل من أهل الشام معه ترس قبيح ، فقال : يا أبا أهل الشام ، مجن ابن أئى ربيعة كان أحسن من مجنك هذا ! .
يريد قول عمر بن أئى ربيعة .

فكان مجنى دون ماكنت أتقى ثلاث شخوص : كاعبان ومعصر
● وقال أعرابى فى النحول :
ولو أن ما أبقيت منى معلق بعود ثمام^(٢) ما تأود عودها
● وقال آخر

إن تسألونى عن تباريح الهوى فأنا الهوى وأبو الهوى وأخوه
فانظر إلى رجل أضرب به الأسى لولا تقلب طرفه دفنوه^(٣)
● وقال مجنون بنى عامر فى النحول :

ألا إنما غادرت يا أم مالك صدى أينما تذهب به الريح يذهب
● وللحسن بن هانى :

كما لا ينقضى الأرب كذا لا يفتر الطلب
ولم يبق الهوى إلا أقلى وهو محتسب
سوى أنى إلى الحيوا ن بالحركات أنتسب

★ ★ ★

(١) السادر : الذى لا يهتم ولا يبالى ما صنع ! ويرعوى : ينجس ويعتبر .
(٢) الثمام كغراب : نبت . وتأود : مال وانعطف . يقول : إن الحب لم يبق منه إلا ما لو علق بعود ثمام لم يمل .
(٣) وهذا لولا تحرك عينه لظنوا أنه مات ودفنوه .

● وقال آخر وهو خالد الكاتب :
هذا محبك نضو لا حراك به
لم يبق من جسمه إلا توهمه^(١)

● ومن قولنا في هذا المعنى :
سبيل الحب أوله اغترار
وآخره هموم وادكار
● ومثله من قولنا :

لم يبق من جُسمانه إلا حشاشةٌ مبيتس^(٢)
قد رق حتى ما يُرى بل ذاب حتى ما يحس

● وقال الحسن بن هانئ في هذا المعنى فأرى على الأولين والآخريين :
يامن تموت عمداً فكان للعين أملى
وفي الشعوثة أرى فكان أههى وأحلى
أردت أن تزديك العيون هيات كلا
يا عاقد القلب منى قليلا من القليل أقل
يكاد لا يتجزأ أقل في اللفظ من لا

● ولأبي العتاهية ÷

تلاعبت بي يا عتَبَ ثم حملتني على مركب بين المنية والسقم
ألا في سبيل الله جسمي وقوتي ألامسعد^(٣) حتى أنوح على جسمي؟

● وله :

لم تبق منى إلا القليل وما أحسبها ترك الذي بقيا

★ ★ ★

(١) النضو : المهزول من الإبل وغيرها .

(٢) الحشاشة : بقية الروح في جسم المريض .

(٣) مُسْعِدٌ : مساعِدٌ . وعتَبَ منادى مُرْتَحِمٍ (حذف آخره) وعتبة جارية كان أبو العتاهية يحبها

ولم تكن تبادلها حبا محب وكانت جارية لريطة بنت أبي العباس السفاح .

في التوديع :

ابن حميد وجارية له :

● قال سعيد بن حميد الكاتب وكان على الخراج (١) بالرقعة : ودعت جارية لي تسمى « شفيعا » وأنا أضحك وهي تبكي ، وأقول لها :

إنما هي أيام قلاقل ! قالت : إن كنت تقدر أن تخلف مثل شفيع فنعم ! فلما طال بي السفر ، واتصلت بي الأيام ، كتبت إليها كتابا ، وفي أسفله : ودعتها والدمع يقطر بيننا وكذلك كل ملذع بفراق شغلت بتفويض (٢) الدموع شماها ومينها مشغولة بعناق

قال : فكتبت إلى في طومار (٣) كبير ليس فيه إلا : بسم الله الرحمن الرحيم في أوله ، وفي آخره ياكذاب ، وسائر الكتاب أبيض .

قال : فوجهت الكتاب إلى ذي الرياستين : الفضل بن سهل وكتبت إليها كتابا على نحو ما كتبت ليس فيه إلا بسم الله الرحمن الرحيم في أوله ، وفي آخره أقول :

فودعتها يوم التفرق ضاحكا إليها ولم أعلم بأن لا تلاقيا فلو كنت أدري أنه آخر اللقاء بكيت وأبكيْتُ الحبيب المصافيا

قال : فكتبت إلى كتابا آخر ليس فيه إلا بسم الله الرحمن الرحيم في أوله ، وفي آخره :

(١) الخراج : ما يحصل من غلة الأرض وقد أطلق على الجزية ، وعامل الخراج من يتولى تحصيله .

(٢) تفويض الدموع : مسحها .

(٣) طومار : قال في القاموس : الطامور والطومار الصحيفة جمعه طوامير .

أعنيك بالله أن يكون ذلك ! فوجهته إلى (ذى الرياستين الفضل بن سهل) ، فأشخصني إلى بغداد ، وصيرني إلى ديوان الضياع .

ابن يحيى وجاريتان

● محمد بن يزيد الربيعي عن الزبير عن عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل قال : إنه لما نفاه المتوكل إلى جزيرة أقریطش ، فطال مقامه بها ، تمتع بجارية رائعة الجمال ، بارعة الكمال ، فأنسته ما كان فيه من رونق الخلافة وتديريها ، وكان قبل ذلك متيماً (١) بجارية خلفها بالعراق فسلا (٢) عنها ؛ فبينما هو مع الإقریطشية في سرور وحبور يحلف لها ألا يفارق البلد ما عاش ، إذ قدم إليه كتاب جاريتته من العراق وفيه مكتوب :

كيف بعدى لاذقتم النوم أنتم • خبروني مذ بنت عنكم وبنتم
بمراض الجفون من خرد العـ — — — — —
يا أخلاى إن قلبي وإن — — — — —
فإذا ما أرى الإله اجتماعاً فللنايا على وحدي وعشتم

● أخذت هذا المعنى من قول حاتم :

إذا ما أتى يوم يفرق بيننا بموتٍ فكن أنت الذي تتأخر
فلم يباشر لذةً بعد كتابتها ، حتى رضى عنه المتوكل وصرفه إلى أحسن حالاته .

● المعتز وجارية لابن رجاء :

الزبيرى قال : حدثني ابن رجاء الكاتب قال : أخذ منى الخليفة المعتز جارية كنت أحبها وتحبني فشراباً معا في بعض الليالي فسكر قبلها ، وبقيت وحدها ، ولم تبرح من المجلس هيبه ، فذكرت ما كنا فيه من أيامنا ، فأخذت

(١) المتيم : يقال تامته المرأة أو العشق والحب تيماً وتيمته تميماً عبْدته وذلكه ، فهو مقيم .

(٢) سلا : نسي .

العود فغنت عليه صوتا حزينا من قلب قريح (١) وهى تقول :

لا كان يوم الفراق يوما	لم يبق للمقلتين نوما
شتت منى ومنك شملا	فسر قوما وساء قوما
ياقوم من لى بوجد قلب	يسومنى فى العذاب سوما
ما لامنى الناس فيه إلا	بكيت كيما أزداد لوما

فلما فرغت من صوتها ، رفع المعتز إليها رأسه والدموع تجرى كالفرند انقطع سلكه ، فسألها عن الخير وحلف لها أن يبلغها أملها ، فأعلمته القصة ، فردها إلى ، وأحسن إليها ، وألحقنى فى ندمائه وخاصته .

● أبو أحمد وجارية له :

وكان لأبى أحمد صاحب حرب المعتمد جارية فكتبت إليه وهو مقيم على العتوى بالبصرة تقول :

لنا عبرات بعدكم تبعث الأسى	وأنفاس حزن جمّة وزفير
ألا ليت شعرى بعدنا هل بكيتم	فأما بكأى بعدكم فكثير

قال أبو أحمد : فلم يكن لى هم بعدها حتى قفلت من غزاقى ! (٢) .

● مروان وجارية له :

وكتب مروان بن محمد وهو منهزم نحو مصر إلى جارية له خلفها بالرملة :

ومازال يدعونى إلى الصد ماأرى	فأنأى (٣) ويشينى الذى لك فى صدرى
وكان عزيزا أن بينى وبينها	حجابا فقد أمسيت منك على عشر
وأنكاهما والله للقلب فاعلمى	إذا ازددت مثلها فصرت على شهر

(١) قريح : جريح ، وفى القرآن : ﴿ إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ﴾ [آل عمران : ١٤٠] . (٢) قفلت من غزاقى : رجعت من الغزو .

(٣) أنأى : أبعد ، وفى القرآن : ﴿ أعرض ونأى بجانبه ﴾ [الإسراء : ٨٣] .

وأعظم من هذين والله أنسى أخاف بأن لا نلتقى آخر الدهر
سأبكيك لا مستبقيا فيض عبرة ولا طالبا بالصبر عاقبة الصبر

● ابن بكار ورجل بالشجر :

الزبير بن بكار قال : رأيت رجلا بالشجر ، وعليه ذلة واستكانة وخضوع ،
وكان يكثر التنفس ، ويخفي الشكوى ، وحركات الحب لا تخفى ، فسألته وقد
خلوت به فقال وقد تحدر دمعه :

أنا في أمرى رشاد بين غزو وجهاد
بدنى يغزو الأعادى والهوى يغزو فوآدى
يا عليما بالعباد رُدُّ إلفى (١) ورقادى

● وقال أعرابي يصف اليبين (٢) :

أدمت أناملها عضا على اليبين كما انثت فرأتنى دامع العين
وودعتنى إيماءً وما نطقت إلا بسبابة منها وعينين
وجدى كوجدك بل أضعافه فإذا عنى تواريت قاب الرمح واهينى! (٣)
وإن سمعت بموتى فاطلبى بدمى هواك واليبين واستعدى على اليبين (٤)

● وقال آخر :

مالت تودعنى والدمع يغلبها كما يميل نسيم الريح بالغصن
ثم استمرت وقالت وهى باكية : ياليت معرفتى إياك لم تكن !

● وقال آخر :

إذا انفتحت قيود اليبين عنى وقيل أتيح للنائى سراح

(١) الإلف : الحبيب ، فهو يطلب من الله أن يعيد إليه ما يمنحه هلوء النفس فيسترخ وتنام عيناه
بعد سهر الليالى يشكو الفراق .

(٢) اليبين : الفراق .

(٣) إذا غبت عنى مقدار الرمح فقد حان أجلى والحين الهلاك وفى القرآن : ﴿ قاب قوسين ﴾

(٤) فإذا مت فأنا شهيد الهوى واليبين وملك أن تستعدى عليهما وتطلبى النار منهما .

أبت حلقاته إلا انفقلا
ومن لي بالبقاء وكل يوم
ويأى الله والقدر المتاح
لِسَهْمِ البين في كبدى جراح

● وقال محمد بن أبى أمية الكاتب :

يا غريباً يبكى لكل غريب
عزه البين فاستراح إلى الدم—
لم يذق قبلها فراق حبيب
ع وفي الدمع راحة للقلوب
أقصدته منها بسهم مصيب
حتى حائلته (١) حوادث الدهر حتى
قريباً فأشتكى من قريب
أى يوم أراك فيه كما كنت

● وقال أبو الطيامير :

أقول له يوم ودعته
لئن رجعت عنك أجسامنا
وكل يوم بعبرته مبلس (٢)
لقد سافرت معك الأنفوس

● وقال أبو العتاهية :

أبيت مسهداً قلقاً وسادى (٣)
فراقك كان آخر عهد نومى
أروح بالدموع عن الفؤاد
وأول عهد عيني بالسهاد

فلم أر مثل ما سلبته نفسى
وما رجعت به من سوء زاد

● وقال محمد بن يزيد التستري :

رفعت جانباً إليك من الكَلِّ—
نظرت نظرة الصباية لا تم—
ة (١) قابلته طرفاً كحيلًا
لك للبين دمعا أن يجولا
بح من خدها فعاد أصيلاً (٢)

(١) خئلته : خدعته .

(٢) مبلس : البلس محرّكة : من لا خير عنده . أو عنده إبلاس وشتر .

(٣) الوساد : جمع وسادة ، وقلقاً وساده : كناية عن السهر والأرق .

(٤) الكَلَّة : الستارة ، وكل ما يوضع على السرير فيحجب النوام .

(٥) الأصيل : آخر النهار ، ويقصد أنه تحول من الإشراق إلى الضفرة !

● وقال يزيد بن عثمان :

دمعة كاللؤلؤ الرطـ
وجفون تنفث السـ

إنما يفتضح العاشـ

● وقال علي بن الجهم :

يا وحشتا للغريب في البلد
فارق أحبابه فما انتفعوا
يقول في نأيه (١) وغربته

● وقال آخر :

بانوا (٢) وأضحى الجسم من بعدهم
يا أسفى منهم ومن قولهم
بأى وجه ألتقاهم

● وقال آخر :

أترحل عن حبيبك ثم تبكى
عليه فمن دعاك إلى الفراق ؟
● وقال هذبة العذرى :

ألا ليت الرياح مسخرات
فنخيرنا الشمال إذا أتتنا
عسى الكرب الذى أمسيت فيه
فيأمن خائف ويفك. عان (٤)

(١) النأى : البعد والفراق .

(٢) بانوا : بعدوا . فَيَا : فيما أى ظلًا وذلك كناية عن النحول .

(٣) تباكر : تأتى في الصباح الباكر ، وتبوب : تعود ومنه الإياب .

(٤) العانى : الأسير .

● وقال آخر :

لا بارك الله في الفراق ولا
لو ذبح الهجر والفراق كما
شربت كأس الفراق مترعة^(١)
يا سيدي والذي أومله

● وقال حبيب الطائي :

الموت عندي والفرا
يتعاونان على النفوس
لو لم يكن هذا كذا

ق كلاهما مالا يطاق
فذا الحمام وذا السياق^(٢)
ما قيل موت أو فراق

● وقال آخر :

شتان ما قبل التلاق^(٣)
هذي حياة وتلك موت

وقبل ساعة الفراق
بينهما راحة العناق

● وقال سعيد بن حميد :

موقف الين مآثم العاشقين
إن في الين فرحتين : فأما
فاعتناق لمن أحب وتقيي
ثم لي فرحة إذا قدم النا

لا ترى العين فيه إلا حزينا
فرحتي بالوداع للظاعنين
ل ولسن بحضرة الكاشحين
س لتسليمهم على القادمين

وقال أعرابي :

ليل الشجي على الخلى قصير
بان الذين أحبهم فتحملوا

وبلا الحب على الحب يسير^(٤)
وفراق من تهوى عليك عسير

(١) مترعة : مليئة .

(٢) الحمام : بكسر الحاء الموت . والفراق يسوقنا إليه فهو موت معنوي .

(٣) التلاق : التلاق .

(٤) الشجى والخلى : المشغول ، والخلى : الخالى .

فيها تُلَطَّم أوجهٌ وصُدور
لبس الثواكل إذ دهاك مسير
في القبر عندي منكر ونكير
بين الخلائق والعباد نشور
ولكن حواك سعيها فسعير
والذنب يغفر والإله شكور

فلأبعثن نياحة لفراقهم
ولألبسن مدارعا مسودةً
ولأذكرك بعد موتي خاليا
ولأطلبنك في القيامة جاهدا
فبجنةٍ إن صرت صرت بجنة
والمستهام بكل ذاك جدير

● ومن قولنا في اليبين :

كسا جسمي ثوب الألم
فإذا عدت فقد حل دمي (١)
إن من فارقت لم ينم !
ذكر من لو شاء داوى سقمي

هيج اليبين دواعي سقمي
أيها اليبين أقلني مرة
ياخلى الروع نم في غبطةٍ
ولقد هاج قلبي سقما

● ومن قولنا في المعنى :

ثم نادى: متى يكون التلاق ؟
بين تلك الجيوب والأطواق (٢)
بين عينيك مصرعُ العشاق
ليتنى مت قبل يوم الفراق

ودعنتى بزفرة واعتناق
وتصدت فأشرق الصبح منها
ياسقيم الجفون من غير سقم
إن يوم الفراق أعظم يوم

● ومن قولنا فيه :

فحسبي مالقيت وما ألاق
وما ظني أموت بكف ساق
أجرني اليوم من حر الفراق

فررت من اللقاء إلى الفراق
سقاني اليبين كأس الموت صرفا
فيا برد اللقاء إلى فوادي

(١) أقلني : من عثرتي .. خذ يدي .. اجمع بيني وبينها .. ولك أن تفعل بي ما تشاء .. لو فارقتها

(٢) الجيوبُ والأطواق . جمع جيب وهو الفتحة في أعلى الثوب والطوق معروف .

● وقال مجنون بنى عامر :

وإني لمنن دمع عيني من البكا
وقالوا : غدا أو بعد ذاك بليلة
وما كنت أخشى أن تكون منيتي

● وقال أبو هشام الباهلي :

خليلى غدا لا شك فيه مودع
فواحننا إن لم أودعه غدوة
فإن لم أودعه غدا مت بعده
أنا اليوم أبكيه فكيف به غدا
لقد سخنت عيني وجلت مصيبتى
فيايوم لا أدبرت هل لك محبس ؟

● وقال بشار بن برد :

نبت عيني عن التغميض (٢) حتى
أقول وليتني ترداد طولاً

● وقال المعتصم لما دخل مصر وذكر جارية له :

غريب في قرى مصر
ليلك كان بالميد
يقاسى الهم والسقما
ان أقصر منه بالفرما

● وقال آخر :

وداعك مثل وداع الريح
عليك سلام فكم من ندى
وفقدك مثل افتقاد الديم (٣)
فقدها منك وكم من كرم

(١) حان أجله : حل .. وحائن : واقع .

(٢) نبت : بعدت ، فلا يغمض لما جفن وفي الشطر الثانى حسن تعليل : كأن جفونها عنها
قصار ! .

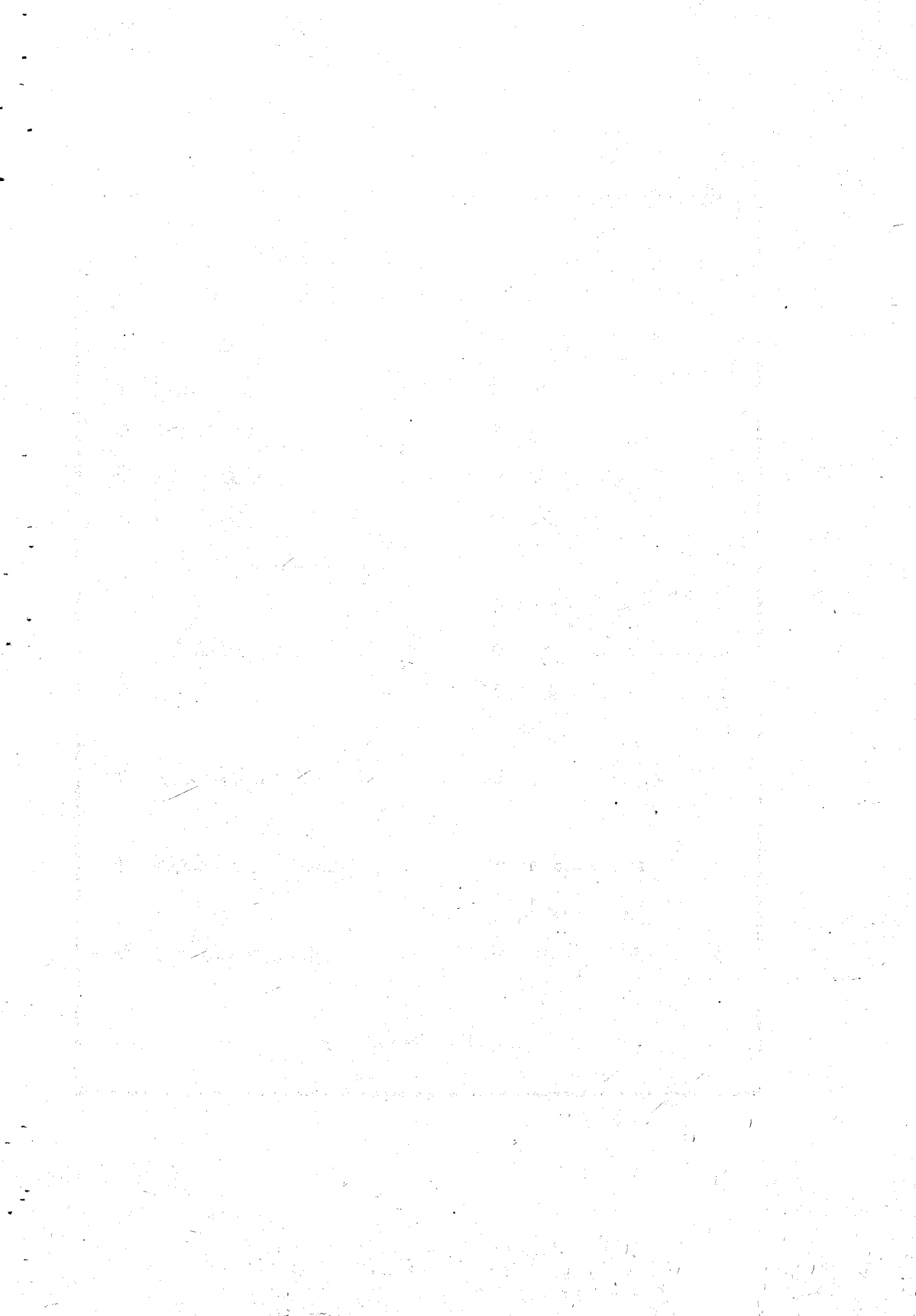
(٣) اللديم : جمع ديمة السحابة الممطرة .

الباب الخامس

طبع الأثني وما يذم من عشرة النساء

- شر النساء .
- إياك وهؤلاء .
- خضراء الدمن .
- شرك الصياد .
- ومن الرجال ماساء خلقه .
- احذر امرأة سمعته نظرتة .
- غيرة وحمق .
- ثلاث خلال .
- في امرأة قبيحة .
- صنف منهن .
- بكر حواء .
- نمودج كربه .
- يتعوذ الشيطان منها .
- جاهل مغرور من غره
- النساء بود .
- ليس مخضوب البنان
- يمين .
- فاحبسه عن بيتها
- يا حابس الفيل !
- ياليتي المجهول في
- النار .

● الغانيات والشيب



بين يدي هذا الباب

إن الغرائز المختلفة التي تعلل محاسن المرأة ، تعلل لنا نقائصها التي تعاب عليها من بعض جهاتها ، وقد لخصها المتنبي ولخص ما قيل في معناها حيث قال :
..... فمَنْ عهدها ألا يدوم لها عهد !

فهي تتقلب ، وتراوغ ، وترائي ، وتكذب وتخزن ، وتميل مع الهوى وتنسى في لحظة واحدة عشرة السنين الطوال (١) .

تحب المرأة الشباب ، ومن ذا الذي لا يحب الشباب ؟!

ثم تحب المرأة المال ، ومن ذا الذي يكره المال ؟!

وهي أبداً بين نقيضين في أمومتها ، وفي حبها !!

ولابد من التناقض في طبع الأنتى ؛ لأنها شخصية حية خاضعة للمؤثرات التي تتناوبها من عدة جهات !

إن الصفة التي وصفت بها المرأة في القرآن هي الصفة التي خلقت عليها ، أو هي صفتها على طبيعتها التي تحيا بها مع نفسها ومع ذويها .

لقد جاء وصف النساء بالكيد في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم :
مرتين على لسان يوسف عليه السلام .

ومرة على لسان العزيز (في سورة يوسف) .

١ - ﴿ قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين ﴾ (٢) .

(١) « المرأة في القرآن » للأستاذ عباس محمود العقاد .

(٢) يوسف : ٣٣ .

٢ - ﴿ وقال الملك ائتوني به ، فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله
مابال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم ﴾ (١)

٣ - ﴿ فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن
عظيم ﴾ (٢) .

والكيد صفة مذكورة في مواضع كثيرة من القرآن بعضها منسوب إلى
الإنسان وبعضها منسوب إلى الشيطان .

ومن الرجال الذين نسبت إليهم صالحون مؤمنون ، ومنهم كفرة مفسدون
بل وردت وصفا لله تعالى مع المقابلة بين الكيد الإلهي وكيد المخلوقات ، وبغير
مقابلة في الآيات .

ويدخل في الكيد صفات كثيرة تمدح وتذم ، وتطلب وتمنع ، تشترك كلها
في معاني التدبير والمعالجة والحيلة .

وقد يجمع الحميد والذميم منها قولهم : « الحرب مكيدة » لأنها تدبير
ومعالجة وحيلة تتطلبها مواقف القتال .

وقد تذم أحيانا في هذه المواقف كما تذم في سواها .

وقد جاء وصف الكيد في سورة يوسف نفسها منسوبا إلى إخوة
يوسف إذ جاء فيها على لسان يعقوب عليه السلام :

﴿ قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا ﴾ (٣) .

وجاء منسوبا إلى الله تعالى بمعنى التدبير :

﴿ كذلك كدنا ليوسف ﴾ (٤) .

(٢) يوسف : ٢٨ .

(٤) يوسف : ٧٦ .

(١) يوسف : ٥٠ .

(٣) يوسف : ٥ .

أما الكيد الذى وصفت به امرأة العزيز وصاحباتها فهو كيد يعهد فى المرأة ولا ينسب إلى غيرها ، أو هو كيدهن الذى به يتسمن ويصدر عن خلائقهن وطبائعهن كما يفهم من الإضافة المتكررة فى الآيات الثلاث .

ويدل عليه عمل امرأة العزيز فيما غشت به زوجها واحتالت له من مراودة غلامها عن نفسه ، ثم من اتهامه بمراودتها ، وتنصلها من فعلها ، وكلها أعمال تتلخص فى « الرياء » أو فى إظهار غير ما تبطنه واحتياؤها للذس والإخفاء .

فتعال نتابع مع ابن عبد ربه ما جمعه فى هذا المجال بعد أن عرضنا عليك رأى العقاد فيما يذم من عشرة النساء .

* * *

أعلمُ الناس بالنساء !!

لعبدة بن الطيب :

● قال أبو عمرو بن العلاء :

أعلم الناس بالنساء عبدة بن الطيب حيث يقول :

فإن تسألوني بالنساء فإنني
علم بأدواء (١) النساء طيب
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله
فليس له في ودهن نصيب
يردن ثراء المرء حيث علمنه
وشرح (٢) الشباب عندهن عجيب

★ ★ ★

وهذه الأبيات لعلقمة بن عبدة المعروف « بالفحل » .

وأول القصيدة :

« طحا (٣) بك قلب في الحسان طروب »

شر النساء :

● وقيل لأعرابي عالم بالنساء ، صف لنا شر النساء . قال :

(١) الأدوية جمع داء ، وهو المرض والعلّة ، ومنه الأدوية الاجتماعية والخلقية .

(٢) شرح الشباب : أوله وريحانه .

(٣) طحّابك : رمى بك .

شهرن :

. النحيقة الجسم ، القليلة اللحم . .

. . المخياض المراض (١) الصفراء . .

. المستومة العسراء .

. السليطة الذفراء (٢) .

. السريعة الوثية ، كأن لسانها حربة ! .

تضحك من غير عجب ، وتقول الكذب ، وتدعو على زوجها بالحرب (٣) ، أنف في السماء ... واست (٤) في الماء .

إياك وهؤلاء ...

● وفي رواية محمد بن عبد السلام الخشني قال :

إياك وكل امرأة مذكرة منكرة ، حديدة العرقوب ، بادية الظنوب (٥) ، منتفخة الوريد ، كلامها وعيد ، وصوتها شديد ، تدفن الحسنات ، وتفشى السيئات ، تعين الزمان على بعلها ، ولا تعين بعلها على الزمان ، ليس في قلبها له رأفة ، ولا عليها منه مخافة ؛ إن دخل خرجت ، وإن خرج دخلت ، وإن ضحك بكت ، وإن بكى ضحكت ، وإن طلقها كانت حرفته ، وإن أمسكها كانت مصيبته ، سفعاء ورهاء (٦) ، كثيرة الدعاء ، قليلة الإرعاء ، تأكل لما ، وتوسع ذما ، صخوب غضوب ، بذية دنية ، ليس تطفأ نارها ، ولا يهدأ إعصارها ، ضيقة الباع ، مهتوكة القناع ، صبيها مهزول ، وبيتها مزبول ، إذا

(١) المخياض : كثيرة الحيض . والمراض : كثيرة المرض .

(٢) الذفر : شدة ذكاء الريح كالذفرة - أو - يخصان برائحة الإبطن المتن وهو المراد .

(٣) الحرب : بفتح الراء : الهلاك .

(٤) الاست العجز ، أو حلقة الدبر .

(٥) الظنوب - كما جاء في القاموس - حرف الساق من قُدم أو عظمه ، أو حرف عظمه .

(٦) سفعاء تسفعه بنارها . ورهاء : حمقاء .

حدثت تشير بالأصابع ، وتبكي في الجامع ، بادية من حجابها ، نباحة على بابها تبكي وهي ظالمة ، وتشهد وهي غائبة ، قد دلى لسانها بالزور ، وسال دمعها بالفجور .

خضراء الدمن :

● قال النبي ﷺ : « إياكم وخضراء الدمن » يريد الجارية الحسناء في المنبت السوء .

شرك الصياد :

● وفي حكمة داود « المرأة السوء مثل شرك الصياد لا ينجو منها إلا من رضى الله عنه » .

النساء ثلاثة :

● روى الأصبغى عن أبي عمرو بن العلاء قال : قال عمر بن الخطاب : النساء ثلاثة : هينة عفيفة مسلمة ، تعين أهلها على العيش ، ولا تعين العيش على أهلها .

وأخرى وعاء للولد .

وثالثة : غُلٌّ قَمِيلٌ يلقيه الله في عنق من يشاء من عباده (١) .

ابن قتيبة بين امرأة وزوجها :

ومن الرجال ماساء خلقه !

● نافرت امرأة فضالة زوجها (٢) إلى مسلم بن قتيبة ، وهو والى خراسان فقالت : أبغضه والله لخلال فيه . قال : وماهى ؟ قالت :

(١) غُلٌّ قَمِيلٌ : قال في القاموس المحيط : وأصله أنهم كانوا يَغْلُون الأسير وعليه الشعر فيَقْمَلُ .

(٢) أبدت كراهيتها له وخاصته لدى الوالى .

قليل الغيرة ، سريع الطيرة ، شديد العتاب ، سريع الحساب ، قد أقبل
بخره ، وأدبر ذفره (١) ، وهجمت عيناه ، واضطربت رجلاه ، يُفبق سرعبا ،
وينطق رعبا (٢) ، يصبح حلساً ويمسى رجساً ، إن جاع جزع ، وإن
شعب جشع .

احذر امرأة سمعنة نظرنه !

● ومن صفة المرأة السوء يقال لها : « امرأة سمعنة نظرنه » وهى التى إذا
تسمعت أو تبصرت فلم تر شيئاً تظننته تظنيا ! .

قال أعرابى :

إن لنا لكنه سمعنة نظرنه
معنة مينة كالريح حول القنة
إلا تره تظنه

ولا تنكحن هؤلاء :

● وقال يزيد بن عمر بن هبيرة :

لا تنكحن برشاء (٣) ولا عمشاء ، ولا وقصاء (٤) ولا لثغاء ، فيجئك ولد
ألغغ ؛ فوالله لولد أعمى أحب إلى من ولد ألغغ ! .

عمر الرجل وعمر المرأة :

● وقال آخر :

عمر الرجل خير من أوله ، يثوب حلمه ، وتثقل حصاته (٥) وتحمد
سريرته ، وتكمل تجاربه .

(١) ظهرت رائحته واشتدت فمن الأمام بخره ومن الخلف نتته .

(٢) الرجيع من الكلام المردود إلى صاحبه .

(٣) ما كان على جلدهما نقط بيض . أو يخالف لونها لون الجلد .

(٤) الوقصاء قصيرة العنق .

(٥) حصاته : عقله ورأيه .

● وآخر عُمر المرأة شر من أوّله ، يذهب جمالها ، ويذرب (١) لسانها ، وتعقم رحمها ، ويسوء خلقها .

شر النصفين :

● وعن جعفر بن محمد عليهما السلام : إذا قال لك أحد : تزوجت نصفاً (٢) ، فاعلم أن شر النصفين ما بقى في يده ! وأنشد :
وإن أتوك وقالوا إنها نصف فإن أطيّب نصفها الذى ذهباً !

امرأة الخطيئة :

● وقال الخطيئة في امرأته :
أطوف ما أطوف ثم آوى إلى بيت قعيدته لكاع

أم الخطيئة :

● ويقول لأمه - ولم يسلم من لسانه أحد :
تنحى فاجلسى منى بعيداً أراح الله منك العالمينا
أغربالاً إذا استودعت سراً وكانوا على المتحدثينا؟
حياتك - ما علمت - حياة سوء وموتك قد يسر الصالحينا
نمذج آخر من الإمام اللاتى ساء خلقهن وأعوذ بالله من شرهن :

● قال زيد بن عمير في أمته :

أعاتبها حتى إذا قلت أقلعت أنى الله إلا خزبها فتعود
فإن طمشت قادت، وإن طهرت زنت فهي أبداً يزنى بها وتعود

(١) ذرب اللسان : سلاطته .
(٢) النصف : متوسط العمر ، ويقال : رجل نصف وجمعه نصفون وأنصاف ، وامرأة نصف وجمعه نصف ونصف وأنصاف .

علامة الحب والبغض :

ويقال : إن المرأة إذا كانت مبغضة لزوجها ، فعلامة ذلك أن تكون عند
قربه منها مرتدة الطرف عنه ، كأنها تنظر إلى إنسان غيره . وإذا كانت محبة له
لا تقلع عن النظر إليه .

المرأة اللثغاء :

وقال آخر يصف امرأة لثغاء :

أول ما أسمع منها في السحر تذكيها الأنثى وتأنث الذكر (١)
والسوءة السوءة في ذكر القمر

لقد كنت محتاجاً إلى موت زوجتي ! :

ولآخر في زوجته :

لقد كنت محتاجاً إلى موت زوجتي ولكن قرين السوء باق معمر
فيا ليتها صارت إلى القبر عاجلاً وعذبها فيه نكير ومنكر

عبد الملك وابن زنباع

إنها كمشجب بالٍ قد أسىء صنعه

● كان روح بن زنباع أثراً عند عبد الملك ، فقال له يوماً :

أرأيت امرأتى العيشمية ؟ قال : نعم : قال : بماذا شبهتها ؟ قال :
بمشجب بالٍ قد أسىء صنعه (٢). قال : صدقت ، وما وضعت يدي عليها قط إلا

(١) السحر : قبيل انصداع الفجر .

(٢) المشجب : خشبات موثقة توضع عليها الثياب وتشر (الشماعة) .

كأني وضعتها على الشكاعى . وأنا أحب أن تقول ذلك إلى ابنيها : الوليد ،
وسليمان ! فقام إليه فزعا فقبل يده ورجله ، وقال :

أنشدك الله يا أمير المؤمنين ، ألا تعرضنى لهما ! قال : مامن ذلك بُدّ ! .

وبعث من يدعوها ، فاعتزل روح ، وجلس ناحية من البيت ؛ فقال
لهما عبد الملك : أتدريان لم بعثت إليكما ؟ إنما بعثت لتعرفا لهذا الشيخ حقه
وحرمة ! ثم سكت .

* * *

ابن زنباع وزوجه :

... غيرة ... وحمق !!

● روى أبو الحسن المدائنى : كان عند روح بن زنباع هند بنت
النعمان بن بشير ، وكان شديد الغيرة ، فأشرفت يوما تنظر إلى وفد جذام وقد
كانوا عنده ، فزجرها ؛ فقالت : والله إنى لا بغض الحلال من جذام فكيف
تخاف على الحرام فيهم ؟!

وقالت له يوما : عجا منك ! كيف يُسودُّ قومك^(١) ، وفيك ثلاث
خلال ؟ .

أنت من جذام . وأنت جبان . وأنت غيور .

فقال لها :

أما جذام : فإنى فى أرومتها^(٢) ، وحسب الرجل أن يكون فى
أرومة قومه .

(١) يجعلونك سيذا فيهم .

(٢) الأرومة ، وتضم : الأصل .

وأما الجبن : فإنى مالى إلا نفس واحدة ، فأنا أحوطها ؛ فلو كانت لى
غير نفس واحدة ، جدت بها .

وأما الغيرة : فأمر لا أريد أن أشارك فيه ، وحقيق (١) بالغيرة من كانت
عنده حمقاء مثلك ، مخافة أن تأتيه بولد من غيره فتقذفه فى حجره (٢) ! فقالت :
وهل هند إلا مهرةً عربية سليلة أفراس تجللها (٣) بغل
فإن أنجبت مهرا عريقا فبالحرى وإن يك إقراف (٤) فما أنجب الفحل

رجل وامرأة تخطب له :

وثلاث خصالٍ فى الزوج هل تطاق وتحتمل ؟

● وعن الأصمعى قال : قال أبو موسى : جاءت امرأة إلى رجل تدله
على امرأة يتزوجها ، فقال :

أقول لها لما أتتني تدلنى على امرأة موصوفة بجمال
أصبت لها والله زوجاً كما اشتيت إن احتملت منه ثلاث خصال
فمنهن عجز لاينادى وليده ورقة إسلام وقلّة مال (٥)

★ ★ ★

(١) جدير ، وأهل .

(٢) تنسبه إليه .

(٣) علاها وراثها .

(٤) المقرّف كمحسن من الفرس وغيره ما يدانى الهجنة . أى أمه عربية لا أبوه لأن الإقراف
من قبل الفحل ، والهجنة من قبل الأم - القاموس المحيط .

(٥) لا ينادى وليده : جاء فى أساس البلاغة : ومن الهجاز : هو فى أمر لا ينادى وليده (كناية عن
عجزه) . ورقة الإسلام ضعفه ، فهو متهم فى دينه أيضا ، فإذا أضيف إليهما قلة المال فمن يحمّله ؟ .

في امرأة قبيحة :

وذكر أعرابي امرأة قبيحة فقال :

تُرْحَى ذيلها على عرقوبي نعامة ، وتسدل حمارها على وجه كالجمالة (١) .

صنف منهن :

وصاحب أعرابي امرأة فقال لها :

والله إنك لمشرفة الأذنين ، جاحظة العينين ، ذات خلق متضائل يعجبك
الباطل ، إن شبيعت بطرت ، وإن جعت صخبت ، وإن رأيت حسنا دفتتية ،
وإن رأيت سيئا أذعتيه ، تكرمين من حرك ، وتحقرين من أكرمك .

حمدونة بنت المهدي

ودخلت أعرابية على حمدونة بنت المهدي ، فلما خرجت سئلت عنها ،
فقالت : والله لقد رأيتها فما رأيت طائلا ، كأن بطنها قربة ، وكأن ثديها
دبة (٢) ، وكأن استها رقعة ، وكأن وجهها وجه ديك قد نفش عفرته يقاتل
ديكا (٣) .

★ ★ ★

(١) الجمالة : الجمالة الخرقه التي تنزل بها القدر عن النار ، والجعل الرجل الأسود الدميم ،
ودويبة كالخنفساء .

(٢) الدبة : واحدة الدب ، وهو القرع ، والدبباء القرع أيضا كالدبة .

(٣) عفرية الديك : ريش عنقه .

بكر حواء !!

- وهجا أعرابي امرأته فقال :
يلبكر حواء (١) من الأولاد
وأُم آلف من العباد
عمرك ممدود إلى التناد
فحدثينا بحدث عاد
والعهد من فرعون ذى الأوتاد
يا أقدم العالم فى الميلاد
إنى من شخصك فى جهاد

خطبها شابة طرية ودسوا إليه عجوزاً !

- وقال أعرابي فى امرأة تزوجها وقد خطبها شابة طرية ودسوا إليه
عجوزاً :

عجوز ترجى أن تكون فتية
تدس إلى العطار سلعة أهلها
وقد نخل الجنبان واحدودب الظهر
فكان محاقا كله ذلك الشهر
هل يصلح العطار ما أفسد الدهر؟
بليلة
ما غرنى إلا خضاب بكفها
وكحل بعينها وأثوابها الصفر
وقال فيها :

نموذج كرية !

ولا تستطيع الكحل من ضيق عينها فإن عاجلته صار فوق المحاجر

(١) فهى معمرة بلغت من الكبر عتيا فهى كما قال : أقدم العالم فى الميلاد .
(٢) انمحق الهلال لثلاث ليال فى آخر الشهر لا يكاد يُرى لخفائه والاسم : المحاق بالضم . والكسر

وفي حاجبها حزة كغرارة (١) فإن حلقتا كانا ثلاث غرائر
وثديان : أما واحد فهو مزود (٢) وآخر فيه قربة للمسافر

● وقال فيها :

يتعود الشيطان منها !

لها جسم برغووثٍ وساقا بعوضةٍ ووجه كوجه القرد بل هو أقبح
وتبرق عينها إذا ما رأيتها وتعبس في وجه الضجيع وتكلح
لها مضحك كالخش (٣) تحسب أنها إذا ضحكت في أوجه القوم تسلحُ
وتفتح - لا كانت - فمأً لو رأيتها توهمته بابا من النار يفتح
إذا عاين الشيطان صورة وجهها تعوذ منها حين يمسي ويُصبح

● وقال أعرابي في سوداء :

كأنها والكحل في مرودها تكحل عينها ببعض جلدها

● وقال فيها :

أشبهك المسك وأشبهته قائمةً في لونها قاعدة
لا شك إذ لونكما واحدٌ أنكما من طينة واحدة

★ ★ ★

(١) الفرارة : الجوالق . « الجوال » .

(٢) المزود : وعاء يحمل فيه الزاد .

(٣) الخش : (مثلثة) المخرج ؛ لأنهم كانوا يقضون حوائجهم في البساتين .

في مكر النساء وكيدهن

الغسانى والكندى وهند :

جاهل مغرور من غره النساء بود !

● وقال الهيثم بن عدى : غزا الغسانى الحارث بن عمرو آكل المرار الكندى ، فلم يصبه فى منزله ، فأخذ ما وجد له ، واستاق امرأته ، فلما أصابها أعجبت به ، فقالت له : انج ، فوالله لكأنى أنظر إليه يتبعك فاغرا فاه ، كأنه بعير آكل مُرار ! وبلغ الحارث ، فأقبل يتبعه حتى لحقه فقتله ، وأخذ ما كان معه ، وأخذ امرأته ، فقال لها : هل أصابك ؟ .

قالت : نعم والله ما اشتملت النساء على مثله قط ! .

فأمر بها فأوقفت بين فرسين ، ثم استحضرهما حتى تقطعت ثم قال : كل أنتى وإن بدا لك منها آيةُ الودِّ حبُّها خيثعور^(١) إن من غره النساء بـودُّ بعد هندٍ لجاهل مغرور

أقوال فى مكر النساء وكيدهن :

- وقالت الحكماء : لا تثق بامرأة ، ولا تغتر بمال وإن كثرت .
- وقالوا : النساء حبات الشياطين ! .

(١) امرأة خيثعور : لا يدوم ودها .

ليس مخضوب البنان يمينا !

● قال الشاعر :

تمتع بها ما ساعفتك ولا تكن
وصنها وإن كانت تقي لك ، إنها
وإن هي أعطتك اللبان فإنها
وإن حلفت لا ينقض النأي عهدا
وإن أسبلت يوم الفراق دموعها
جزوعاً إذا بانت فسوف تبين^(١)
على مدد الأيام سوف تخون
لآخر من طلابها ستلين
فليس لمخضوب البنان يمينا^(٢)
فليس لعمر الله - ذاك يقين

★ ★ ★

● وقالت الحكماء : لم تنه امرأة قط عن شيء إلا فعلته !

★ ★ ★

● وقال طفيل الغنوي :

إن النساء متى ينهين عن خلقٍ فإنه واقع لابد مفعول

فاحبسه عن بيتها يا حابس الفيل

● وعن الهيثم بن عدى عن ابن عياش قال :

أرسل عبد الله بن همام السلولى شابا إلى امرأة ليخطبها عليه . فقالت له : فما يمنعك أنت ؟ فقال لها : ولى طمع فيك ! .

(١) البين البعد والفراق ، ومصر المجتمعين يفترقان وبينان .

(٢) مخضوب البنان : كناية عن المرأة ؛ هي التي تخضب أصابعها بالخضاب والحناء .

قالت : ماعنك رغبةً (١) ! فتزوجها ثم انصرف إلى ابن همام ، فقال له : ما صنعت ؟ قال : والله ماتزوجتني إلا بعد شرط ! .

قال : أو لهذا بعثتك ؟ .. ثم قال في ذلك :

رأت غلاماً على شرط الطلبة لا يعيا بإرقاص بردى الخلاخيل (٢)
مبطناً بدخيس اللحم تحسبه مما يصور في تلك التماثيل
أكفا من الكفاء في عقد النكاح وما يعيابه حل هميان السراويل (٣)
تركها والأيامي غير واحدة فاحبسه عن بيتها يا حابس الفيل

★ ★ ★

السلولي وامرأة خطبها :

ياليتي المجمعول في النار !

● وعن الهيثم بن عدى عن ابن عياش قال :

كان النساء يجلسن لخطابهن ، فكانت امرأة من بنى سلول تخطب ، وكان عبد الله ابن همام السلولي يخطبها ؛ فإذا دخل عليها تقول له : فداك أوى وأمى ! وتقبل عليه تحدته .

● وكان شاب من بنى سلول يخطبها ، فإذا دخل عليها الشاب وعندها عبد الله بن همام قالت للشباب : قم إلى النار ! .

وأقبلت بوجهها وحديثها على عبد الله ، ثم إن الشاب تزوجها ، فلما بلغ ذلك عبد الله بن همام قال :

(١) رغب فيه ، وأراده ، ورغب عنه كرهه ، وقد قالت له : ما عنك رغبة : أى لست منصرفه عنك إلى غيرك وإلى لراغبة فيك .

(٢) قادر على المعاشرة الجنسية هي كناية جميلة ، وقريب منه : رقصت على قدميه .

(٣) السراويل : ما يلبس أسفل الجسم . والجمهور على أنها أعجمية وقيل عربية .

أودى بحب سليمى فاتك لِقن (١) كحية برزت من بين أحجار
إذا رأتنى تفدينى وتجعله في النار ، ياليتنى المجعل في النار

★ ★ ★

ماذا تظن سليمى !؟

● وله فيها :

ماذا تظن سليمى إن ألم بها رجل الرأس ذو بردين مزاح
حلّو فكاهته ، خز (٢) عمامته في كفه من رقى الشيطان مفتاح

★ ★ ★

● وفي حكمة داود :

وجدت من الرجال واحدا في ألف !
ولم أجد واحدة في النساء جميعا !

الشيب والنساء

الغانيات والشيب :

● قال محمود الوراق :

لا تطلبن أثرا بعين فالشيب إحدى الميتين
أبدى مقابح كل شين ومحاسن كل زين

(١) لِقن كَفَرِح : السريع الفهم .
(٢) الخز : الحرير ، وما نسج من صوف وحرير . كناية عن الترف والغنى .

رأين منك غراب بين (١)
ك وكن طوعا لليدين
وأنت سهل العارضين (٢)
ب وصرت بين عمامتين
ضياء المناشر كاللجين (٣)
لهن فكن أمراً بين (٤)
د على مصانعةٍ ودين
ب فحاز قطر الحاجين
وأخذن منك الأطييين
سك أو فناد الفرقدين
ب بكل مكروه وشين
بك ناظر أبدا بعين

فإذا رأيت الغانيات
ولربما نافسن في—
أيام عممك الشباب
حتى إذا نزل المشي
سوداء حالكة وي—
مزج الصدود وصا
وصبرن ما صبر السوا
حتى إذا شمل المشي—
قفين شر قفية
فاقن الحياء وسل نف—
ولكن أصابتك الخطو
فلقد أمنت بأن يصي—

● وقال حبيب الطائي :

لما تمكن حبا من مقلتي
صدت صدود مجانب متحمل
والشيب يغمزها بالأا تفعلتي

نظرت إلى بعين من لم يعدل
لما رأته وضع المشيب بلمتي
فجعلت أطلب وصلها بتلطف

● وقال آخر :

عنى بمطروفة إنسانها (٥) غرق
كذاك يصفر بعد الخضرة الورق !

صدت أمامة لما جئت زائرها
وراعها الشيب في رأسي فقلت لها:

(١) البين : الفراق ، وغراب البين ينذر بفراق عندما ينطق .
(٢) العارض : صفحة الحد ، وسهولة الحد رمز الشباب ، فلم تحمل به بعد تجاعيد الشيخوخة .
(٣) اللجين : الفضة .
(٤) بين إقبال وتمتع .
(٥) إنسان العين : حدقتها .

● وقال محمد بن أمية :

رأين الغواني الشيب لاح بعارضى
وكن إذا أبصرننى أو سمعن نى
فأعرضن عنى بالخدود النواضر
دنون فرقعن الكوى بالمحاجر

● وقال العلوى :

عيرتنى بشيب رأسى نوارُ
إنما العار فى الفرار من الزحـ
يابنة العم ، ليس فى الشيب عار
ف إذا قيل : أين أين الفرار !؟

● وقال آخر :

ماذا تريدن من جهلى وقد غيرت^(١)

سنو شباى وهذا الشيب قد وخطا
أرقع الشعرة البيضاء ملتقطا
فيصبح الشيب للسوداء ملتقطا
وسوف لا شك يعينى فأتركه
فظالما أعملُ المقرض والمشطا

● أبو دلف والمأمون :

● دخل أبو دلف على المأمون ، وعنده جارية له ، وقد ترك الخضاب
أبو دلف ، فغمز المأمون الجارية ، فقالت له : شبت أبا دلف ، إنا لله وإنا إليه
راجعون لا عليك ! .

فسكت أبو دلف ، فقال له المأمون : أجبها أبا دلف ، فأطرق ساعة ثم
رفع رأسه فقال :

تهزأت أن رأت شيبى فقلت لها :
شيب الرجال لهم زين ومكرمة
لاتهزئى من يطلُ عمره يشيب
وليس فيكن بعد الشيب من أرب^(٢)
فينا لكن - وإن شيب بدا - أرب

(٢) أرب : رغبة وحاجة .

(١) غيرت : مرت ومضت .

الباب السادس

أبغض الحلال إلى الله

(الطلاق)

- من ملح الأصمعي وغريبه
- المغيرة وزوجته فارعة
- الحسن وعائشة بنت طلحة
- إلى غير رجعة !
- فارقها قبل أن تفرق شمله .
- قمة الكراهية .
- هكذا تكون الإخوان !
- بانت فلم يألم لها قلبي !
- ألد من ليلة العرس !
- تلك راضية بموضعها
- محمد هو الدنيا لا يدوم نعيمها
- وصلتك رَحِم
- من طلق امرأته ثم تبعها نفسه
- إن الغزال الذي ضيعت مشغول
- ما كنت لتعذب عينين نظرنا إلى سعدى
- ابن أبي بكر وامرأته .
- وكانت جنتي فخرجت منها !
- من أخبار النوار
- إن في نفسي من النوار شيئا
- أبعد صحبة خمسين عاما !؟

رُضت الصعاب فلم تُحسن رياضتها



بين يدي هذا الباب للمحقق

بنى الطلاق ، كما بنى الزواج ، في المجتمعات الأولى على عادات الفطرة :
الذكر يطلب الأنثى ولا تطلبه .
والرجل يخطب المرأة ولا تخطبه .

وعلى هذه العادة الفطرية درج نظام الطلاق مع الزواج باختيار الرجل وحده ، وجرى القانون على ما جرى به العرف بعد قيام القوانين بعد المرحلة البدائية من مراحل الاجتماع (١) .

وشريعة القرآن الكريم في مسألة الطلاق شريعة دنيا ودين تنظر إلى طبائع الرجال والنساء . .

فالطلاق في الإسلام قسوة مكروهة ؛ لأنه أبغض الحلال إلى الله كما قال النبي ﷺ .

ولم تخل آية عرضت للطلاق من توكيد الأمر بالمعروف والنهي عن الإساءة والإيذاء والحث على مغالبة الشح والتفتير .

وما من وسيلة تنجح في اجتناب الفرقة بين الزوجين إلا ونصح بها القرآن الكريم لكل منهما فيما يطلب من الرجل أو يطلب من المرأة ، وترجى منه الفائدة في الواقع .

فإذا نفذت حيلة المراجعة ، وانتظار المهلة ، وبطلت مساعي الصلح بين الأهل والأقارب وأسفرت تجربة الطلقة الراجعة مرة بعد مرة عن قلة اكتراث للجفاء وإصرار على الفراق فليس في الزواج إذن بقية تحمى من الطلاق .

(١) عباس محمود العقاد في كتابه « المرأة في القرآن » .

ولعل الطلاق يومئذ أرحم بالمرأة من علاقة منغصة تربطها برجل
يجفوها ، ويخل عليها بقوتها ويتمنى لها الموت ليبعد عنها ، إذ كانت عشرتها
غلا في عنقه لا يفصمه غير الموت .

ولا إيذاء في هذا الطلاق للزوج ولا للزوجة ولا للمجتمع إذ لابقاء إذن
لشيء يصح أن يسمى بالزواج .

وإليك ما قدمه ابن عبد ربه :

الرشيد والأصمعي

ملح الأصمعي وغرائبه :

وأنت أيضا طالق إن أجاز زوجك !!

● محمد بن الغار قال : حدثني عبد الرحمن بن محمد ابن أخي
الأصمعي قال : سمعت عمي يقول : توصلت بالملح ، وأدركت بالغريب .

● وقال عمي للرشيد في بعض حديثه :

بلغني يا أمير المؤمنين أن رجلا من العرب طلق في يوم خمس نسوة ! .

قال : إنما يجوز ملك الرجل على أربع نسوة ، فكيف طلق خمسا ؟ .

قال : كان لرجل أربع نسوة ، فدخل عليهن يوما ، فوجدهن متلاحيات
متنازعات ، - وكان شنطيرا (١) - فقال : إلى متى هذا التنازع ؟ .

ما إخال هذا الأمر إلا من قبلك - يقول ذلك لامرأة منهن - اذهبي
فأنت طالق ، فقالت له صاحبها :

عجلت عليها بالطلاق ، ولو أدبتها بغير ذلك لكان حقيقا ! .

فقال لها : وأنت أيضا طالق .

(١) الشنطير السوء الخلق الفحاش .

فقال له الثالثة :

قبحك الله ! فوالله لقد كانتا إليك محسنين ، وعليك مفضلتين ! .

فقال : وأنت أيتها المعدة أيديهما طالق أيضا ! .

فقال له الرابعة : وكانت هلالية وفيها أناة شديدة :

ضاق صدرك عن أن تؤدب نساءك إلا بالطلاق ! .

فقال لها : وأنت طالق أيضا ! .

وكان ذلك بمسمع جارة له ، فأشرفت عليه وقد سمعت كلامه ،

فقال :

والله ماشهدت العرب عليك وعلى قومك بالضعف إلا لما بلوه منكم

ووجدوه فيكم أبيت إلا طلاق نساءك في ساعة واحدة ! .

قال : وأنت أيضا أيتها المؤنبة المتكلفة طالق ، إن أجاز زوجك ، فأجابه

من داخل بيته : قد أجزت ! قد أجزت ! .

★ ★ ★

المغيرة وزوجته فارعة

كُنْتُ فَبْنْتُ !!

● ودخل المغيرة بن شعبة على زوجته فارعة الثقفية وهي تتخلل حين انفلت من صلاة الغداة ، فقال لها : لئن كنت تتخللين من طعامك اليوم إنك لجشعة ، وإن كنت تتخللين من طعام البارحة إنك لشبعة ، كنت فبنت ! .
فقالت : والله ما اغتبطنا (١) إذ كنا ، ولا أسفنا إذ بنا (٢) ، وما هو لشيء مما ذكرت ، ولكنى استكت فتخللت لسواك ، فخرج المغيرة نادماً على ما كان منه ، فلقبه يوسف بن أبي عقيل فقال له :
إني نزلت الآن عن سيدة نساء ثقيف ، فتزوجها ، فإنها ستنجب فتزوجها فولدت له الحجاج .

الحسن وعائشة بنت طلحة

رد الجميل :

● وقال الحسن بن علي بن حسين لامرأته عائشة بنت طلحة : أمرك بيدك ! فقالت : قد كان عشرين سنة بيدك ، فأحسنت حفظه ، فلم أضيعه إذ صار بيدي ساعة واحدة ، وقد صرفته إليك ! فأعجبه ذلك منها وأمسكها .

لرجل في طلاق امرأته

إلى غير رجعة ! :

● وقال أبو عبيدة : طلق رجل امرأته وقال :

لقد طلقت أخت بني غلاب طلاقاً ما أظن له ارتداداً

(١) ما اغتبطنا : ما سررنا بزواجنا منك .

(٢) بنا : ولا حزنا إذ كان الفراق ! .

ولم أك كالمعدل أو أويس إذا ما طلقا ندما فعادا (١)

فارقها قبل أن تفرق شمله :

● ونكح رجل امرأة من عدى فلما اهتداها رأته ربيح داره أحسن ربيح ،
وشمل عياله أجمل شمل ، فقالت :

أما والله لكن بقيت لهم ، لأشتتن أمرهم ، وقالت :
في ذلك :

أرى ناراً سأجعلها إرينا وأترك أهلها شتى عزيزنا
فلما انتهى ذلك إلى زوجها طلقها وقال في ذلك :

ألا قالت هدى بنى عدى أرى ناراً سأجعلها إرينا (٢)
فبينى قبل أن تلحى عصانا ويصبح أهلنا شتى عزيزنا

قمة الكراهية !

● وقيل لابن عباس :

ما تقول في رجل طلق امرأته عدد نجوم السماء ؟ .

قال : يكفيه من ذلك عدد كواكب الجوزاء ! (٣) .

لا أمل فيه ! .

● وقيل لأعرابي : هل لك في النكاح ؟ .

قال : لو قدرت أن أطلق نفسي لطلقتها !! .

(١) قال أبو عبيدة : طلاق المعدل وأويس يضرب به المثل . (٢) نيراناً .

(٣) الجوزاء برج في السماء .

هكذا تكون الإخوان !

● وعن الزهري قال :

قال أبو الدرداء لامرأته : إذا رأيتني غضبت فترضيني ، وإن رأيتك غضبت ترضيتك ، وإلا لم نصطحب ! .

قال الزهري : وهكذا تكون الإخوان ! .

بانث فلم يالم لها قلبي !!

● قال الأصمعي :

كنت أختلف إلى أعرابي أقتبس منه الغريب ، فكنت إذا استأذنت عليه يقول : يا أمامة ائذني له . فتقول : ادخل .

فاستأذنت عليه مرارا فلم أسمع يذكر أمامة ، فقلت : يرحمك الله ، ما أسمعك تذكر أمامة ، قال : فوجم وجمه ، فندمت على ما كان مني ، ثم أنشأ يقول :

ظننت أمامة بالطلاق	ونجوت من غل الوثاق
بانث فلم يالم لها	قلبي ، ولم تيك المآق
لو لم يرح بطلاقها	لأرحت نفسي بالإباق (١)
ودواء مالا تشتهي	ه النفس تعجيل الفراق
والعيش ليس يطيب من	إلفين من غير اتفاق

ألد من ليلة العرس !

● وعن الشيباني : طلق أبو موسى امرأته وقال فيها :

تجهزي للطلاق وارتحلي فذا دواء المجانب الشرس

(١) الإباق : الحرب .

ما أنت بالحنة الولود ولا
 لليلتي حين بنت طالقة
 بت لديها بشر منزلة
 تلك على الخسف لانظير لها

عندك نفع يُرجى للتمس
 ألد عندى من ليلة العرس
 لا أنا في لذة ولا أنس
 وإننى ما يسوغ لى نفسى^(١)

ابن زَبَّان والزُّبير :

تلك راضية بموضعها

● أقبل منظور بن زيان بن سيار الفزارى إلى الزبير فقال : إنما زوجناك ولم
 نزوج عبد الله ! .

قال : ماله ؟ قال : 'إنها تشكوه . قال : يا عبد الله طلقها ! .

قال عبد الله : هي طالق ! قال ابن منظور : أنا ابن قهرم .

قال الزبير : أنا ابن صفية . أتريد أن يطلق المنذر أختها ؟ .

قال : لا . تلك راضية بموضعها .

خديجة بين محمد وإبراهيم :

محمد هو الدنيا لا يدوم نعيمها !

● وتزوج محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان خديجة بنت
 عروة بن الزبير ، فذكر له جمالها - وكان يقال له : المذهب من حسنه وكان
 رجلا مطلقا - فقالت : محمد هو الدنيا لا يدوم نعيمها ! فلما طلقها خطبها
 إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي ؛ فكتب إليها :

(١) الخسف : الذل .

أعيزك بالرحمن من عيش شقوةٍ وأن تطمعي يوماً إلى غير مطمع
إذا ما ابن مظهون تحدرّ وسقه عليك فبؤى بعد ذلك أو دعى (١)

الحجاج وزواجه بابنة جعفر :

وصلتك رَحْمٌ

● وعن العتبي عن أبيه قال : أمهر الحجاج ابنة عبد الله بن جعفر تسعين ألف دينار ، فبلغ ذلك خالد بن يزيد بن معاوية ، فأمهل عبد الملك ، حتى إذا أطبق الليل ، دق عليه الباب ؛ فأذن له عبد الملك ، ودخل عليه ، فقال له : ما هذا الطروق أبا يزيد ؟ قال : أمرٌ والله لم ينتظر له الصبح ، هل علمت أن أحداً كان بينه وبين من عادى ما كان بين آل أبي سفيان وآل الزبير بن العوام ؟ فإني تزوجت إليهم ، فما في الأرض قبيلة من قریش أحبُّ إلى منهم ، فكيف تركت الحجاج وهو سهم من سهامك يتزوج إلى بني هاشم ، وقد علمت ما يقال فيهم في آخر الزمان ؟ قال : وصلتك رَحْمٌ .

● وكتب إلى الحجاج يأمره بطلاقها ، وألا يراجعه في ذلك ، فطلقها ، فاتاه الناس يعزونه ، وفيهم عمرو بن عتبة ، فجعل الحجاج يقع بخالد ويتنقصه ويقول : إنه صير الأمر إلى من هو أولى به منه ، وإنه لم يكن لذلك أهلاً ! .
فقال له عمرو بن عتبة : إن خالداً أدرك من قبله ، وأتعب من بعده وعلم علماً فسلم الأمر إلى أهله ، ولو طلب بقديم لم يغلب عليه ، أو بجديد لم يسبق إليه .

فلما سمعه الحجاج استحى ، فقال : يا بن عتبة ، إننا نسترضيكم بأن نعتب عليكم ونستعطفكم بأن ننال منكم ؛ وقد غلبتم على الحلم فوثقنا لكم به ، وعلمنا أنكم تحبون أن تحلموا ، فتعرضنا للذين تحبون .

(١) بؤى : عودى .

من طلق امرأته ثم تبعها نفسه

بين العريان وبنت عمران :

إن الغزال الذى ضيعت مشغول

● الهيثم بن عدى قال : كانت تحت العريان بن الأسود بنت عم له ، فطلقها فتبعها نفسه ؛ فكتب إليها يُعرض لها بالرجوع فكتبت إليه :
إن كنت ذا حاجة فاطلب لها بدلا إن الغزال الذى ضيعت مشغول
فكتب إليها :

من كان ذا شُعْلٍ فالله يكلؤه وقد هونا به والحبل موصول
وقد قضينا من استطرفه طرفاً وفى الليالى وفى أيامها طول !!

الوليد وزوجته سعدى :

ماكنت لتعذب عينين نظرنا إلى سعدى !

● وطلق الوليد بن يزيد امرأته سعدى ، فلما تزوجت اشتد ذلك عليه ، وندم على ما كان منه ؛ فدخل عليه أشعب ، فقال له : أبلغ سعدى عنى رسالة ، ولك منى خمسة آلاف درهم ! فقال : عجلها ، فأمر له بها ، فلما قبضها قال : هات رسالتك .

فأنشده :

أسعدى ما إليك لنا سبيل ولا حتى القيامة من تلاقٍ ؟
بلى ، ولعل دهرًا أن يوائى بموت من خليلك أو فراق !!

فأتاها فاستأذن ، فدخل عليها ، فقالت له : ما بدالك في زيارتنا
يا أشعب ؟ .

فقال : ياسيدي ، أرسلني إليك الوليد برسالة . وأنشدها الشعر ، فقالت
لجواربها : خذن هذا الخبيث ! .

فقال : ياسيدي ، إنه جعل لي خمسة آلاف درهم ! .

قالت : والله لأعاقبك أو لتبلغن إليه ما أقول لك .

قال : سيدتي اجعلي لي شيئا .

قالت : لك بساطي هذا .

قال : قومي عنه ! فقامت عنه ، وألقاه على ظهره ، وقال : هاتي
رسالتك ، فقالت :

أنشده :

أتبكي على سعدى وأنت تركتها فقد ذهبت سعدى فما أنت صانع ؟

فلما بلغه وأنشده الشعر ، سقط في يده ، وأخذته كظمة ، ثم سرى
عنه .

فقال : اختر واحدة من ثلاث :

إما أن نقتلك ، وإما أن نطرحك من هذا القصر ، وإما أن نلقيك إلى
هذه السباع ! فتحير أشعب وأطرق حيناً ؛ ثم رفع رأسه فقال : ياسيدي ،
ما كنت لتعذب عينيّن نظرتا إلى سعدى ! فتبسم وخلي سبيله .

ابن أبي بكر وامرأته

في غير شيء تطلق !

● ومن طلق امرأته فتبعها نفسه ، عبد الرحمن بن أبي بكر : أمره أبوه
بطلاقها ، ثم دخل عليه فسمعه يتمثل :

فلم أر مثلى طلق اليوم مثلها ولم أر مثلها في غير شيء تطلق
فأمره بمراجعتها .

الفرزدق ونوار :

وكانت جنتي فخرجت منها !

● ومن طلق امرأته فتبعها نفسه ، الفرزدق الشاعر : طلق النوار ، ثم
ندم في طلاقها وقال :

ندمت ندامة الكسعي لما غدت منى مطلقة نوار
وكانت جنتي فخرجت منها كأدم حين أخرجه الضرار
فأصبحت الغداة ألوم نفسي بأمر ليس لي فيه خيار

من أخبار النوار :

● وكانت النوار بنت عبد الله قد خطبها رجل رضيته ، وكان وليها غائباً ،
وكان الفرزدق وليها إلا أنه كان أبعد من الغائب ؛ فجعلت أمرها إلى الفرزدق ،
وأشهدت له بالتفويض إليه ، فلما توثق منها بالشهود ، أشهدهم أنه قد زوجها من
نفسه ! فأبت منه ، ونافرته إلى عبد الله بن الزبير ، فنزل الفرزدق على حمزة بن
عبد الله [ابن الزبير] ، ونزلت النوار على زوجة عبد الله بن الزبير ، وهي بنت
منظور بن زيان ، فكان كل ما أصلح حمزة من شأن الفرزدق نهاراً أفسدته المرأة
ليلاً ، حتى غلبت المرأة ، وقضى ابن الزبير على الفرزدق ، فقال :

أما البنون فلم تقبل شفاعتهم وشُفِّعت بنت منظور بن زياناً
ليس الشفيع الذي يأتيك مؤنزراً مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

● وقال الفرزدق في مجلس ابن الزبير :

وما خاصم الأقوام من ذى خصومة كورهاء مدنؤ إليها خليلها (١)
فدونكها يابن الزبير فإنها ملعنة يوهى الحجارة قيلها (٢)

(٢) قولها يفلق الحجر ويضعفه .

(١) الورهاء : الخرقاء .

فقال ابن الزبير :

إن هذا شاعر ، وسبهجوني ، فإن شئت ضربت عنقه ، وإن كرهت ذلك ؛ فاختارى نكاحه ، وقرى . فقرت واختارت نكاحه ، ومكثت عنده زمانا ، ثم طلقها ، وندم في طلاقها .

★ ★ ★

إن في نفسي من النوار شيئا !

● وعن الأصمعي عن المعتمر بن سليمان عن أبي مخروم عن راوية الفرزدق قال : قال لي الفرزدق يوما :

امض بنا إلى حلقة الحسن فإني أريد أن أطلق النوار ! فقلت له : إني أخاف أن تتبعها نفسك ، ويشهد عليك الحسن وأصحابه . قال : انهض بنا . فجئنا حتى وقفنا على الحسن ، فقال الفرزدق : كيف أصبحت أبا سعيد ؟ قال : بخير ، كيف أصبحت يا أبا فراس ؟ فقال : تعلمن أني طلقت النوار ثلاثا ! قال الحسن وأصحابه : قد سمعنا ، فانطلقنا ، فقال لي الفرزدق : يا هذا ، إن في نفس من النوار شيئا ! فقلت : حذرتك ! فقال :

ندمت ندامة الكسعي لما	غدت مني مطلقة نوار
وكانت جنتي فخرجت منها	كآدم حين أخرجه الضرأ
ولو أني ملكت بها يميني	لكان علي للقدر الخيار

قيس بن ذريح وطلاق امرأته :

فأصبحت الغداة ألوم نفسي !

● ومن طلق امرأته وتبعها نفسه ، قيس بن الذريح ، وكان أبوه أمير بطلاقها فطلقها وندم ، فقال في ذلك :

فوا كبدى على تسريح لبنى فكان فراق لبنى كالخداع
تكنفنى الوشاة فأزعجوني فيا للناس للواشى المطاع
فأصبحت الغداة ألوم نفسى على أمر وليس بمستطاع
كمغبون يعرض على يديه تين غبنه بعد البياع

أبعد صحبة خمسين سنة!؟

- وطلق رجل امرأته فقالت : أبعد صحبة خمسين سنة!؟ .
- فقال : مالك عندنا ذنب غيره!! .

رضت الصعاب فلم تحسن رياضتها

ابن أم الحكم بين رجل وامرأته :

- العتبي قال : جاء رجل بامرأة كأنها برج فضة ، إلى عبد الرحمن بن أم الحكم وهو على الكوفة ، فقال : إن امرأتى هذه شجنتى ! فقال لها : أنت فعلت به ؟ .

قالت : نعم ، غير متعمدة لذلك ؛ كنت أعالج طيباً ، فوقع الفهر من يدي على رأسه ، وليس عندي عقل ، ولا تقوى يدي على القصاص ! .

فقال عبد الرحمن للرجل : يا هذا علام تحبسها وقد فعلت بك ما أرى ؟
قال : أصدقتها أربعة آلاف درهم ، ولا تطيب نفسى بفرافقها ! .

قال : فإن أعطيتها لك أتفارقها ؟ قال : نعم . قال : فهي لك . قال :
هى طالق إذا ! فقال عبد الرحمن : احبسى علينا نفسك . ثم أنشأ

يقول :

ياشيخ ويحك من دلاك بالغزل قد كنت ياشيخ عن هذا بمعتزل
رضت الصعاب فلم تحسن رياضتها فاعمد لنفسك نحو الجلة الذل (١)

(١) الجلة : الأجلاء ، الذلل المتواضعين . اسلك نفسك مع هؤلاء فلا شأن لك بالغزل .



الباب السابع

في النوادب والتعازي والمراثي

- قال الحكماء :
« أعظم المصائب كلها انقطاع الرجاء » .
- وقالوا :
« كل شيء يبدو صغيرا ثم يعظم إلا المصيبة فإنها تبدو عظيمة ثم تصغر !! » .
- قيل لأعرابي :
ما بال المرثي أشرف أشعاركم ؟
قال : « ... لأننا نقوها وقلوبنا محترقة !! » .
- مع الفطن الذكية ، والألفاظ الشجية التي ترق القلوب القاسية ،
وتذيب الدموع الجامدة .. مع النوادب والمراثي .. والتعازي .. مع
« ابن عبد ربه »

في النوادب والتعازي والمراثي

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه :

... ونحن قائلون بعون الله في النوادب والمراثي ، والتعازي بأبلغ ما وجدناه من الفطن الذكية ، والألفاظ الشجية ، التي ترق القلوب القاسية ، وتذيب الدموع الجامدة ، مع اختلاف النوادب عند نزول المصائب :

فنادبة تثير الحزن من ربضته ، وتبعث الوجد من رقدته ، بصوت كترجيع الطير ، وتقطع أنفاس المآثم ، وتترك صدعا في القلوب الجلامد ! .
ونادبة تخفض من نشيجها ، وتقصد في نحيبها ، وتذهب مذهب الصبر والاستسلام ، والثقة بجزيل الثواب ! .

- قال عمرو بن ذر : سألت أبا ، ما بال الناس إذا وعظتهم بكوا ، وإذا وعظهم غيرك لم يبكوا ؟ .
- قال : يا بني ، ليست النائحة التكلي مثل النائحة المستأجرة ! .
- وقال الأصمعي : قلت لأعرابي : ما بال المرثي أشرف أشعاركم ؟ قال : لأننا نقولها ، وقلوبنا محترقة .
- وقال الحكماء : أعظم المصائب كلها انقطاع الرجاء ! .
- وقالوا : كل شيء يبدو صغيرا ثم يعظم إلا المصيبة فإنها تبدو عظيمة ثم تصغر ! .

البكاء على الميت

لإبراهيم بن محمد بن عبد ربه

- الشعبي عن إبراهيم قال : لا يكون البكاء إلا من فضل ، فإذا اشتد الحزن ذهب البكاء . وأنشد :

المنهال بن عمرو ، عن عائشة بنت طلحة ، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت :
مارأيت أحداً من خلق الله أشبه حديثاً وكلاماً برسول الله ﷺ من فاطمة .

وكانت إذا دخلت عليه أخذ بيدها فقبلها ، ورحب بها وأجلسها في
مجلسه ، وكان إذا دخل عليها قامت إليه ، ورحبت به ، وأخذت بيده فقبلتها .
فدخلت عليه في مرضه الذي توفي فيه ، فأسر إليها فبكت ، ثم أسر إليها
فضحكت ، فقلت : كنت أحسب لهذه المرأة فضلاً على النساء ، فإذا هي
واحدة منهن ، بينما هي تبكى إذ هي تضحك ! .

فلما توفي الرسول ﷺ سألتها ؛ فقالت : أسرَّ إلى فأخبرني أنه ميت ؛
فيكيت ؛! ثم أسرَّ إليّ أني أول أهل بيته لحوقاً به فضحكت ! .

عائشة - رضى الله عنها - مع أبيها في احتضاره

● القاسم بن محمد عن عائشة أم المؤمنين - رضى الله عنها - أنها
دخلت على أبيها في مرضه الذى مات فيه ، فقالت له : يأبت ، اعهد إلى
خاصتك ، وأنفذ رأيك فى عامتك ، وانقل من دار جهازك إلى دار مقامك ؛
وإنك محذور (١) ، ومنتصل بقلبي لوعتك ، وأرى تخاذل أطرافك ، وانتقع
لونك (٢) ؛ فإلى الله تعزيتى عنك ، ولديه ثواب حزنى عليك ، أرقاً فلا
أرقاً (٣) ، وأشكواً فلا أشكواً (٤) .

فرفع رأسه فقال : يابنية ، هذا يوم يحل فيه عن غطائى ، وأعين
جزائى ، إن فرحاً فدائم ، وإن نوحاً فمقيم .

(١) أى حضرته الوفاة .

(٢) انتقع لونه : تغير واختطف لأمر أصحابه كالخزن والفرع (لغة فى امتنع) .

(٣) أحاول تخفيف دمعى فلا يجف ولا يسكن .

(٤) عندما أشكوا لا يزيل أحد شكواى بعد فقدك .

إني اضطلعت بإمامة هؤلاء القوم ، حيث كان النكوص (١) إضاعة ،
والحذر تفريطاً ؛ فشهيدى الله ما كان بقلبي إلا إياه ؛ فتبلغت بصحفتهم (٢) ،
وتعللت بكرة لفتحهم (٣) ، وأقمت صلاى معهم ، لا مختالاً أشراً ،
ولا مكابراً بطراً ، لم أعد سداً لجوعة ، وتورية لعورة ، طوى ممغص تهفو له
الأحشاء ، وتجب له الأمعاء ؛ واضطرتت إلى ذلك اضطرار الجرض إلى المعيف
الآجن (٤) ، فإذا أنا مت فردى إليهم صحفتهم ، ولفتحهم ، وعبدهم ، ورحالهم ،
ودثارة (٥) ما فوق اتقيت بها أذى البرد ، ودثارة ما تحتى اتقيت بها أذى
الأرض . كان حشوها قطع السعف .

عمر وعائشة رضى الله عنهما مع أبى بكر فى احتضاره

● ودخل عليه عمر فقال : يا خليفة رسول الله ﷺ ، لقد كلفت
القوم بعدك تعباً ، ووليتهم نصباً ، فهيات من شق غبارك (٦) ! وكيف
باللحاق بك !؟ .

وقالت عائشة وأبوها يُغْمَضُ :

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى ، عصمة للأرامل

فنظر إليها وقال :

ذلك رسول الله ﷺ . ثم أغمى عليه ، فقالت :

لعمرك ما يُغْنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

-
- (١) تحملت مسؤوليتهم وقتما كان التراجع عن تحمل المسؤولية إضاعة للمسلمين .
(٢) تبلغت بصحفتهم : شاركتم طعامهم ، والبلغة ما يتبلغ به من العيش .
(٣) شاركتم شربهم مرة بعد أخرى . واللقحة : الناقة الحامل .
(٤) الجرض : من جف ريقه ويغصُّ به وفى هذه الحالة يرضى بما تعافه النفس من الماء الآجن
الذى تغير طعمه ولونه .
(٥) الدثارة : ما يتدثر به الإنسان ويتغطى .
(٦) شق غباره : لحق به وهيات ذلك . وبعد على كل من يحاول ومثله قول عمر رضى الله عنه
فى أبى بكر بعد أن تولى الخلافة عقبه : لقد أجهد من يأتي بعده .

قالت : فنظر إلى كالغضبان وقال لى :
﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ﴾ (١) .
ثم قال : انظروا ملاءتني فاعسلوهما ، وكفنوني فيهما ؛ فإن الحي أحوج إلى
الجديد من الميت ! .

لمعاوية في النساء

- وقال معاوية ، - وذكر عنده النساء - :
ما مرض المرضى ، ولا ندب الموتى مثلهن .

الوقوف على القبور والقول عند الموت

● فاطمة على قبر أبيها :

وقفت فاطمة - رضى الله عنها - على قبر أبيها صلى الله عليه وسلم فقالت :
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها (١) وغاب مُذْغِبَتِ عِنا الوحي والكتب
فليت قبلك كان الموت صادفنا . لما نعت وحالت دونك الكتب (٢)

● حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك قال : لما فرغنا من دفن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبلت على فاطمة فقالت : يا أنس ، كيف طابت أنفسكم ، أن
تحشوا على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب ؟ .
ثم بكت ، ونادت : يا ابتاه ! أجاب ربا دعاه ؛ يا ابتاه ! من ربه ما أدناه ؛

(١) قبر : ١٩ .

(٢) الوابل : المطر ، وهو حياة الأرض ، وما أشد شوقها إليه حين ينقطع عنها ! .

(٣) الكتب : جمع كتيب ، وهو الكومة من الرمال .. فعندما ندفن بحال بيننا وبين أهلينا

ودويتنا .

يأبتاه ! من ربُّه ناداه ، يأبتاه ! إلى جبريل ننعاه ؛ يا أبتاه ! جنة الفردوس مأواه .

قال : ثم سكتت فما زادت شيئاً (١) .

عائشة - رضی الله عنها - على قبر أبي بكر

● ووقفت عائشة على قبر أبي بكر فقالت : نصر الله وجهك ، وشكر لك صالح سعيك ؛ فقد كنت للدنيا مذلاً بإدبارك عنها ، وكنت للآخرة مُعزِّراً بإقبالك عليها .

ولكن كان أجَلَ الحوادث بعد رسول الله ﷺ رزؤك (٢) .

وأعظم المصائب بعده فقدك - إن كتاب الله ليعُدُّ بحسن الصبر فيك ، وحسن العوض منك ، فأنا أتنجِزُ (٣) موعود الله ، وأستعويض منك بالاستغفار لك ، فعليك السلام ورحمة الله ، توديع غير قالية (٤) لحياتك ، ولا زارية على القضاء فيك ! ثم انصرفت .

لعلی فی فاطمة

● المدائني قال : لما دفن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فاطمة عليها السلام تمثل عند قبرها فقال :

لكل اجتماع من خليلين فرقةٌ وكلُّ الذي دون الممات قليلٌ
وإن افتقادی واحداً بعد واحدٍ دليل علي ألا يدوم خليلٌ

(١) ولا عجب ؛ فقد تربت في بيت النبوة ، وعرفت ما يقال ، وما لا يقال ! .

(٢) الرِّزءُ : الفقد والمصيبة .

(٣) لقد بشر الله الصابرين ، وقد صبرت ؛ ولذا أطعم في إنجاز الوعد .

(٤) القال : الكاره ، وفي القرآن : ﴿ ما ودعك ربك وما قلى ﴾ ، فهي تودعه وداع من كان

يحب حياته ، ومع هذا فهي راضية بقضاء الله غير زارية على القضاء ! وهذا هو الصبر والإيمان بقضاء الله !؛ أليست أم المؤمنين ، والأسوة الحسنة ؟! .

امراة الحسن على قبره

- لما مات الحسن بن على عليهما السلام ضربت امرأته فسطاطا (١) على قبره ، وأقامت حَوْلًا ، ثم انصرفت إلى بيتها ، فسمعت قائلا يقول : أدركوا ما طلبوا . فأجابه مجيب : بل ملؤا فانصرفوا .

نائلة على قبر عثمان

- ابن الكلبي قال : وقفت نائلة بنت الفرافصة الكلبية على قبر عثمان فترحمت عليه ثم قالت : ومالي لا أبكى وتبكي صحابتي وقد ذهبت عنا فضول أوى عمرو ثم انصرفت إلى منزلها ، فقالت : إني رأيت الحزن يبلى كما يبلى الثوب ، وقد خفت أن يبلى حزن عثمان في قلبى ! ، فدعت بفهر (٢) فهشمت فاها ، وقالت : والله لا قعد منى رجل مقعد عثمان أبداً (٣) ! .

لأعرابية فى أبيها

- وقفت أعرابية على قبر أبيها فقالت : يا أبت ، إن فى الله تبارك وتعالى من فقدك عوضاً ، وفى رسول الله ﷺ من مصيبتك أسوة . ثم قالت : اللهم نزل بك عبدك مقفراً من الزاد (٤) مُحشوشين المهاد (٥)

(١) الفسطاط : الخيمة .

(٢) فهر : حجر صغير .

(٣) لن أكون لغيره زوجة .

(٤) لا زاد معه .

(٥) مهاده وسريره خشن ، فهو ينام على تراب .

غنيا عما في أيدي العباد (١) ، فقيرا إلى مافي يديك يا جواد (٢) ، وأنت أيُّ ربِّ خير من نزل به المؤمنون (٣) ، واستغنى بفضلله المقلون (٤) وولج (٥) في سعة رحمته المذنبون .

اللهم فليكن قري (٦) عبدك منك رحمتك ، ومهاده جنتك ...
ثم انصرفت ! .

لأعرابية في رثاء ابنها

● قال عبد الرحمن بن عمر : دخلت على امرأة من نجد بأعلى الأرض في خباء لها ، وبين يديها بُنى لها قد نزل به الموت ، فقامت إليه ... فأغمضته وعصبته ، وسجته (٧) ، وقالت : يا بن أخي ، قلت : ماتشائين ؟ .

قالت : ما أحق من ألبس النعمة ، وأطيلت به النَّظرة ، أن لا يدع التوثق من نفسه قبل حل عقده ، والحلول بعفو ربه ، والمحالة بينه وبين نفسه !؛ قال : وما يقطر من عينها دمة صبرا واحتسابا .

ثم نظرت إليه فقالت :

والله ما كان ماله لبطنه ، ولا أمره لعرسه ، ثم أنشدت :

رُحيب الذراع بالتي لا تشينه وإن كانت الفحشاء بها ذرعاً

(١) فلم يعد في حاجة إلى ما يحتاج إليه أهل الدنيا من مال ومتاع . .

(٢) من رحمة ومغفرة ورضوان .

(٣) الذين علقوا آمالهم على رحمتك وكرمك ومغفرتك .

(٤) المقل : قليل الفضل .

(٥) ولج : دخل .

(٦) القري : ما يقدم للضيف .

(٧) سجته : غطته بثوب ونحوه .

لجارية على قبر أبيها

- سمع الحسن من جارية واقفة على قبر أبيها وهي تقول :
يا أبت ، مثل يومك لم أره ! قال : الذى - والله - لم ير مثل يومه
أبوك ! (١) .

أبيات قيل : إنها لأبى نواس

- وجد على قبر جارية إلى جنب قبر أبى نواس ثلاثة أبيات ؛ فقيل : إنها
من قول أبى نواس ، وهي :

أقولُ لقبر زرتَه متلثماً (٢) سقى الله برد العفو صاحبة القبر
لقد غيبوا تحت الثرى قمر الدجى وشمس الضحى بين الصفائح (٣) والعفر
عجبت لعيني بعدها ملت البكا وقلب عليها يرتجى راحة الصبر

أعرابية مات ابنها

- قيل لأعرابية مات ابنها . ما أحسن عزاءك ؟ قالت : إن فقدى إياه
آمنى كل فقد سواه ، وإن مصيبتى به هونت على المصائب بعده !
ثم أنشأت تقول :

من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر
كنت السواد لناظرى فعمى عليك الناظرُ
ليت المنازل والديا ر حفاير ومقابر
إنى وغيرى للاحالة حيث صرت لصائر (٤)

(١) نعم فأيام الدنيا متشابهة ، فى سرائها وضرائها ، أما هذا اليوم الذى يسلم فيه الإنسان
روحه ، ويفارق دنياه ، فإنه يرى ما ليس له مثيل من قبل فى دنياه ... لقد انتقل من عالم إلى عالم .

(٢) متلثماً : يقبل ذا الجدار وذا الجدار .

(٣) بين الصفائح والعفر بين الأحجار والتراب .

(٤) كلنا للموت صائرون .

● وقالت أعرابية ترثي ولدها :

يا فرحة القلب والأحشاء والكبد
لما رأيتك قد أدرجت في كفن
أيقنت بعدك أني غير باقية
وكيف يبقى ذراع زال عن عَضُدِ

● وقالت أعرابية :

أبني غيبك المحل الملهد
أنت الذي في كل ممسى ليلة
إما بعدت فأين من لا يبعد
تبلى وحزنك في الحشا يتجدد

● وقالت فيه :

لئن كنت لي هوا لعين وقره
وهون حزني أن يومك مدركي
لقد صرت سقما للقلوب الصحائح
وأني غدا من أهل تلك الضرائح (١)

● أبو عبيد البجلي قال : وقفت أعرابية على قبر ابن لها يقال

له : عامر ، :

● فقالت :

أقمت أبكيه على قبره
تركتني في الدار لي وحشة
من لي من بعدك يا عامر
قد دَلَّ من ليس له ناصر
وقالت فيه :

هو الصبر والتسليم لله والرضا
إذا نحن أبنا (٢) سالمين بأنفس
فأنفسنا خير الغنيمة إنها
ولا بر إلا مادون ما بر عامر
هو ابني أمسى أجره لي وعزني
فإن أحتسب أوجر (١) وإن أبكه أكن
إذا نزلت لي حطة لا أشاؤها
كرام رجت أمراً فخاب رجاؤها
تتوب ويبقى ماؤها وحيائها
ولكن نفسا لا يدوم بقاؤها
على نفسه رب إليه ولاؤها
كباكية لم يحي ميتا بكائها

(١) الضرائح : جمع ضريح . القبر .

(٢) أبنا : عدنا ورجعنا وفعله أب .

(٣) ينالني الأجر لأنني احتسبته عند الله .

لهذيلية في رثاء إخوة وابن

● الشيباني قال : كانت امرأة من هذيل ، وكان لها عشرة إخوة وعشرة أعمام ، فهلكوا جميعا في الطاعون ، وكانت بكرأ لم تتزوج فخطبها ابن عم لها فتزوجها ، فلم تلبث أن اشتملت (١) على غلام فولدته ، فنبت نباتا كأنما يمد بناصيته (٢) وبلغ ، فزوجته وأخذت في جهازه ، حتى إذا لم يبق إلا البناء (٣) ، أتاه أجله ، فلم تشق لها جيبا ، ولم تدمع لها عين ؛ فلما فرغوا من جهازه ، دعيت لتوديعه ، فأكبت عليه ساعة ، ثم رفعت رأسها ، ونظرت إليه وقالت :

ألا تلك المسرة لا تدوم ولا يبقى على الدهر النعيم
ولا يبقى على الحدثنان (٤) غفر بشاهقة (٥) له أم رؤوم

ثم أكبت عليه أخرى ، فلم تقطع نجيبها حتى فاضت نفسها فدفنا جميعا .

لشيبانية في حزنها على أهلها

● خليفة بن خياط قال : ما رأيت أشد كمدأ من امرأة من هذيل شيبان ، قتل ابنها ، وأبوها ، وزوجها وأمها ، وعمتها ، وخالتها مع الضحاك الحروري ، فما رأيتها قط ضاحكة ، ولا متبسمة حتى فارقت الدنيا ، وقالت ترثيهم :

(١) اشتملت : حملت .

(٢) كان سريع التواء والطول .

(٣) البناء على الزوجة الدخول بها .

(٤) يقال نزلت به حوادث الدهر وأحداثه ، ومن ينجو من الحدثنان ؟ .

(٥) ليس ينجو أحد وإن كان بمكان عالٍ شاق ترعاه أم حانية وتحوطه وتحميه ، ويضرب المثل بالفقر في البعد والمنعة والحصانة فيقال : أبعد من معقل الفقر ، بل من مطلع الفقر ، وهما ولد الأزوئية ومنزل من منازل القمر .

من لقلب شفة الحزن
ظعن (١) الأبرار فانقلبوا
ولنفس مالها سكن
خيرهم من معشر ظعنوا
ينكلوا عنها ولا جبنوا
صبروا عند السيوف فلم

رثاء أخت النضر له

قال ابن إسحق - صاحب المغازي - لما نزل رسول الله ﷺ الصفراء
- وقال ابن هشام الأثيل - أمر على بن أبي طالب بضرب عنق النضر بن
الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف صبراً (٢) ، بين يدي
الرسول ﷺ . فقالت أخته : قتيلة بنت الحارث ترثيه (٣) :

يا راكباً إن الأثيل مظنة من صبح خامسة وأنت موفق (٤)
بلغ به ميتاً فإن تحيه ما إن تزال بها الركائب تخفق (٥)

(١) الظعن : السفر والارتحال .

(٢) كل ذى روح يوثق حين يقتل فقد قتل صبراً .

(٣) هى من الشعراء المخضرمين . وكان النضر أخوها يؤذى رسول الله ﷺ والمسلمين ويقول :
يأتيكم بأخبار عاد وثمود ، وأنا أتاكم بأخبار الأكاصرة والقياصرة ، فلما قتل قالت هذا الأبيات ترثيه -
وقيل في شعرها : أكرم شعر موتور ، وأعفه ، وأكفه ، وأحلمه .

(٤) الأثيل : موضع فيه قبر النضر ، والمظنة موضع الظن . تريد أن الأثيل مظنة أن تصل إليه
صبيحة ليلة خامسة ، وقولها : وأنت موفق : أى حينها لا تضل طريقك . والمعنى : يا راكباً ، إن الأثيل
يظن أن تبلغه في صبح الليلة الخامسة إن وفقت إلى الطريق ولم ترغ عنه .

(٥) ما - إن - تزال : إن زائدة للتوكيد . وتخفق : تتحرك .

- مَنِيَّ إِلَيْكَ وَعِبْرَةً مَسْفُوحَةً حَادَتْ بِوَافِكْفِهَا وَأُخْرَى تَخْنُقُ (١)
- هَلْ يَسْمَعُنِي النَّضْرُ إِنْ نَادَيْتَهُ أَمْ كَيْفَ يَسْمَعُ مَيْتٌ لَا يَنْطِقُ (٢)
- أَمْحَمْدُ يَا خَيْرَ ضَنْءٍ كَرِيمَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَالْفَحْلُ فَحْلٌ مَعْرُقُ (٣)
- مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرَبَّمَا مِنَ الْفَتَى وَهُوَ الْمَغِيظُ الْمَخْنُقُ (٤)
- فَالنَّضْرُ أَقْرَبُ مِنْ أَسْرَتِ قَرَابَةٍ وَأَحْقَهُمْ إِنْ كَانَ عَتَقَا يَعْتَقُ (٥)
- ظَلَّتْ سَيْوْفُ بَنِي أَبِيهِ تَنْوِشُهُ لِلَّهِ أَرْحَامٌ هُنَاكَ تَشْتَقُّ (٦)
- صَبْرًا يَقَادُ إِلَى الْمَنِيَّةِ مَتَعْبًا رَسْفَ الْمَقِيدِ وَهُوَ عَانٍ مَوْثُقُ (٧)

عمر بن الخطاب والحنساء في أخويها

- الأصمعي قال : نظر عمر بن الخطاب إلى حنساء وبها ندوب (٨) في وجهها فقال : ماهذه الندوب يا حنساء؟! قالت : من طول البكاء على أخوي ! ، قال لها : أخواك في النار ! قالت : ذلك أطول لحزني عليهما ، إنما كنت أشفق عليهما من القتل ، وأنا اليوم أبكي لهما من النار ، وأنشدت تقول :

- (١) مسفوحة : مصبوبة . ومعنى البيتين : إذا وصلت إلى هذا المكان فبلغ ساكنه تحية لا تزال الركائب تتحرك بها منى إليه وبلغه عبرة مصبوبة ، وأخرى بالخلق تخنقه .
- (٢) إنها تتساءل في حسرة .. هل يسمعها أخوها ، ولكنها سرعان ما تقول : كيف يسمع من لا ينطق؟! وإن كانت السنة الشريفة أخبرتنا أن الميت يسمع وقع النعال .
- (٣) الضنء الولد . والمعرق : من له عرق في الكرم . والمعنى : يا محمد ، إن التي ولدتك كريمة قومها ، والذي ولدك سيد عريق في الكرم ، فأنت خلاصة شريفيين .
- (٤) المعنى : وإذا كنت كذلك فما الذي يضرك لو مننت على أخي وأطلقته وليس هذا غيبا عليك إذ قد يعفو الفتى مع انطوائه على الغيظ والحنق .
- (٥) إن النضر أقرب الأسراء الذين أسرتهم إليك وأحقهم بالعتق إن وقع فكاك أو عتق .
- (٦) تنوشه : تناوله . واللام في - لله - للتعجب . والمعنى : لم يقتله أحد غير بني أبيه فعجبا من أرحام تتقطع هناك .
- (٧) إنه يقاد إلى الموت متعبا في قيوده .
- (٨) الندوب ما تتركه الدموع وغيرها في الوجه من آثار وكأما هي مجار للدموع .

وقائلة - والنفس قد فات خطوها لتدركه - يالهف نفسي على صخر
ألا ثكلت (١) أم الذئب غدوا به إلى القبر ماذا يحملون إلى القبر!؟

عائشة والحنساء في صدار (٢) كانت تلبسه :

دخلت حنساء على عائشة أم المؤمنين رضی الله تعالى عنها وعليها صدار
من شعر قد استشعرته إلى جلدها ؛ فقالت لها : ما هذا يا حنساء ؟ فو الله لقد
توفى رسول الله ﷺ فما لبسته ! .

قالت : إن له معني دعاني إلى لباسه ، وذلك أن أبي زوجني سيد
قومه ، وكان رجلا متلافاً ، فأسرف في ماله حتى أنفده ، ثم رجع في مالي
فأنفده أيضا ، ثم التفت إلى فقال : إلى أين يا حنساء؟! قلت : إلى أخي
صخر ، قالت : فأتيناه فقسم ماله شطرين ، ثم خيرنا في أحسن الشطرين ،
فرجعنا من عنده ، فلم يزل زوجي حتى أذهب جميعه ، ثم التفت إلى فقال
لي : إلى أين يا حنساء ؟ فقلت إلى أخي صخر .. ! .

قالت : فرحلنا إليه ، ثم قسم ماله شطرين ، وخيرنا في أفضل
الشطرين ، فقالت له زوجته : أما ترضى أن تشاطرهم مالك حتى تخيرهم بين
الشطرين ؟ فقال :

والله لأمنحها شرارها فلو هلكت قددت خمارها
واتخذت من شعر صدارها وهي حصان قد كفتني عارها

فآليت ألا يفارق الصدار جسدي ما بقيت ! .

● من رثت زوجها :

قالت أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين - رضی الله عنها - رثي زوجها

(١) الثكلي هي من فقدت بنتها .
(٢) الصِّدَار : قميص يغطي الصدر بلا كمين ، واستشعرته لبسته بحيث يلي الجسد ، والشعار
ما يلبس تحت الدثار فالجلباب دثار والقميص شعار .

الزبير بن العوام وكان قتله عمرو بن جرموز المحاشمي بوادي السباع وهو منصرف
من وقعه الجمل [وتروى هذه الأبيات لزوجته التي تزوجها بعد عمر بن الخطاب رضى الله
عنه] :

غدر ابن جرموز بفارس بهمة يوم الهياج وكان غير معرد (١)
يا عمرو لو نبهته لو جدته لا طائشا رعرش الجنان ولا اليد
ثكلتك أمك إن قتلت لمسلما حلت عليك عقوبة المتعمد

● لبانة زوجة الأمين تراثه :

الهلالي قال : تزوج محمد بن هارون الرشيد لبانة بنت علي بن ربيعة ،
وكانت من أجمل النساء ، فقتل محمد عنها ولم يبق بها ، فقالت تراثه :

أبكىك لا للنعيم والأنسي بل للمعالى والرحم والفرس
يا فارساً بالعراء مطرحاً خائته قواده مع الحرس
أبكى على سيد فجعت به أرملى قبل ليلة العرس
أم من لبر أم من لعائدة أم من لذكر الإله في الغلس (٢)
من للنحروب التي تكون لها إن أضمرت نارها بلا قيس

● وقالت أعرابية تراثى زوجها (٣) :

كنا كغصنين في جرثومة سمقا حيناً بأحسن مايسمو له الشجر (٤)

(١) البهمة : الشجاع الذى يستبهم مأتاه على أقرانه فيحارون كيف يأتونه ، ومن أين ينالونه
ويتمكنون منه !! وعُرد عنه : إذا انحرف وبعد : فقد غدر به على مقربة منه دون أن ينهيه .

(٢) الغلس : ظلمة آخر الليل .

(٣) هذه الأبيات منسوبة في ديوان الحماسة لصفية الباهلية تراثى أخاها (الطبعة الثانية

١٩١٣م) .

(٤) الجرثومة : الأصل ، والتراب المتجمع في أصول الشجر . وسمقا : طالا ، ويسمو : يعلو ،
والمعنى : كنا كغصنين طالا وتشعبا من أصل واحد متكافئين في رفعة الشرف ، ودمنا زمانا على أحسن
ما يدوم به الفرعان في أصلهما . وقد جاء البيت في العقد :

بنقا حيناً على خير ما ينمى به الشجر

حتى إذا قيل قد طالت فروعهما وطاب فيهما واستنظر الثمر (١)
أخنى على واحد ريب الزمان وما يبقى الزمان على شيء ولا يذر (٢)
كنا كأنجم ليل بينها قمر يجلو الدجى فهوى من دونها القمر (٣)

● الأصمعي وجارية على قبر زوجها :

● الأصمعي قال : دخلت بعض مقابر الأعراب ومعى صاحب لى ،
فإذا جارية على قبر كأنها تمثال ، وعليها من الخلى والحلل مالم أرمثله وهى تبكى
بعين غزيرة وصوت شجى ؛ فالتفت إلى صاحبي فقلت : هل رأيت أعجب من
هذا ؟ قال : لا والله ولا أحسبني أراه ! .

ثم قلت لها : يا هذه إني أراك حزينة وما عليك زى الحزن .
فأنشأت تقول :

فإن تسألانى فيم حزنى فإننى رهينة هذا القبر يافتيان
وإنى لأستحييه والترب بيننا كما كنت أستحييه حين يرانى
أهابك إجلالا وإن كنت فى الثرى (٤) مخافة يوم أن يسوءك شأنى

(١) الفىء : الظل ، واستنظر : انتظر ، وفى رواية العقد : وطال قنواهما واستنظر الثمر والقنو :
العذق وهو من النخل كالعنقود من العنب .

(٢) أخنى : أهلك ، وريب الزمان : مصيبته ، ولا يذر : ولا يدع . ومعنى البيت : أننا لما بلغنا
الكمال ، وطاب منشؤنا ، وكنا كفرعى الشجرة التى طاب ظلها ، واستنظر ثمار أغصانها أحدث حدثان
الدهر أحداثا فاجعة فأهلكت - أختى - أو زوجى - على رواية العقد - الواحد . ولا عجب ؛ فإن هذه
أحوال الدهر الذى لا يدوم على حال .

(٣) كنا فى الاجتماع مع الأهلين كأنجم التى تبدو فى الليل ، وهو بيننا كالقمر الذى يكشف
الظلمة ، فسقط من وسطها . أى غاب عن أعيننا .

(٤) الثرى : التراب ، وهى ما زالت تعمل حسابه ، ويعترتها الحياء منه ميتا كما كانت معه حيا ،
فهى تهابه إجلالا .

ثم اندفعت في البكاء وجعلت تقول :

يا صاحب القبر يامن كان ينعم لى
قد زرت قبرك فى حلى وفى حلى
أردت آتلك فىما كنت أعرفه
فمن رآنى رأى عبرى موهلة
بالاً وىكتر فى الدنيا مواسقى
كأنتى لست من أهل المصىبات
أن قد تسر به من بعض هىأتى
عجىبة الزى تبكى بين أموات (١)

وقال : رأيت بصحراء جارية قد ألصقت خدها بقبر وهى تبكى وتقول :

خدى يقىك خشونة اللحد
ياساكن القبر الذى بوفاته
عميت على مسالك الرشد (٢)
أطفى بذلك حرقة الوجد (٣)

● من رثى جارىته :

كان لمعلى الطائى جارية يقال لها وصف ، وكانت أدبية شاعرة ، فأخبرنى محمد بن وضاح ، قال : أدركت معلى الطائى بمصر ، وأعطى بجارىته « وصف » أربعة آلاف دينار ، فباعها ، فلما دخل عليها قالت له : بعتنى يامعلى؟! قال : نعم . قالت : والله لو ملكت منك مثل ماتملك منى ما بعتك بالدنيا وما فيها ! فرد الدنانير ، واستقال (٤) صاحبه ، فأصيب بها إلى ثمانية أيام ، فقال يرثيها .

ياموت كيف سلبتنى وصفا
هلا ذهب بنا معا فلقد
قدمتها وتركتنى خلفا
ظفرت يداك فسمتنى حسفاً (٥)
وأخذت شق النفس من بدنى
فقبرته وتركت لى النصفا

(١) عبرى : باكية تسيل عبراتها ، وموهلة : ذهب الحزن بعقلها .

(٢) أصبحت حائرة بعدك ، فقد كنت ترشدنى ، وتهدينى .

(٣) الوجد : الحزن .

(٤) استقال صاحبه : طلب منه أن يعفيه من إتمام الصفقة ويرد عليه جارىته لأنه رجع فى البيع .

(٥) سمتنى حسفاً : أذقتنى الذل بعدها .

فالموت بعد وفاتها أعفى
لما رفعت إلى البلى وصفا
ريا العظام وشعرها الوحفا (١)
بين الرياض تناظر الخشفا (٢)
وتظل ترعاه إذا أغفى (٣)
وقت الرضاع فينطوى ضعفا
يخطو فيضرب ظلفه الظلفا
نحوى تحير محاجرا وطفا (٤)
إلف يصون بيره الإلفا
ما كنت قبلك حاملا وكفا (٥)
للريح تنسف تربه نسفا
من زينة قرطا ولا شنفا (٦)
بيتا يصفح تربه السقفا
عصفت به أيدي البلى عصفا
حتى نقوم لربنا صفا
قد كنت أنيس دونها الحتفا (٧)
غصن من الريحان قد جفا
فلقد حويت البر والظرفا

فعليك بالباقي بلا أجل
ياموت ما أبقيت لى أحداً
هلا رحمت شباب غانية
ورحمت عيني ظبية جعلت
تغض إذا انتصبت فرائصه
فإذا مشى اختلفت قوائمه
متحيرا في المشى مرتعشا
فكأنها وصف إذا جعلت
ياموت أنت كذا لكل أخى
خليتنى فرداً وبتت بها
فتركتها بالرغم في جدث
دون المقطم لا ألبسها
أسكنتها في قعر مظلمة
بيتا إذا مازاره أحد
لا نلتقى أبدا معاينة
لبست ثياب الحتف جارية
فكأنها والنفس زاهقة
ياقبر أبق على محاسنها

(١) الغانية : التي استغنت بجمالها عن الزينة ، وريا العظام : طرية ناعمة وشعرها الوحف : الاسود الفاحم الكثيف .

(٢) الخشفا : ولد الغزال يطلق على الذكر والأنثى .

(٣) الفرائص : جمع فريضة وهي لحمة بين الكتف والصدر ترتعد عند الفزع فإذا ما رأت وليدها قد نام تظل ساهرة عليه ترعاه .

(٤) الحجر من العين ما دار بها . وطفاء كثيرة شعر الحاجبين .

(٥) بنت بها : بعدت بها عنى - وما كنت قبلك حاملا وكفا - أى حزنا ودموعا تكف .

وتسيل .

(٦) الشنفا : ما علق في الأذن ، أو أعلاها من الحلى .

(٧) الحتف : الموت ، وجارية : شابة .

● مروان بن محمد وجارية له :

● لما هزم مروان بن محمد وخرج نحو مصر ، كتب إلى جارية له خلفها بالرملة :

وما زال يدعوني إلى الصد مأرى
وكان عزيزا أن تبنى وبيننا
وأنكاهما للقلب - والله - فاعلمى
وأعظم من هذين - والله - أننى
سأبكيك لا مستبقيا فيض عبوة
ولا طالبا بالصبر عاقبة الصبر
فأنى ويشينى الذى لك فى صدرى
حجاب فقد أمسيت منك على عشر
إذا ازددت مثلها فصرت على شهر
أخاف بالأ نلتقى آخر الدهر
ولا طالبا بالصبر عاقبة الصبر

● وقال حبيب الطائى يرثى جارية أصيب بها :

جفوف البلى أسرع فى الغصن الرطب
لقد شرقت فى الشرق بالموت عادة
وألبنى ثوبا من الحزن والأسى
وكنت أرجى القرب وهى بعيدة
أقول وقد قالوا استراحت لموتها
لها منزل تحت الثرى وعهدتها
وخطب الردى والموت أبرحت من خطب
تبدلت منها غربة الدار فى القرب
هلال عليه نسج ثوب من الترب
فقد نقلت بعدى عن البعد والقرب
من الكرب روح الموت شر من الكرب
لها منزل بين الجوانح والقلب

● وقال يرثيها :

ألم ترنى خلّيت نفسى وشأنها
لقد خوفتنى النائبات صروفها
وكيف على نار الليلالى معرس
أصبت بخود سوف أغبر بعدها
ولم أحفل الدنيا ولا حدثانها (١)
ولو أمنتنى ما قبلت أمانها (٢)
إذا كان شيب العارضين دخانها
حليف أسى أبكى زماناً زمانها (٣)

(١) لم أحفل : لم اهتم ، وحدثانها : أحداثها .

(٢) صروفها : نكباتها ، ولهذا لم يعد يأمنها .

(٣) الخود : الفتاة الناعمة حسنة المظهر والمخبر ، ويقول إنه سيظل بعدها يخالف الحزن .

- عنان من اللذات قد كان في يدي
منحت المها هجرى فلا محسناتها
يقولون : هل يبكي الفتى لخريدة
وهل يستعيض المرء من خمس كفه
- فلما قضى الإلف استردت عنانها (١)
أريد ولا يهوى فؤادى حسانها (٢)
إذا ما أراد اعتاض عشرأ مكانها (٣)
ولو صاغ من حر اللجين بنانها (٤)

● وقال أعرابي يرثي امرأته :

- فو الله ما أدري إذا الليل جننى
أمفصل عنه ثرى ؟ أم كريمة
- وذكرنيها أينما هو أوجع (٥)
أم العاشق النابى به كل مضجع ؟ (٦)

● وقال محمود الوراق يرثي جاريته نشو :

- ومنتصح يردد ذكر نشو
أقول : وعد ما كانت تساوى
عطيته إذا أعطى سروراً
فأى النعمتين أعم نفعا
أنعمته التى أهدت سروراً
بل الأخرى وإن نزلت بحزن
- على عمد ليعث لى أكثابا
سيحسب ذاك من خلق الحسابا
وإن أخذ الذى أعطى أثابا
وأحسن فى عواقبها إيابا
أم الأخرى التى أهدت ثوابا ؟
أحق بشكر من صبر احتسابا!

- (١) يتحسر على ما كان يتاح له من لذات يمسك بعنانها عندما كانت تعاشه فلما ماتت استردت عنانها - والعنان ما يمسك به الفارس من فرسه .
(٢) يقصد النساء الجميلات ، وقد كانوا يشبهون المرأة بالمهاة وهى بقر الوحش لسعة عينها - فلقد أعرض عن جمالهن وهجرهن بفراقها .
(٣) الخريدة : البكر الحبيبة الطويلة السكوت ، واللؤلؤة لم تنقب ، ويقول : إن فراغها لا يملؤه غيرها ولو كن عشرا .
(٤) هل يمكن أن تسد أى أصابع مكان أصابع اليد ، ولوصيغت من فضة .. إن غيرها لا يعوض عنها مهما بلغت فى الجمال .
(٥) جن عليه الليل : أظلم .
(٦) نبابه المضجع : كرهه ، فلا ينام .

● محب وجارية له ماتت :

أبو جعفر البغدادي قال : كان لنا جار ، وكانت له جارية جميلة ، وكان شديد المحبة لها ، فماتت ، فوجد (١) عليها وجداً شديداً ، فبينما هو ذات ليلة نائم ، إذ أتته الجارية في نومه فأنشده هذه الأبيات :

جاءت تزور وسادي بعد مادفت
فقلت : قرة عيني (٢) قد نعتت لنا
قالت : هناك عظامي فيه ملحدة
وهذه النفس قد جاءتك زائرة
في النوم ألثم خدأ زانه الجيد
فكيف ذا وطريق القبر مسدود !؟
تنهش منها هوام الأرض والدود
فاقبل زيارة من في القبر ملحود

فانتبه وقد حفظها ، وكان يحدث الناس بذلك وينشرهم . فما بقي بعدها إلا أياما يسيرة حتى لحق بها .

● رثاء ابنة لأحد بني حميد

قال البحتري يعزى أبا نهشل (٣) محمد بن حميد الطوسي عن ابنته :

ظلم الدهر فيكم وأساء
أنفس ماتكاد تفقد فقداً
فعزاء بنى حميد عزاء
وصدور ماتبرح البرحاء

(١) حزن عليها حزناً شديداً .

(٢) يا قرة عيني .

(٣) أبو نهشل محمد بن حميد ، وأخواه أبو نصر محمد ، وأبو عبد الله محمد هم : بنو حميد ابن عبد الحميد الطائي الطوسي القائد الذي قتل في حرب بابل سنة ٢١٤ وقد ترجم المرزباني لهم في معجم الشعراء ، وقال : إنهم شعراء أدياء ، وقد رثى أبو تمام أباهم عند مصرعه ، وهذه القصيدة يرجع تاريخها إلى سنة ٢٣٠ هـ ديوان البحتري ج ١ .

- أصبح السيف داءكم وهو الد
وانتحي القتل فيكم فبكينا
ياأبالقاسم المقسم في النجـ
والهزبر الذى إذا دارت الحر
الأسى واجب على الحر ، إما
وسفاه أن يجزع الحر مما
أنبكى من لاينازل بالسيـ
والفتى من رأى القبور لما طا
لسن من زينة الحياة كعد اللـ
قد ولدن الأعداء قدما وورثـ
لم يئد ترهين « قيس تميم »
- اء الذى مايزال يعىى الدواء (١)
بدماء الدموع (٢) تلك الدماء
سدة والجود والندى أجزاء (٣)
ب به صرف الردى كيف شاء (٤)
نية حرة وإما رياء (٥)
كان حتما على العباد قضاء (٦)
ف مشيحا ولا يهز اللواء ؟ (٧)
ف به من بناته أكفاء (٨)
سه منها الأموال والأبناء (٩)
ن التلاد الأقصى البعداء (١٠)
عيلة بل حمية وإباء (١١)

- (١) يقف الدواء والطب عاجزا أمام السيف .
(٢) بدموع تشبه الدماء عبرنا عن حزننا على قتلاكم .
(٣) الندى : العطاء ، وقد وصفه بالنجدة ، والجود ، والندى .
(٤) الهزبر : الأسد ، وهو هنا شجاع عندما تدور رحى الحرب ، لا يهاب الموت بل يوجه الموت
لكل من حوله ممن يقاتلهم كيف شاء .
(٥) الأسى بضم الهمزة وكسرهما : جمع أسوة أى القُوَّة وما يأتسى به الحزين .
(٦) من السفه أن نجزع ونحزن مما هو لا مفر من وقوعه .
(٧) لا يستحق البكاء في نظر الشاعر من لا يينازل الأبطال ، ولا يحمى اللواء في ميادين القتال
يعنى بذلك : النساء ؛ فهو يعجب ممن يبكين . والمشيح : الجاد الحذر والمانع لما وراء ظهره .
(٨) الفتى الحق من يرى أن القبور هى المناسبة لما طاف به من بناته .
(٩) يشير إلى أن الله سبحانه وتعالى عندما عد زينة الحياة الدنيا قال : ﴿ المال والبنون زينة الحياة
الدنيا ﴾ [الكهف : ٤٦] وليس من هذه الزينة البنات .
(١٠) التلاد بالفتح : المال القديم الأصل الذى ولد عندك وهو ضد الطارف ويقصد أنهم يتزوجن
فينسب أبناؤهن إلى قبائل الأزواج وربما كانت معادية لقبيلة الأم فينتسب الأبناء لتلك القبيلة المعادية كما قال
شاعر مماثل :

بنونا بنو أبائنا ، وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأبعاد

وأيضاً ينتقل ميراث البنت معها إلى زوجها وأولادها .

- (١١) العيلة : مصدر عال : افتقر . وقيس تميم : هو قيس بن عاصم المقرئ ينتسب إلى زيد مناة
ابن تميم ، وقد كان يئد كل بنت تولد له ويرر الشاعر ذلك بأنه لم يكن الدافع من وراء ذلك الوأد الفقير
وإنما كان الإباء والحمية وخوف العار والفضيحة وترهين : أى مثلهن .

وتغشى في مهلهل الذل فيه —
 وشقيق بن فاتك حذر العا
 وعلى غيرهن أحزن يعقو
 وشعيب من أجلهن رأى الوحـ
 واستزل الشيطان آدم في الجـ
 وتلفت إلى القبائل فانظر
 ولعمري ما العجز عندى إلا
 من وقد أعطى الأديم حياء (١)
 ر عليهن فارق الدهناء (٢)
 ب وقد جاءه بنوه عشاء (٣)
 مدة ضعفا فاستأجر الأنبياء (٤)
 نة لما أغرى به « حواء »
 أمهات يُنسين أم آباء؟!
 أن تبيت الرجال تبكى النساء!!

للإسكندر يعزى أمه عن فقده

● ولما حضرت الإسكندر الوفاة كتب إلى أمه :
 أن اصنعي طعاما يحضره الناس ، ثم تقدمي إليهم :
 ألا يأكل منه محزون ، ففعلت : فلم ييسط أحد إليه يده ، فقالت :
 مالكم لا تأكلون ؟ فقالوا : إنك تقدمت إلينا أن لا يأكل منه محزون ، وليس
 منا إلا من قد أصيب بحميم أو قريب ! .

فقالت : مات والله ابني ! .

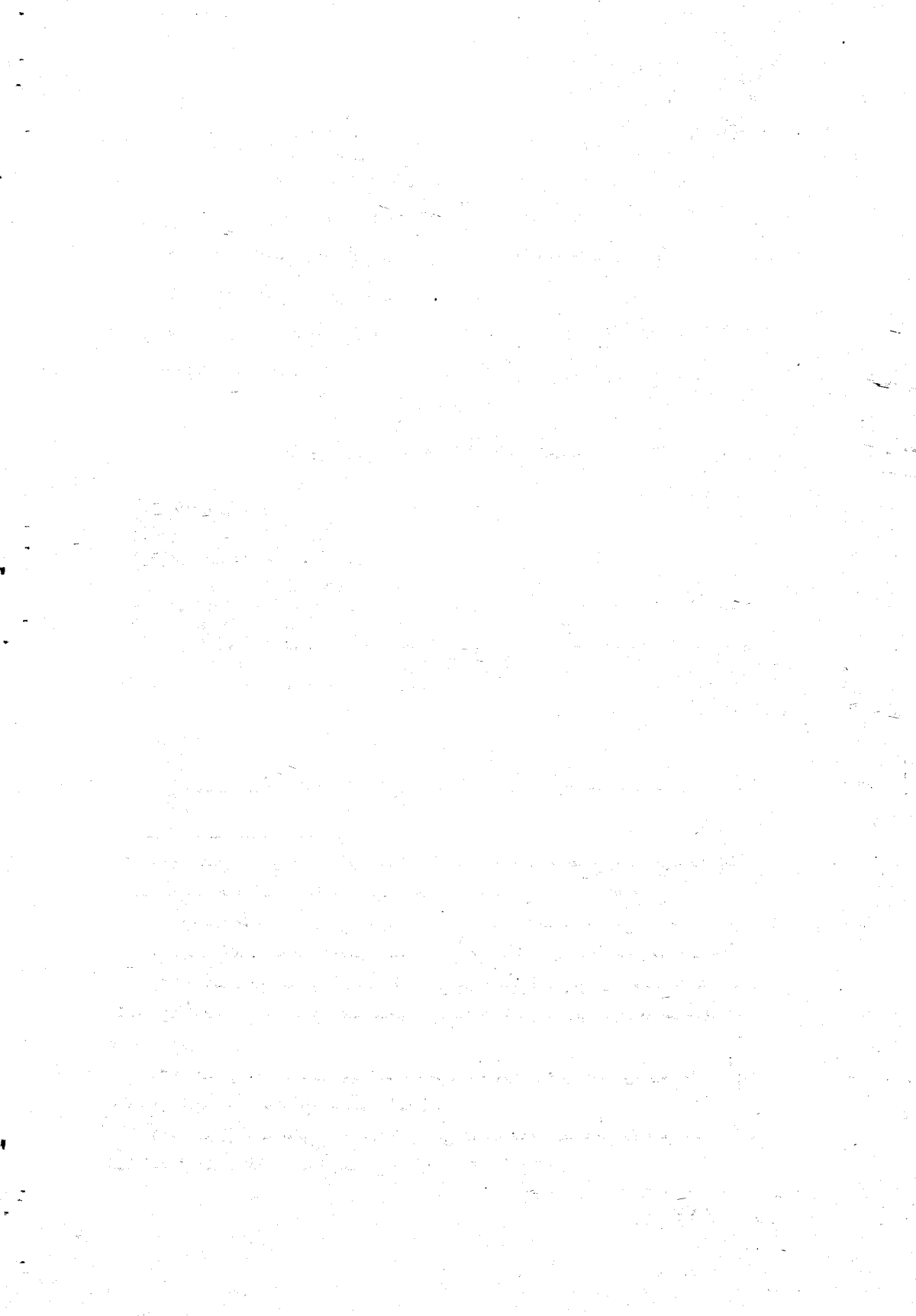
ومما أوصى إلى بهذا إلا ليعزيني به !

(١) مهلهل بن ربيعة التغلبي نزل بقبيلة يقال لها : « جنب » فزوج إحدى بناته فيها لمعاوية
 ابن عمر من ولد هذه القبيلة . وقدم لها مهرها جلودًا . فقال :

زوجها فقدها الأراقم من جنب وكان الحباء من آدم
 والأديم : الجلد . والحباء : العطاء . ويقصد أن أباه تغشاه الذل عندما أعطى مهر ابنته جلدًا .
 (٢) الدهناء : من ديار بني نعيم معروفة ، وهي سبعة أجبل من الرمل في عرضها بين كل جبلين
 شقيقة ، إذا أخصبت ربت العرب جميعا لسعتها . ويقصد أن شقيق بن فاتك فارق موطنه خوف العار
 على بناته .

(٣) يشير إلى قصة يوسف عليه السلام وحزن أبيه عليه لما عاد إخوته إلى أبيهم بعد أن ألقوا
 أحاهم في الحب . وأن هذا الحزن لم يكن عليهن ! .

(٤) يشير إلى قصة موسى عليه السلام مع ابنتي شعيب عندما سقاهما من ماء مدين وقد وردت
 قصة ذلك في القرآن الكريم سورة القصص [الآيات : ٢٣ - ٢٨] .



الباب الثامن

● الوافدات على معاوية من صواحب علي :

١ - سودة الهمدانية .

٢ - بكارة الهلالية .

٣ - الزرقاء .

٤ - أم سنان بنت خيثمة .

٥ - عكرشة بنت الأطرش .

٦ - درامية الحجونية .

٧ - أم الخير بنت حريش .

٨ - أروى بنت عبد المطلب .

● من يضرب به المثل منهن :

[البسوس - دعة - أم قرفة - ظلمة ...] .

● أمثال نسائية ردها الحاضر والبادي .

1870

1871

1872

1873

1874

1875

1876

1877

1878

1879

1880

1881

1882

1883

1884

1885

1886

1887

1888

1889

1890

1891

1892

1893

1894

1895

1896

1897

1898

1899

1900

بين يدي هذا الباب

● قال أحمد بن عبد ربه في الوفود :

« إنها مقامات فضل ، ومشاهد حفل ، يتخير لها الكلام ، وتستهبذ الألفاظ ، وتستجزل المعاني .

ولا بد للوفاد عن قومه أن يكون عميدهم ، وزعيمهم الذى عن قومه ينزعون (١) ، وعن رأيه يصدرون ؛ فهو واحد يعدل قبيلة ، ولسان يعرب عن ألسنة .

وما ظنك بوفاد يتكلم بين يدي خليفة ، فى رغبة أو رهبة ، يوطد لقومه مرة ، ويتحفظ ممن أمامه أخرى ! .
أتراه مدخرا نتيجة من نتائج الحكمة ، أو مستبقيا غريبة من غرائب الفطنة ؟ .

أم تظن القوم قدموه لفضل هذه الخطة إلا وهو عندهم فى غاية الخدقة (٢) ، واللسن ، ومجمع الشعر والخطابة ! .

ألا ترى أن قيس بن عاصم المنقرى ، لما وفد على النبي ﷺ بسط له رداءه ، وقال : هذا سيد أهل الوبر ! .

● وأنا أقول فى هؤلاء الوافدات :

إليك وافدات النساء على معاوية من صواحب على رضى الله عنه .

(١) نزع عن القوس رضى عنها ، والمراد أنهم تابعون له يأتمرون بأمره .

(٢) الخدقة إظهار الخدق والقدرة الكلامية ، واللسن : الفصاحة .

ترى كيف كان ذاك اللقاء بين من ضرب المثل « بشعرته » فقال :
لو كان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت ؛ لأنهم إذا شدوا أرخيت !
وإذا أرخوا شددت !؟ .

- وبين من قيل له : « إن كيدكن عظيم » ! .

ولمن ياترى تكون الغلبة !!؟ .

ذلك ما تجده في حوار ثمان منهن .. .

١ - وفود سودة ابنة عمارة على معاوية (١)

عامر الشعبي قال : وفدت سودة بنت عمارة بن الأشتر الهمدانية على
معاوية بن أبى سفيان ، فاستأذنت عليه ، فأذن لها ، فلما دخلت عليه سلمت
عليه ، فقال لها : كيف أنت يا ابنة الأشتر ؟ قالت : بخير يا أمير المؤمنين .

قال لها : أنت القائلة لأخيك :

شمر كفعل أهلك يابن عمارة	يوم الطعان وملتقى الأقران
وانصر عليا والحسين ورهطه	واقصد لهند وابنها بهوان (١)
إن الإمام أخا النبى محمد	علم الهدى ومنارة الإيمان
فقد الجيوش وسر أمام لوائه	قدماً بأبيض صارم وسنان

(١) سودة : كانت سفيرة لقومها تعرض شكواهم على الرجل الذى أصبح خليفة عليهم دون
رغبة منهم ، ولكن ما دام الأمر قد صار إليه ، وولى عليهم - عن قصد منه - واليا ظلما - فلا مفر
من الشكوى إليه مع أمل ضعيف فى أن يجنبهم ظلم واليه ، وبطشه بهم وقتله رجالهم . ولم تجن سودة
عن تهديد الخليفة ، تهديداً صريحاً من ألفاظ فى رقة الحرير « فإما عزله عنا فشكرناك ، وإما لا فعرفناك »
فى عرفناك ظلماً ولا بد من مقاومة ظلمك .

(٢) هند : هى هند بنت عتبة ، والدة معاوية .

قالت : ياأمير المؤمنين : مات الرأس ، وبتر الذنب ، فدع عنك تذكرك ما قد نسي .

قال : هيهات ، ليس مثل مقام أخيك ينسى .

قالت : صدقت والله ياأمير المؤمنين ، ما كان أخى خفى المقام ، ذليل المكان ولكن كما قالت الخنساء :

وإن صخرأً لتأتم الهداة به كأنه علم (١) فى رأسه نار

وبالله أسأل ياأمير المؤمنين إعفائى مما استعفيتيه . قال : قد فعلت ، فقولى حاجتك . قالت : ياأمير المؤمنين ، إنك للناس سيد ، ولأمورهم متقلد ، والله سائلك عما افترض (٢) عليك من حقنا ، ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك ، ويبسط سلطانك ، فيحصدنا حصاد السنبل ، ويدوسنا دياس البقر ، ويسومنا الخنسية ، ويسألنا الجليلة ، هذا ابن أرطاة (٣) قدم بلادى ، لو قتل رجالى ، وأخذ مالى ، ولولا الطاعة لكان فينا عزٌّ ومنعة ، فإما عزله فشكرناك ، وإما لافعرفناك ! .

فقال معاوية : إياى تهددين بقومك ، والله لقد هممت أن أردك على قَتَبِ أشرس (٤) ، فينفذ حكمه فيك . فسكتت ، ثم قالت :

صلى الإله على روح تضمنه (٥) قبر فأصبح فيه العدل مدفوناً
قد حالف الحق لا يبغى به ثمناً فصار بالحق والإيمان مقروناً

قال : ومن ذلك ؟ .

(١) علم : جيل . وهم يقولون فى كل مشهور معروف : فأشهر من نار على علم .

(٢) افترض عليك : أوجب عليك من حقوق للرعية .

(٣) ابن أرطاة : أحد ولاة معاوية الشداد .

(٤) قَتَب : الرجل الصغير على قدر سنام البعير . أشرس : سىء متعجب ونرى أن معاوية يغلظ لها

القول ، وما كان له ولا لغيره أن يغلظ القول لامرأة ! .

(٥) تضمنه : اشتمل عليه .

قالت : على بن أبي طالب رحمه الله تعالى .

قال : ما أرى عليك منه أثرا ! .

قالت : بلى ، أتيته يوماً في رجل ولاه صدقاتنا ، فكان بيننا وبينه ما بين الغث والثمين ، فوجدته قائماً يصلي ، فانفتل من الصلاة (١) ، ثم قال برأفة وتعطف :

ألك حاجة ؟ فأخبرته خبر الرجل ، فبكى ، ثم رفع رأسه إلى السماء ، فقال : اللهم إني لم أمره بظلم خلقك ، ولا ترك حقك . ثم أخرج من جيبه قطعة من جراب فكتب فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم .. ﴿ قد جاءكم بينة من ربكم ، فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ﴾ (٢) . ﴿ ولا تعثوا ﴾ (٣) في الأرض مفسدين ببقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ ﴿ إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك حتى يأتي من يقبضه منك . والسلام .

فعرله يأمر المؤمنين . ما حزمه بحرام ، ولا ختمه بختام .

فقال معاوية : اكتبوا لها بالإنصاف لها ، والعدل عليها . فقالت :

ألى خاصة أم لقومي عامة ؟ .

قال : ما أنت وغيرك ؟ قالت : هي والله الفحشاء واللؤم ، إن لم يكن عدلاً شاملاً ، وإلا يسعني ما يسع قومي . قال : هيئات ! ، لمظكم (٤) ابن أبي طالب الجرأة على السلطان ، فبطيئاً ماتفطمون ، وغرركم قوله :

فلو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان (٥) : ادخلوا بسلام

(١) انفتل : تخلص بسرعة .

(٢) سورة الأعراف : من الآية ٨٥ .

(٣) بقية الآية ٨٥ ، ٨٦ من سورة هود .

(٤) لمظكم : من التلمظ وهو تحريك اللسان في الفم بعد الأكل ، والمراد عودكم .

(٥) همدان : قبيلة يمنية كانت تناصر علياً كرم الله وجهه .

وقوله :

ناديت همدان والأبواب مغلقة ومثل همدان سنى^(١) فتحة الباب
كاهندوانى لم تقلل مضاربه وجه جميل وقلب غير ورجاب^(٢) .
اكتبوا لها بحاجتها^(٣) .

٢ - وفود بكارة الهلالية على معاوية

محمد بن عبد الله الخزاعى عن الشعبى قال :

استأذنت بكارة الهلالية على معاوية بن أبى سفيان ، فأذن لها وهو يومئذ
بالمدينة ، فدخلت عليه ، وكانت امرأة قد أسنت ، وعشى^(٤) بصرها ،
وضعفت قوتها ، ترعش^(٥) بين خادمين لها ، فسلمت وجلست ، فرد عليها
معاوية السلام ، وقال : كيف أنت ياخاله ؟ .

قالت : بخير ياأمير المؤمنين ، قال : غيرك الدهر ! قالت : كذلك هو
ذو غير^(٦) ، من عاش كبير ، ومن مات قبر .

قال عمرو بن العاص : هى والله القائلة ياأمير المؤمنين :

يازيد دونك فاستشر من دارنا سيفا حساما فى التراب دفينا
قد كنت أذخره^(٧) ليوم كريمة فاليوم أبرزه الزمان مصونا

قال مروان : هى والله القائلة ياأمير المؤمنين :

(١) سنى فتحة الباب : أتاح لها وسهل .

(٢) الرجاب : كثير الخفقان من وجب القلب وجيبا سمع صوت دقاته .

(٣) يالها من زعيمة أعز الإسلام جانبها ، ووسعت الثقافة فكرها ، وعمقت أفقها .

(٤) العشا : سوء البصر بالليل ، أو سوء البصر بالليل والنهار ، أو العمى .

(٥) ترتعش وترتعد .

(٦) غير الدهر : أحداثه .

(٧) أذخره : أدخره .

أتري ابن هنيذ^(١) للخلافة مالكا
منتك نفسك في الخلاء ضلالةً
هيئات ذاك وإن أراد بعيد
أغراك عمرو للشقا وسعيد^(٢)

قال سعيد بن العاصي : هي والله القائلة :

قد كنت أطمع أن أموت ولا أرى
فأله آخر مدتي فتناولت
فوق المنابر من أمية خاطبا
حتى رأيت من الزمان عجائبا
في كل يوم للزمان خطيبهم
بين الجميع لآل أحمد عائبا^(٣)

ثم سكتوا . فقالت : يامعاوية ، كلامك أعشى بصرى ، وقصر
حجتي ، أنا والله قائلة ما قالوا ، وماخفى عليك مني أكثر ! .

فضحك وقال : ليس يمنعنا ذلك من برك .

قالت : أما الآن ، فلا .

* * *

٣ - وفود الزرقاء على معاوية

عبيد الله بن عمر الغساني عن الشعبي قال : حدثني جماعة من بني أمية
من كان يسمر مع معاوية قالوا : بينا معاوية ذات ليلة مع عمرو وسعيد وعتبة
والوليد ، إذ ذكروا الزرقاء ابنة عدى بن غالب بن قيس الهمدانية ، وكانت
شهدت مع قومها صفين ، فقال : أيكم يحفظ كلامها ؟ .

قال بعضهم : نحن نحفظه يأمر المؤمنين . قال : فأشيروا علي في
أمرها .

فقال بعضهم : نشير عليك بقتلها . قال بمس الرأي أشرتم به علي ،
أيحسن بمثلي أن يتحدث عنه أنه قتل امرأة بعدما ظفر بها .

(١) معاوية .

(٢) عمرو بن العاص ، وسعيد بن العاصي وكانت لما الخطوة في مجلس الخليفة .

(٣) علي وفاطمة .. والحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين .

فكتب إلى عامله بالكوفة أن يوفدها إليه مع ثقة من ذوى محارمها وعدة من فرسان قومها ، وأن يمهد لها وطاء لينا ، ويسترها بستر خصيف (١) ، ويوسع لها في النفقة ، فأرسل إليها عامله ، فأقرأها الكتاب ، فقالت : إن كان أمير المؤمنين قد جعل الخيار إلى فإني لا آتية ، وإن كان حتم فالطاعة أولى . فحملها وأحسن جهازها على ما أمر به .

فلما دخلت على معاوية قال : مرحبا وأهلا ، قدمت خير مقدم قدمه وافد ! كيف حالك ؟ .

قالت : بخير يا أمير المؤمنين ، أدام الله لك النعمة .

قال : كيف كنت في مسيرك ؟ .

قالت : ربيبة بيت ، أو طفلا ممهداً .

قال : بذلك أمرناهم ، أتدرين فيم بعثت إليك ؟ .

قالت : أنى لى بعلم ما لم أعلم !؟

قال : ألسنت الراكبة الجمل الأحمر ، والواقفة بين الصفين يوم صفين تحضين الناس على القتال ، وتوقدين الحرب ؟ فما حملك على ذلك ؟ .

قالت : يا أمير المؤمنين ، مات الرأس ، وبتت الذنب ، ولم يعد ما ذهب ، والدهر ذو غير ، ومن تفكر أبصر ، والأمر يحدث بعده الأمر .

قال لها معاوية : صدقت ، أنتحفظين كلامك يومئذ ؟ .

قالت : والله لا أحفظه ، ولقد أنسيته .

قال : لكنى أحفظه ، لله أبوك حين تقولين :

أيها الناس ، ارجعوا وارجعوا ، إنكم قد أصبحتم في فتنه غشتكم (٢)

(١) خصيف : غليظ . والوطاء الفراش اللين والخصيف المحكم النسج .

(٢) غشتكم : أى غطتكم وألبستكم . وجلايب : جمع جلاب وهو ما يلبس وتقصد أن هذه

الفتنة قد لغتهم بظلامها .

جلايب الظلم ، وجارت بكم عن قصد المحجة ، فياها فتنة عمياء ، صماء
بكماء ، لا تسمع لناعقيها ، ولاتنساق لقائدها ، إن المصباح لا يضيء في
الشمس ، ولاتنير الكواكب مع القمر ، ولا يقطع الحديد إلا الحديد . ألا من
استرشدنا أرشدناه ، ومن سألنا أخبرناه .

أيها الناس ، إن الحق كان يطلب ضالته فأصابها ، فصبرا يا معشر
المهاجرين والأنصار على الغصص ، فكأن قد اندمل شعب الشتلت ، والتأمت
كلمة العدل ، ودمغ الحق باطله ، فلا يجهلن أجد فيقول :
كيف العدل ؟ وأنى ؟ ليقض الله أمراً كان مفعولاً .

ألا وإن خضاب النساء الحناء ، وخضاب الرجال الدماء ، ولهذا اليوم
مابعده :

والصبر خير في الأمور عواقباً

إيها في الحرب قدماً غير ناكصين (١) ولا متشاكسين

ثم قال لها : والله يازرقاء لقد شركت عليا في كل دم سفكه ! .
قالت : أحسن الله بشارتك ، وأدام سلامتك ؛ فمثلك بشر بخير ، وسر
جليسه .

قال : أو يسرك ذلك ؟ قالت : نعم والله ، لقد سررت بالخبر ، فأنى لي
بتصديق الفعل .

فضحك معاوية وقال : والله لوفاؤكم له بعد موته ، أعجب من حبكم
له في حياته . اذكرى حاجتك .

قالت : يا أمير المؤمنين ، آليت على نفسي ألا أسأل أميراً أعنت عليه (٢)

(١) إيها : اسم فعل . يقصد به طلب الزيادة . ونكص على عقبيه : تراجع منهزماً .

(٢) أعنت عليه : وقفت ضده ، وفي صف غير صفه .

أبدا ، ومثلك أعطى من غير مسألة ، وجاد من غير طلبه .
قال : صدقت ! وأمر لها وللذين معها بجوائز وكسأ .

٤ - وفود أم سنان بنت خيثمة

سعيد بن حذافة قال : حبس مروان بن الحكم وهو والى المدينة غلاما من بنى ليث في جناية جناها فأنته جدة الغلام أم أبيه ، وهى أم سنان بنت خيثمة بن خرشة المدحجية ، فكلمته فى الغلام فأغلظ لها مروان .
فخرجت إلى معاوية ، فدخلت عليه ، فانتسبت فعرفها ، فقال لها :
مرحبا يابنة خيثمة ، ما أقدمك أرضنا ، وقد عهدتكم تشميننا وتحضين علينا عدونا ؟ .

قالت إن لبنى عبد مناف أخلاقا طاهرة ، وأعلاما ظاهرة ، وأحلاما وافرة ، لا يجهلون بعد علم ، ولا يسهون بعد حلم ، ولا ينتقمون بعد عفو ، وإن أولى الناس باتباع ماسن أبأؤه لأنت .

قال : صدقت ! نحن كذلك . فكيف قولك :

عزب الرقاد فمقلتي لا ترقد	والليل يصدر بالهموم ويورد
يال مدحج لا مقام فشمروا	إن العدو لآل أحمد يقصد
هذا على كاهلال تحفه	وسط السماء من الكواكب أسعد
خير الخلائق وابن عم محمد	إن يهدكم بالنور منه تهتدوا
مازال مذ شهد الحروب مظفرا	والنصر فوق لوائه ما يفقد

قالت : كان ذلك يأمر المؤمنين ، وأرجو أن تكون لنا خلفا بعده ،
فقال رجل من جلسائه : كيف يأمر المؤمنين وهى القائلة :

إما هلكت أبا الحسين فلم تزل	بالحق تعرف هاديا مهديا
فاذهب عليك صلاة ربك مادعت	فوق الغصون حمامة قمريا
قد كنت بعد محمد خلفاً كما	أوصى إليك بنا فكنت وفيا
فاليوم لا خلف يؤمل بعده	هيئات نأمل بعده إنسيا

قالت : يا أمير المؤمنين ، لسان نطق ، وقول صدق ، ولكن تحقق فيك
ماظننا فحظك الأوفر .

والله ما ورثك الشنآن (١) في قلوب المسلمين إلا هؤلاء . فادحض
مقاتلهم ، وأبعد منزلتهم ، فإنك إن فعلت ذلك تزد من الله قربا ومن المؤمنين حبا .

قال : وإنك لتقولين ذلك ؟ قالت سبحان الله ! ، والله مامثلك مدهج
ياطل ، ولااعتذر إليه بكذب ؛ وإنك لتعلم ذلك من رأينا وضمير قلوبنا .

كان والله على أحب إلينا منك ، وأنت أحب إلينا من غيرك .

قال : ممن ؟ قالت : من مروان بن الحكم ، وسعيد بن العاص . قال :

وهم استحققت ذلك عندك ؟ قالت : بسعة حلمك ، وكريم عفوك .

قال : إنهما يطمعان في ذلك . قالت : هما والله من الرأى على ماكنت عليه
لعثمان بن عفان رحمه الله . قال : والله لقد قاربت . فما حاجتك ؟ .

قالت : يا أمير المؤمنين ، إن مروان تبنك في المدينة تبنك من لايريد منها

البراح ، لايحكم بعدل ، ولايقضى بسنة ، يتتبع عثرات المسلمين ، ويكشف
عورات المؤمنين ، حبس ابن ابني ، فأتيته ، فقال : كيت وكيت ، فألقمته
أحشن من الحجر ، وألحقته أمر من الصاب ، ثم رجعت إلى نفسي باللائمة ،
وقلت لم لا أصرف ذلك إلى من هو أولى بالعمو منه ؟ فأتيتهك ياأمير المؤمنين
لتكون في أمرى ناظرا ، وعليه معديا .

قال : صدقت ، لا أسألك عن ذنبه ، والقيام بحجته ، اكتبوا لها

بإطلاقه .

قالت : ياأمير المؤمنين ؛ وأنى لي بالرجعة ، وقد نفذ زادي وكتبت

راحلتى ؟ .

فأمر لها براحلة ، وخمسة آلاف درهم .

(١) الشنآن : الكرامة .

٥ - وفود عكرشة بنت الأطرش

على معاوية

أبو بكر الهذلي عن عكرمة قال :

دخلت عكرشة بنت الأطرش بن رواحة على معاوية متوكئة على عكاز لها ، فسلمت عليه بالخلافة ثم جلست ، فقال لها معاوية : الآن يا عكرشة صرت عندك أمير المؤمنين ؟ قالت : نعم إذ لا على حى . قال : ألسنت المقلدة حمائل السيوف بصفين ، وأنت واقفة بين الصفين تقولين : أيها الناس عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم . إن الجنة لا يرحل عنها من أوطنها ، ولا يهرم من سكنها ، ولا يموت من دخلها ؛ فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ، ولا تنصرم همومها ، وكونوا قوما مستبصرين في دينهم ، مستظهرين بالصبر على طلب حقهم .

إن معاوية دلف إليكم بعجم العرب غلف (١) القلوب ، لا يفقهون الإيمان ، ولا يدرون ما الحكمة ، دعاهم بالدنيا فأجابوه ، واستدعاهم إلى الباطل فلبوه ، فالله الله عباد الله في دين الله ، إياكم والتواكل ؛ فإن ذلك ينقض عرى الإسلام ، ويطفىء نور الحق .

هذه بدر الصغرى ، والعقبة الأخرى . يا معشر المهاجرين والأنصار امضوا على بصيرتكم ، واصبروا على عزيمتكم ، فكأنى بكم غدا ، ولقد لقيتم أهل الشام كالحمر الناهقة تصقع تصقع البقر ، وتروث روث العتاق (٢) .

فكأنى أراك على عصاك هذه وقد انكفأ عليك العسكران يقولون : هذه

(١) غُلف جمع أغلف ، والقلب الأغلف كأنما غشى غلافاً ؛ فهو لا يعى .

(٢) تصقع : تخلف رائحة كريهة .

عكرشة بنت الأطرش بن رواحة . فإن كدت لتقتلين أهل الشام لولا قدر
الله ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ؛ فما حملك على ذلك ؟ قالت : يا أمير
المؤمنين ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَن أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ
تَسْوَأٌ ﴾ (١) وإن اللبيب إذا كره أمراً لاجب إعادته ، قال : صدقت ،
فاذكري حاجتك .

قالت : إنه كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا فترد على فقرائنا ، وإنا قد
فقدنا ذلك ، فما يجبر لنا كسبير ، ولا ينعش لنا فقير ، فإن كان ذلك عن رأيك
فمثلك تنبه من الغفلة وراجع التوبة ، وإن كان عن غير رأيك فما مثلك
استعان بالحنونة ولا استعمل الظلمة .

قال معاوية : يا هذه ، إنه ينوبنا من أمور رعيتنا أمور هي أولى بها منكم .
بحور تنبثق وتغور تنفتق (٢) .

قالت : يا سبحان الله ، والله ما فرض الله لنا حقاً فجعل فيه ضرراً على
غيرنا وهو علام الغيوب .

قال معاوية : يا أهل العراق ، نبهكم على بن أبي طالب فلم تطاقوا ! ثم
أمر برد صدقاتهم فيهم وإنصافهم .

(١) سورة المائدة : ١٠١ .

(٢) يزيد ما يجد من فتوحات وتوسعات تحتاج إلى أن توجه الأموال إليها ، وكأنما يبرر عدم رد
صدقات قوم عكرشة في فقراتهم ليقرع الحججة بالحجة في هذا الحوار المتع الذي انتصرت فيه عكرشة ،
ورجعت وقد صدر الأمر برد صدقاتها وإنصافها .

٦ - قصة دارمية الحجونية مع معاوية

رحمه الله تعالى

سهل بن أنى سهل عن أبيه قال : حج معاوية ، فسأله عن امرأة من بنى كنانة كانت تنزل بالحجون يقال لها دارمية الحجونية ؛ وكانت سوداء كثيرة اللحم ، فأخبر بسلامتها ؛ فبعث إليها فجىء بها ؛ فقال : ما حالك يا بنة حام (١) ؟ فقالت : لست لحام إن عبتني ؛ أنا امرأة من بنى كنانة .

قال : صدقت . أتدرين لم بعثت إليك ؟ .

قالت : لا يعلم الغيب إلا الله .

قال : بعثت إليك لأسألك : علام أحببت عليا وأبغضتني ؛ وواليتي وعاديتني ؟ قالت : أو تعفني . قال : لا أعفيك .

قالت : أما إذ أبيت ، فإنني أحببت عليا على عدله في الرعية ، وقسمه بالسوية ، وأبغضتك على قتال من هو أولى منك بالأمر ، وطلبتك ما ليس لك بحق ، وواليت عليا على ما عقد له رسول الله ﷺ من الولاة ، ووجه المساكين ، وإعظامه لأهل الدين ، وعاديتك على سفكك الدماء ، وجورك في القضاء . وحكمك بالهوى .

قال : فلذلك انتفخ بطنك ، وعظم ثديك ، وربت عجيزتك .

قالت : هند - والله - كان يضرب المثل في ذلك لا بنى (٣) .

(١) ينسبون الجنس الأسود إلى حام بن نوح .

(٢) العجيزة : العجيزة للمرأة خاصة ، والعجز من كل شيء مؤخره ، وامرأة عجزاء : عظيمة

العجيزة .

(٣) هند أم معاوية وامرأة أبى سفيان ، ومحرضة وحشى على قتل الحمزة .

قال معاوية : ياهذه ، اربعى (١) ؛ فإننا لم نقل إلا خيرا :

إنه إذا انتفخ بطن المرأة ثم خلق ولدها ، وإذا عظم ثديها تروى رضيعها ، وإذا عظمت عجيزتها رزن مجلسها . فرجعت وسكنت قال لها : وياهذه ، هل رأيت عليا ؟ قالت : إى والله . قال : فكيف رأيتة ؟ .

قالت : رأيتة - والله - لم يفتنه الملك الذى فتنك ، ولم تشغله النعمة التى شغلتك .

قال : فهل سمعت كلامه ؟ قالت : نعم - والله - فكان يجلو القلوب من العمى ، كما يجلو الزيت صدأ الطست (٢) . قال : صدقت ! فهل لك من حاجة ؟ قالت : أو تفعل إذا سألتك ؟ قال : نعم . قالت : تعطينى مائة ناقة حمراء ، فيها فحلها وراعيها . قال : تصنعين بها ماذا ؟ .

قالت : أغدو بألبانها الصغار ، وأستحى بها الكبار ، وأكتسب بها المكارم ، وأصلح بها بين العشائر .

قال : فإن أعطيتك ذلك ، فهل أحل عندك محل على بن أبى طالب ؟ .

قالت : ماء ولا كصداء ، ومرعى ولا كالسعدان (٣) ، وفتى ولا كالك (٤) ، ياسبحان الله أو دونه ؟ فأنشأ معاوية يقول :

إذا لم أعد بالحلم منى عليكم فمن ذا الذى بعدى يؤمل للحلم؟
خذيها هنيئا ، واذكرى فعل ماجد جزاك على حرب العداوة بالسلم

ثم قال : أما - والله - لو كان على حيا ما أعطاك منها شيئا .

قالت : لا - والله - ولا وبرة واحدة من مال المسلمين .

* * *

(١) اربعى : توقفى عن هذا الكلام ، وانتظرى .

(٢) الطست : إناء من نحاس لغسل الأيدى ونحو ذلك .

(٣) السعدان : من أفضل مراعى الإبل ، وصداء : بحر ماؤها أعذب وهذان مثلان يضربان لمن

يفضل على أقرانه وأشكاله .

(٤) قاله متمم بن نويرة فى أخيه مالك حين قتل . يضرب لمن يطلب المعروف عند الكيم .

٧ - وفود أم الخير بنت حريش على معاوية

عبيد الله بن عمر الغساني عن الشعبي ، قال : قال : كتب معاوية إلى واليه بالكوفة أن يحمل إليه أم الخير بنت الحريش بن سراقبة البارقي برحلتها ، وأعلمه أنه مجازيه بالخير خيرا ، وبالشر شرا بقولها فيه ، فلما ورد عليه كتابه ، ركب إليها فأقرأها كتابه ؛ فقالت : أما أنا فغير زائغة عن طاعة ، ولا معتلة بكذب ، ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين لأمر تختلج في صدري .

فلما شيعها وأراد مفارقتها ، قال لها : يا أم الخير ، إن أمير المؤمنين كتب إلى أنه مجازيني بالخير خيرا ، وبالشر شرا ؛ فما لي عندك ؟ قالت : يا هذا لا يطمعك برك لي أن أسرك بباطل . ولا تؤنسك معرفتي بك أن أقول فيه غير الحق .

فسارت خير مسير حتى قدمت على معاوية فأنزلها مع الحرم ؛ ثم أدخلها في اليوم الرابع وعنده جلساؤه ؛ فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

فقال لها : وعليك السلام يا أم الخير . بحق مادعوتني بهذا الاسم ؟ .

قالت : يا أمير المؤمنين ، مه ؛ فإن بديهة السلطان مدحضة لما يجب علمه (١) ، ولكل أجل كتاب ، قال : صدقت ! فكيف حالك ياخاله ؟ وكيف كنت في مسيرك ؟ قالت : لم أزل يا أمير المؤمنين في خير وعافية حتى صرت إليك ، فأنا في مجلس أنيق ، عند ملك رفيق . قال معاوية : بحسن نيتي ظفرت بكم . قالت : يا أمير المؤمنين ، يعيدك الله من دحض المقال ، وما تردى عاقبته . قال : ليس هذا أردنا .

(١) البديهة : المفاجأة ، ومدحضة : مبطللة .

أخبرينا كيف كان كلامك إذ قتل عمار بن ياسر؟ قالت: لم أكن زورته قبل، ولا رويته بعد (١)، وإنما كانت كلمات نفثها لسانى عند الصدمة، فإن أحببت أن أحدث لك مقالا غير ذلك فعلت.

فالتفت معاوية إلى جلسائه فقال: أيكم يحفظ كلامها؟ فقال رجل منهم: أنا أحفظ بعض كلامها يأمر المؤمنين. قال: هات.

قال: كأتى بها وعليها برد زيدي كثيف، بين النسيج، وهى على جمل أرمك (٢)، وقد أحيط حولها حواء (٣)، ويبيدها سوط منتشر الضفيرة، وهى كالفضح يهدر فى شقشقتة (٤) تقول:

يأبها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم!، إن الله قد أوضح لكم الحق، وأبان الدليل، وبين السبيل، ورفع القلم، ولم يدعكم فى عمياء مدلهمة، فأين تريلون رحمكم الله؟

أفراراً عن أمير المؤمنين، أم فراراً من الزحف، أم رغبة عن الإسلام، أم ارتداداً عن الحق؟

أما سمعتم الله جل ثناؤه يقول: ﴿وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ (٥).

ثم رفعت رأسها إلى السماء وهى تقول: اللهم قد عيل الصبر، وضعف اليقين، وانتشرت الرعبة، وييدك يارب أزمة القلوب، فاجمع اللهم بها الكلمة على التقوى، وألف القلوب على الهدى، واردد الحق إلى أهله، هلموا - رحمكم الله - إلى الإمام العادل، والرضى التقى، والصدىق الأكبر،

(١) رُوِيَتْ فى الأمر: فكرت فيه، وزوَّزْتُهُ: زينته.

(٢) الأرمك: الرمادى.

(٣) الحواء: ما يتخذ حولها كالوسادة على الرجل.

(٤) الشَّقْشِقَةُ: شئ كالرئة يخرج البعير من فيه إذا هاج - والعامية فى مصر يقولون فى ذلك

« يضرب بالقلة ».

(٥) سورة محمد: ٣١.

إنها إحن بدرية (١) ، وأحقاد جاهلية ، وضغائن أهدية ، وثب بها واثب حين الغفلة ، ليدرك ثارات بنى عبد شمس .

(٢)

ثم قالت : ﴿ فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون ﴾ .

صبرا يامعشر المهاجرين والأنصار قاتلوا على بصيرة من ربكم ، وثبات من دينكم ، فكأنى بكم غدا وقد لقيتم أهل الشام كحمر مستنفرة ، فرت من قسورة ، لاتدرى أين يسلك بها من فجاج الأرض ، باعوا الآخرة بالدنيا ، واشتروا الضلالة بالهدى ، وباعوا البصيرة بالعمى ، وعماء قليل ليصبحن نادمين ، حتى تحل بهم الندامة فيطلبون الإقالة ، ولات حين مناص .

إنه من ضل - والله - عن الحق وقع في الباطل ، ألا إن أولياء الله استصغروا عمر الدنيا فرفضوها ، واستطابوا الآخرة فسعوا لها ، فالث الله أيها الناس قبل أن تبطل الحقوق ، وتعطل الحدود ، ويظهر الظالمون ، وتقوى كلمة الشيطان ؛ فإلى أين تريدون رحمكم الله عن ابن عم رسول الله ﷺ وصهره وأبى سبطيه (٣) ؟ خلق من طينته ، وتفرغ من نبعته ، وخصه بسره ، وجعله باب مدينته ، وأعلم بحبه المسلمين ، وأبان ببغضه المنافقين (٤) ، ها هو ذا مفلق الهام ، ومكسر الأصنام ؛ صلى والناس مشركون ، وأطاع والناس كارهون ، فلم يزل في ذلك حتى قتل مبارزى بدر ، وأفنى أهل أحد ، وهزم الأحزاب ، وقتل الله به أهل خيبر ، وفرق به جمع هوازن (٥) ؛ فيالها من وقائع زرعت في قلوب نفاقا وردة وشقاقا ، وزادت المؤمنين إيمانا ، وقد اجتهدت في القول ، وبالغت في النصيحة ؛ وبالله التوفيق ، والسلام عليكم ورحمة الله .

فقال معاوية : يَا أُمَّ الْخَيْرِ مَا أَرَدْتَ بِهَذَا الْكَلَامِ إِلَّا قَتْلِي ، وَلَوْ قَتَلْتَكِ مَا حَرَجْتَ فِي ذَلِكَ .

(١) الإحن جمع إحنة : الأحقاد . وبدرية نسبت إلى بدر وهي أول الوقائع بين المسلمين والمشركين . تريد أن معاوية بإثارتها الحرب على عليّ إنما ينتقم لمن قتل من آله يوم بدر .

(٢) سورة التوبة : ١٢ .

(٣) السبط الحفيد ، والحسن والحسين سبطاه . وعلى أبوهما .

(٤) تشير بذلك إلى الحديث « لا يحبه إلا مؤمن » ولا يبغضه إلا منافق .

(٥) تريد بذلك يوم حنين .

قالت والله مايسوؤني أن يجرى قتلى على يدي من يسعدني الله بشقائه .
قال : هيات ياكثيرة الفضول . ماتقولين في عثمان بن عفان رحمه
الله ؟
قالت : وماعسيت أن أقول في عثمان ؟ استخلفه الناس وهم به
راضون ، وقتلوه وهم له كارهون ! .

قال معاوية : يأم الخير ؛ هذا والله أصلك الذي تبين (١) عليه .
قالت : لكن الله يشهد وكفى بالله شهيدا ، ماأردت بعثمان نقصا ، ولكن كان
سابقا إلى الخير ، وإنه لرفيع الدرجة غدا .
قال : فما تقولين في طلحة بن عبيد الله (٢) ؟ قالت : وماعسى أن أقول
في طلحة ؟ اغتيل من مأمنه ، وأتى من حيث لم يحذر ! وقد وعده رسول
الله ﷺ الجنة .

قال : فما تقولين في الزبير (٣) ؟ قالت : وما أقول في ابن عمه
رسول ﷺ وحواريه (٤) ؟ وقد شهد له رسول الله ﷺ بالجنة ، وقد كان
سابقا إلى كل مكرمة في الإسلام ، وأنا أسألك بحق الله يامعاوية ، فإن قريشا
تحدثت أنك أحلمها - أن تسعني بفضل حلمك ، وأن تعفيني من هذه
المسائل ، وتسالني عما شئت من غيرها .

قال : نعم ونعمة عين ، قد أعفيتك منها . ثم أمر لها . بجائزة رفيعة
وردها مكرمة .

(١) يريد أن سوء رأيها في عثمان هو الذي دفعها إلى مناصرة علي .
(٢) طلحة بن عبيد الله أحد السابقين الأولين ، والأبطال المعلمين ، وعاش عشرة عشرهم رسول
الله بالجنة ، وسادس ستة اختارهم عمر رضي الله عنه ليكون منهم الخليفة من بعده ، وأول صحابي بايع
علياً ثم استحبال رأيه فخرج عليه وانضم إلى جند عائشة . يوم الجمل وهنالك أُصيب بسهم أودى به
رضي الله عنه .

(٣) كان أمر الزبير حيال علي شبيها بأمر طلحة . وكان قد انضم إلى جند عائشة ، فأرسل يذكره
بقول رسول الله له : « لتقاتلنه - يريد تقاتل عليا - وأنت ظالم له » فانثنى عن الموقعة فرارا من الباطل ،
وعودا إلى الحق ، فلما انتهى إلى واد يقال له : وادي الباع أخذه النوم فاغتناله رجل من مجاشع يقال له :
عمر بن جرموز .

(٤) حواريه : الحوارى الناصر للأنبياء ، وحوارى الرجل صفوته من الناس .

٨ - وفود أروى بنت عبد المطلب

على معاوية رحمه الله

العباس بن بكار قال : حدثني عبد الله بن سليمان المدني ، وأبو بكر الهذلي ، أن أروى بنت الحارث بن عبد المطلب دخلت على معاوية وهي عجوز كبيرة ، فلما رآها معاوية قال : مرحبا بك وأهلا ياعمة ، فكيف كنت بعدنا ؟ .

فقلت يا بن أخي ، لقد كفرت يد النعمة ، وأسأت لابن عمك الصحبة ، وتسميت بغير اسمك ، وأخذت غير حقلك من غير دين كان منك ولا من آبائك ، ولا سابقة في الإسلام ، بعد أن كفرتم برسول الله ﷺ ، فأتعس الله منكم الجلود ، وأضرع منكم الخدود (١) ، ورد الحق إلى أهله ، ولو كره المشركون ، وكانت كلمتنا هي العليا ، ونبينا ﷺ هو المنصور ، فوليتم علينا من بعده ، تحتجوثر بقرابتكم من رسول الله ﷺ ونحن أقرب إليه منكم وأولى بهذا الأمر ؛ فكنا فيكم بمنزلة بنى إسرائيل في آل فرعون ، وكان على بن أبي طالب رحمه الله بعد نبينا بمنزلة هارون من موسى ، فغائتنا الجنة وغائتكم النار .

فقال لها عمرو بن العاص : كفى أيتها العجوز الضالة ، وأقصرى عن قولك مع ذهاب عقلك ، إذ لا تجوز شهادتك وحدك ! .

فقلت له : وأنت يا بن النباغة تتكلم ! وأملك كانت أشهر امرأة تغنى بمكة ، وآخذهن لأجرة ! اربع على طلعتك ، واعن بشأن نفسك ؛ فو الله ماأنت من قريش في اللباب من حسنها ، ولا كريم منصبها ، ولقد ادعاك خمسة

(١) من الضراعة والذلة .

نفر من قريش [كلهم يزعم أنه أبوك] فسئلت أمك عنهم ، فقالت : كلهم أتاني ، فأنظروا أشبههم به فألحقوه به ، فغلب عليك شبه العاص بن وائل فلحقت به .

قال : مروان : كفى أيتها العجوز ، واقصدي (١) لما جئت له .

فقالت : وأنت أيضا يا ابن الزرقاء تتكلم !؟ .

ثم التفتت إلى معاوية ، فقالت : والله ما جرأ على هؤلاء غيرك وإن أمك القائلة في قتل حمزة :

نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سعر (٢) .
ما كان لي عن عتبة من صبر فشكر وحشي (٣) على دهري
حتى ترم (٤) أعظمي في قبرى

فأجابتها بنت عمى وهى تقول :

خزيت في بدر وبعد بدر يابنة جبار عظيم الكفر

فقال معاوية : عفا الله عما سلف يا عمّة ! هاتى حاجتك (٥) .

قالت : مالى إليك حاجة ، وخرجت عنه .

* * *

(١) تكلمى في الموضوع الذى جئت من أجله مباشرة ، ودعى كلامك هذا بشأن عمرو ابن العاص .

(٢) تستمر ويشند لبيها .

(٣) وحشى قاتل حمزة . وقد أسلم . وعاش حتى قتل مسيلمة الكذاب .

(٤) تصبغ بالية فهى رميم .

(٥) اذكرى ما جئت من أجله .

في الأمثال السائرة

قال ابن عبد ربه :

.. ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الأمثال ، التي هي وشئ الكلام وجوهر اللفظ ، وحلى المعاني ، والتي تخيرتها العرب ، وقدمتها العجم ، ونطق بها كل زمان ، وعلى كل لسان ، فهي أبقى من الشعر ، وأشرف من الخطابة ، لم يسر شيء مسيرها ، ولا عم عمومها ، حتى قيل : « أسير من مثل » .

وقال الشاعر :

ما أنت إلا مثل سائر يعرفه الجاهل والخاير (١)

ولقد ضرب الله عز وجل الأمثال في كتابه وضررها رسول الله ﷺ في كلامه .

قال الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبُ مِثْلِ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾ (٢) وقال : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ ﴾ (٣) ومثل هذا في القرآن كثير ومن أمثال العرب مما روى أبو عبيد جردناها من الآداب التي أدخل فيها أبو عبيد إذ كنا قد أفردنا للأدب والمواعظ كتبنا غير هذا .

وضممنا إلى أمثلة العرب القديمة ما جرى على ألسنة العامة من الأمثال المستعملة ، وفسرنا من ذلك ما احتاج إلى التفسير (٤) .

(١) الخاير : من لديه خبرة بالأمر وعلم .

(٢) سورة المؤمنون : ٥١ .

(٣) سورة النحل : ٧٦ .

(٤) استخلصنا الأمثال الخاصة بالنساء مما يناسب كتابنا هذا . المحقق .

ومن ذلك قولهم فيمن يضرب به المثل من النساء

يقال :

- أشأم من البسوس .
- وأحق من دُغة .
- وأمنع من أم قرفة .
- وأقود من ظلمة .
- وأبصر من زرقاء اليمامة .

البسوس : جارة حساس بن مرة بن ذهل بن شيان ، ولها كانت الناقة التي قتل من أجلها كليب بن وائل ، وبها ثارت الحرب بين بكر بن وائل وتغلب ، التي يقال لها : « حرب البسوس » .

وأم قرفة : امرأة مالك بن حذيفة بن بدر الفزاري ، وكان يعلق في بيتها خمسون سيفاً ، كل سيف منها لدى محرم لها .

ودغة : امرأة من عجل بن لجيم ، تزوجت في بني العنبر ، بن عمرو بن

تميم .

وزرقاء بنت نمير : امرأة كانت تبصر الشعرة البيضاء في اللبن ، وتنظر المراكب على مسيرة ثلاثة أيام ، وكانت تنذر قومها الجيوش ، إذا غزتهم ، فلا يأثمهم جيش إلا وقد استعدوا له ، حتى احتال لها بعض من غزاهم ، فأمر أصحابه ، فقطعوا شجراً أمسكوه أمامه بأيديهم ، ونظرت الزرقاء فقالت :

إني أرى الشجر قد أقبل إليكم ! .

قالوا : قد خرفت ورق عقلك ، وذهب بصرك ، فكذبوها وصبحتهم الخيل ، وأغارت عليهم ، وقتلت الزرقاء (١) .

قال : فقوروا عينها ؛ فوجدوا عروق عينها قد غرقت في الإثم (٢) ؛ من كثرة ما كانت تكتحل به .

وظلمة : امرأة من هذيل ، زنت أربعين عاما ، فلما عجزت عن الزنا والقود ، كانت تقود تيسا لينزو على عنز ! .

صدق الحديث

ومن قولهم : القول ما قالت حذام .

وهي امرأة لجيم بن صعيب ، والد حنيفة وعجل ، ابني لجيم ، وفيها قال :

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

سوء المسألة وسوء الإجابة

وقالوا : حدث امرأة حديثين ، فإن لم تفهم فأربعة . كذا في الأصل ؛ والذي أحفظ ، فأربع ، أى أمسك .

التعريض بالكناية

ومنه قولهم : إياك أعنى ، واسمعى ياجارة .

(١) وجرى المثل : أبصر من زرقاء الجمجمة .

(٢) الإثم : حجر أسود يذق ويكتحل به .

الدعاء بالخير

وقولهم في النكاح :
على بدء الخير واليَمْن .
وقولهم : بالرفاء والبنين . يريد بالرفاء : الكثرة ، يقال منه : رفاؤه إذا
دعوت له بالكثرة .

تعبير الإنسان صاحبه بعبه

قالوا : رمتني بدائها وانسلت .

الذّب (١) عن الحُرْم

وقولهم : النساء لحم على وضم ، إلا ماذب عنه .
وقولهم : النساء حبائل الشيطان .
وقولهم : كل ذات صدرٍ (٢) خالة . يريد أنه يحميها كما يحمي خالته .

تأديب الكبير

قال الشاعر :

وتروض عرسك بعدما هرمت ومن العناء رياضة الهرم

وقولهم :

أعيتني بأشر فكيف بدردر !؟ .

يقول : أعيتني وأنت شابه ، فكيف إذا بدت درادرك وهي مغارز

الأسنان !؟ .

(١) الذّب : الدفاع ، وسمى الذباب ذبابا ، لأنه كلما ذّبّ آب .

(٢) الصّدّار : قميص تلبسه المرأة .

إعجاب الرجل بأهله

- منه قولهم : كل فتاةٍ بأبيها معجبة .
- وقولهم : القرنبي (١) في عين أمها حسنة .
- وقولهم : زين في عين والد ولده .
- وقولهم : حسن في كل عين من تود .
- وقولهم : من يمدح العروس إلا أهلها .

العفو عند المقدرة

- منه قولهم : ملكت فأسجح .
- وقد قالته عائشة رضى الله عليها لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه يوم الجمل حين ظهر على الناس فدنا من هودجها ، وكلمها فأجابته : ملكت فأسجح . أى ظفرت فأحسن ، فجهزها بأحسن الجهاز ، وبعث معها أربعين امرأة . وقال بعضهم : (سبعين) ، حتى قدمت المدينة .

مفاكهة الرجل أهله

- منه قولهم : كل امرئ في بيته صبي .
- يريد حسن الخلق والمفاكهة .
- ومنه قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : إنا إذا خلونا قلنا .
- ومنه قول النبي ﷺ : « خياركم خياركم لأهله » .
- ومنه قول معاوية : إنهن يغلبن الكرام ، ويغلبهن اللثام .

(١) القرنبي : دويبة كالخنفسة طويلة القوائم .

المروءة مع الحاجة

منه قولهم : تجوع الحرة ولا تأكل بشديها .

وضع الشيء في غير موضعه

ومنه قولهم : كعملمة أمها الرضاعة .

البخيل يعتل بالعسر

ومنه قولهم : قبل النفاس كنت مصفرة .

طلب الحاجة المتعذرة

منه قولهم : تسألني برامتين سلجماً . وأصله أن امرأة تشهت على زوجها سلجماً وهو بيلد قفر ، فقال هذه المقالة ؛ والسلجم : اللفت .
ومنه قولهم :

إنك إن كلفتني ما لم أطق ساءك ما سرك مني من خلق

المصانعة في الحاجة

من يطلب الحسنة يعط مهرها .

الظلم من نوعين

منه قولهم : أغيرة وجبنا ؟!

قالت امرأة من العرب لزوجها تعيره حين تخلف عن عدوه في منزله ،
ورآها تنظر إلى القتال ، فضربها ، فقالت : أغيرة وجبنا ؟!

الكريم يهضمه اللثيم

لو ذات سوارٍ لطمتني ! .

والحمد لله أولاً وأخيراً .

الباب التاسع

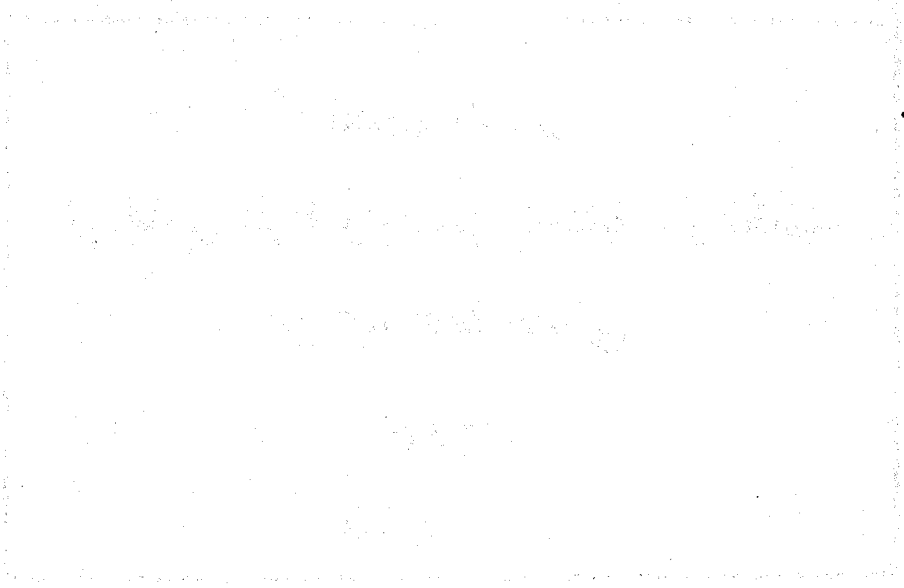
المعجم النسائي

في محاسن المرأة وأوصافها الخلقية ، والخلقية

من فقه اللغة للشعالبي

جمع واختيار

محمد إبراهيم سليم



صفحة من فقه اللغة للشعالبي (١)
في محاسن أخلاقها وسائر أوصافها
عن الأئمة

إذا كانت حية ؛ فهي : حَضِرَةٌ وَحَرِيدَةٌ .

فإذا كانت منخفضة الصوت ؛ فهي : رَخِيمَةٌ .

فإذا كانت محبة لزوجها مُتَحَبِّبَةً إِلَيْهِ ؛ فهي : عَرُوبٌ .

فإذا كانت تَقُوراً مِنَ الرَّبِيبَةِ ، فهي نَوَّارٌ .

فإذا كانت تجتنب الأقدار ؛ فهي قَدُورٌ .

فإذا كانت عفيفة ؛ فهي حَصَانٌ .

فإذا أحصنها زوجها ؛ فهي مُحْصَنَةٌ .

فإذا كانت عاملة الكفين ؛ فهي صِنَاعٌ .

فإذا كانت خفيفة اليدين بالغزل ؛ فهي ذَرَاعٌ .

فإذا كانت كثيرة الولد ؛ فهي ثَنُورٌ .

فإذا كانت قليلة الأولاد ؛ فهي نَزُورٌ ..

فإذا كانت تتزوج وابنها رجل ؛ فهي بَرُوكٌ .

فإذا كانت تلد الذكور ، فهي مِذْكَارٌ .

(١) إتماماً للفائدة رأينا أن نضع بين يديك ما جاء في فقه اللغة للشعالبي عن أوصاف المرأة .

- فإذا كانت تلد الإناث ، فهي مِئْثَات .
- فإذا كانت تلد مرة ذكرا ومرة أنثى ؛ فهي مِعْقَاب .
- فإذا كان لا يعيش لها ولد ، فهي مِغْلَات .
- فإذا أتت بتوأمين ؛ فهي مِتَام .
- فإذا كانت تلد النجباء ؛ فهي مِنجَاب .
- فإذا كانت تلد الحمقى ؛ فهي مِخْمَاق .
- فإذا كان يغشى عليها عند البضاع ، فهي رَبُوح .
- فإذا كان لها زوج ، ولها ولد من غيره ؛ فهي لَقُوت .
- فإذا كان لزوجها امرأتان ، وهي ثالثتهما ، فهي مُثْفَاة شَبِهت بِأَثَافِي الْقَدْرِ .
- فإذا مات عنها زوجها أو طلقها ، فهي مُرَاسِل - عَنِ الْكِسَائِي .
- فإذا كانت مطلقة ؛ فهي مِرْدُودَة .
- فإذا مات زوجها ؛ فهي فَاقِد .
- فإذا مات ولدها ؛ فهي ثَكُول .
- فإذا تركت الزينة لموت زوجها ؛ فهي حَادٌّ وَمُجِدِّد .
- فإذا كانت لا تحظى عند أزواجها ؛ فهي صِلْفَة .
- فإذا كانت غير ذات زوج ؛ فهي أَيْمٌ وَعَرَبِيَّةٌ ، وَأَرْمَلَةٌ ، وَفَارِغَةٌ .
- فإذا كانت ثيبا ؛ فهي عَوَان .
- فإذا كانت بخاتم ربهَا ؛ فهي بَكْرٌ وَعِذْرَاء .
- فإذا بقيت في بيت أبويها غير مزوجة ؛ فهي عَانِس .
- فإذا كانت عروسا ؛ فهي هَدِي .

- فإذا كانت جليلة تظهر للناس ويجلس إليها القوم ؛ فهي بَرَزَةٌ .
فإذا كانت نَصَفَاء عاقلة ؛ فهي شُهْلَةٌ كَهْلَةٌ .
فإذا كانت تلقى ولدها وهو مضغَةٌ ؛ فهي مُمَصِّلٌ .
فإذا قامت على ولدها بعد موت زوجها ؛ ولم تتزوج فهي مُشْبِلَةٌ .
فإذا كان ينزل لبنها من غير حبل ؛ فهي مُحِيلٌ .
فإذا أرضعت ولدها ثم تركته لتدرجه إلى الفطام ؛ فهي مُعْفَرَةٌ .

★ ★ ★

في ترتيب حسن المرأة - عن الأئمة

- إذا كان بها مسحة من جمال ، فهي وَضِئَةٌ وَجَمِيلَةٌ .
- فإذا أشبه بعضها بعضاً في الحسن ؛ فهي حُسَانَةٌ .
- فإذا استغنت بجمالها عن الزينة ؛ فهي غَانِيَةٌ .
- فإذا كانت لا تبال أن لا تلبس ثوباً حسناً، ولا تتقلد قلادة فاخرة؛ فهي مِعْطَالٌ .
- فإذا كان حسنهما ثابتاً كأنه قد وسِمَ ؛ فهي وَسِيمَةٌ .
- فإذا قسم لها حظ وافر من الحسن ؛ فهي قَسِيمَةٌ .
- فإذا كان النظر إليها يسر الروح ؛ فهي رَائِعَةٌ .
- فإذا غلبت النساء بحسنها ؛ فهي بَاهِرَةٌ .

فصل في تقسيم الحسن وشروطه

(عن ثعلب عن ابن الأعرابي وغيرهما)

الصباحة في الوجه ، الوضاعة في البشرة ، الجمال في الأنف ، الحلاوة في العينين ، الملاححة في الفم ، الظرف في اللسان ، الرشاقة في القد ، اللباقة في الشمائل ، كمال الحسن في الثغر .

في ترتيب سن المرأة

هي طفلة مادامت صغيرة .

ثم وليدة إذا تحركت .

- ثم كاعِب إذا كعب ثديها .
 ثم ناهد إذا زاد .
 ثم مُعَصِر إذا أدركت .
 ثم عانس إذا ارتفعت عن حد الإِعصار .
 ثم خُوْد إذا توسّطت الشباب .
 ثم مُسَلِّف إذا جاوزت الأربعين .
 ثم نَصَف إذا كانت بين الشباب والتعجيز .
 ثم شَهْلَة كَهْلَة إذا وجدت مس الكبر وفيها بقية وجلد .
 ثم شَهْبَة إذا عجزت وفيها تماسك .
 ثم حَيْزُبُون إذا صارت عالية السن ناقصة القوة .
 ثم قلعِم وإِطْلُط إذا انحنى قدها وسقطت أسنانها .

في محاسن العين

- الدَّعْجُ : أن تكون العين شديدة السواد مع سعة المقلة .
 التَّجَلْ : سعتها .
 الكَحَلْ : سواد جفونها من غير كُحَل .
 الحَوْر : اتساع سوادها كهو في أعين الأطباء .
 الوَطْف : طول أشفارها وتمامها . وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم كان في أشفاره
 وطف .

في محاسن الأسنان

- الشَّنْب : رقة الأسنان واستواؤها وحسنها .
- الرتل : حسن تنزيدها واتساقها .
- التَّفْلِيح : تفرج ما بينهما .
- الشَّتت : تفرقها في غير تباعد بل في استواء وحسن ، ويقال : ثغر شتيت إذا كان مفلجا أبيض حسنا .
- الأشَر : تحزيز في أطراف الثنايا يدل على حداثة السن وقرب المولد .
- المُظَلَّم : الماء الذي يجري على الأسنان من البريق ، لا من الريق .

في تفصيل الأوصاف الحمودة في محاسن خلق المرأة

(عن الأئمة)

- إذا كانت شابه حسن الخلق ؛ فهي خُود .
- فإذا كانت جميلة الوجه حسنة المعرى ؛ فهي بهكئة .
- فإذا كانت دقيقة المحاسن ؛ فهي ممكورة .
- فإذا كانت حسنة القد لينة القصب ؛ فهي خرعة .
- فإذا كانت لم يركب بعض لحمها بعضا ؛ فهي مبتلة .
- فإذا كانت لطيفة البطن ؛ فهي هيفاء وحمصانة .
- فإذا كانت لطيفة الكشحين ؛ فهي هضم .

- فإذا كانت لطيفة الخصر مع امتداد القامة ؛ فهي مَشْوِقة .
- فإذا كانت طويلة العنق في اعتدال وحسن ؛ فهي عُطْبُول .
- فإذا كانت عظيمة الوركين ؛ فهي وَرْكَاءٌ وَهَرَكُوله .
- فإذا كانت عظيمة العجيزة ؛ فهي رَدَّاح .
- فإذا كانت سمينة ممتلئة الذراعين والساقين ؛ فهي حَدَلْجَة .
- فإذا كانت ترتج من سمنها ؛ فهي مَرْمَارَة .
- فإذا كانت ترعد من الرطوبة والغضاضة ؛ فهي بَرَهْرَهَة .
- فإذا كانت كأن الماء يجري في وجهها من نضرة النعمة ؛ فهي رَقْرَاقَة .
- فإذا كانت رقيقة الجلد ، ناعمة البشرة ؛ فهي بُضَّة .
- فإذا عرفت في وجهها نضرة النعيم ؛ فهي فُنُق .
- فإذا كان بها فتور عند القيام لسمنها ؛ فهي أَنَاةٌ وَوَهْنَانَة .
- فإذا كانت طيبة الريح ، فهي بَهْنَانَة .
- فإذا كانت عظيمة الخلق مع الجمال ؛ فهي عَبَّهْرَة .
- فإذا كانت ناعمة جميلة ؛ فهي عَبْقَرَة .
- فإذا كانت متشبة من اللين والنعمة ؛ فهي غِيدَاءٌ وَغَادَة .
- فإذا كانت طيبة النخم ؛ فهي رَشُوف .
- فإذا كانت طيبة ريح الأنف ؛ فهي أَنُوف .
- فإذا كانت طيبة الخلوة ؛ فهي رَصُوف .
- فإذا كانت لعباً ضحوكاً ؛ فهي شَمُوع .
- فإذا كانت تامة الشعر ؛ فهي فَرَعَاء .

فإذا لم يكن لمرقها حجم من سمها ؛ فهي دَرْمَاء .
فإذا ضاق ملتقى فخذها لكثرة لحمها ؛ فهي لَفَاء .

★ ★ ★

فصل في نعوته المذمومة خلُقاً وخلُقاً

(عن الأئمة)

إذا كانت نهاية في السُّنِّ والعِظْم ؛ فهي قَيْعَلَةٌ .

فإذا كانت ضخمة البطن مسترخية اللحم ؛ فهي عَفْضَاجٌ ومُفَاضَةٌ .

فإذا كانت كثيرة اللحم مضطربة الخلق ، فهي عَرَكَرَةٌ ، وَعِضْنُكُهُ .

فإذا كانت ضخمة الثديين ؛ فهي وَطْبَاءٌ .

فإذا كانت طويلة الثديين مسترخيتهما ؛ فهي طُرْطُيَّةٌ .

فإذا لم يكن لها عجيذة ؛ فهي زَلَاءٌ . وَرَسْحَاءٌ . وقد قيل : إن
الرسحاء : القبيحة .

فإذا كانت صغيرة الثديين ؛ فهي جَدَاءٌ .

فإذا كانت قليلة اللحم ؛ فهي قَصِيرَةٌ .

فإذا كانت قصيرة (دميمة) فهي قَتْبُضَةٌ وَحَنَكَلَةٌ .

فإذا كانت غير طيبة الخلوة ؛ فهي عَفْلَقٌ .

فإذا كانت غليظة الخلق ؛ فهي جَادِبٌ .

فإذا كانت دقيقة الساقين ، فهي كَرَوَاءٌ .

فإذا لم يكن على فخذيها لحم ؛ فهي مَصَوَاءٌ .

فإذا لم يكن على ذراعيها لحم ؛ فهي مَدَشَاءٌ .

فإذا كانت منتنة الريح ؛ فهي لَخْنَاءٌ .

فإذا كانت لا تمسك بولها ؛ فهي مَثَاء .
 فإذا كانت مُفضاة ؛ فهي الشريم .
 فإذا كانت لا تحيض ؛ فهي ضَهِيَاء .
 فإذا كان لا يستطيع جماعها ؛ فهي رَتَاء وعَفَاء .
 فإذا كانت لا تحتضب ؛ فهي سَلَاء .
 فإذا كانت حديدة اللسان ؛ فهي سَلِيْطَة .
 فإذا ازادت سلاطتها وأفرطت ؛ فهي سِلْفَانَة ، وعَرْقَانَة .
 فإذا كانت شديدة الصوت ؛ فهي صَهْصَلِق .
 فإذا كانت جرية قليلة الحياء ، فهي قَرْثَع . وقد قيل : هي البلهاء .
 فإذا كانت بِيْدِيَّة فحاشة وقحة ؛ فهي سَلْفَعَة . وفي الحديث « شرهن
 السِّلْفَعَة » .

فإذا كانت تتكلم بالفحش ؛ فهي مَجْعَة .
 فإذا كانت تلقى عنها قناع الحياء ؛ فهي جَلْعَة .
 فإذا كانت تطلع رأسها ليراها الرجال ؛ فهي طُلْعَة . قُبْعَة .
 فإذا كانت شديدة الضحك ؛ فهي مِهْزَاق .
 فإذا كانت تصدِف (١) عن زوجها ؛ فهي صَدُوف .
 فإذا كانت مبغضة لزوجها ؛ فهي فَاِرِكَة .
 فإذا كانت لا ترد يد لأمس ؛ وتقر لما يصنع بها ؛ فهي قَرُور .

(١) صدف عنه أعرض ومال إلى غيره .

الفهرس .

الصفحة	الموضوع
٥	بين يدى هذا الكتاب
٩	الكتاب والمؤلف
١٤	منهج التحقيق
١٧	هكذا خلقت !
٢١	مع ابن عبد ربه فى « حياة النساء »

الباب الأول

٢٣ - ٧٤	فى اختيار الخلية الصالحة ، والزوجة الموافقة النساء وصفاتهن وما يحمد ويذم من عشرتهن :
٢٥	أقوال عنهن فى القمة
٢٦	الرسول ﷺ وعكاف
٢٧	قولهم فى المناكح (الزوجات) : أتيتنى تشتري كبدى - وصية ذهبية
٢٩	من أحسن ، أنا أم لقيط ؟
٣٢	لا تردوا الأكفاء عن النساء
٣٣	إليك عنى
٣٤	إنى لأخلاق مثل هذا الموافقة .. فزوجنيه !!
٣٧	وصية أنى سفيان لابنهما معاوية حين عمل لعمر - يرحم الله هذا
٣٨	الرسول ﷺ وأم هانىء - زواج الرسول ﷺ من حفصة
٣٩	خطبته ﷺ لخديجة - خطبة عمر لأم كلثوم بنت أبى بكر
٤٠	على وعمر فى أم كلثوم
٤١	سلمان وعمر فى ابنته - زواج بلال وأخيه
٤٢	زواج عثمان من نائلة
٤٣	فاطمة بنت الحسن بن على وابن عمرو
٤٤	محمد بن عبد الله بن عمرو - شريح والشعبى فى نساء تميم
٤٧	لمعاد بن جبل : فتنة السراء ، وفتنة الضراء
٤٨	لابن هبيرة : مواصفات ! - يونس ومستشير له فى الزواج
٤٩	الوليد وعقائله : نطق من احتاج إلى نفسه ، وسكت من احتاج إلى غيره
٥٠	للحجاج فى نسوته : هذه ليلتى - أبو الحر الخنث والعثبى
٥١	تقبل باربع ، وتدير بثان ! - الله أجل فى قلبى وأعظم !!
٥٣	أى النساء أشهى إليك ؟ - إتهن يغلبن الكرام ، ويغلبن اللثام

- ٥٤ جرير البجلي وابن الخطاب - الحجاج وابن القرية
- ٥٥ أعجب النساء - أريدها بكرا كثيب ، أو ثيبا كبيرا
- ٥٦ أفضل النساء - أحسن النساء
- ٥٨ أقوال في هذا المجال
- ٥٩ من أخبار عائشة بنت طلحة : صان الله ذلك الوجه
- ٦١ زواج عمرو بن حُجر - ما وراءك يا عصام ؟
- ٦٣ الفرزدق وأمة له - يعلى الهذلي وطلحة الطلحات
- ٦٥ ما كنت أظن أن امرأة تجترى على مثل هذا الكلام !!
- ٦٧ ابن علفة وعبد الملك : جنيني هجئا ولدك !
- ٦٨ ابن علفة وأولاده : وما يدريك ما نعت الخمر ؟!
- ٦٩ عبد الملك وابنة عبد الرحمن - أخت أبي سفيان
- ٧٠ زياد وسعيد بن العاص في ابنته - الحسن ورجل يزوج ابنته
- ٧١ عبد الملك وعمر بن عبد العزيز - الحسن يستشار
- ٧٢ تزوج بعشرة وأبق تسعين - البكر لك والثيب عليك !
- ٧٣ زلقة من غير ماء - قالت : أنا أسدة من بني أسد .. فخرجت ولم أعد !!

الباب الثاني

- ٧٥ - ٨٨ لطائف من أخبار النساء ، وطرائف من حياتهن
- ٧٧ وعلى الغانيات جر الذبول - من ينشأ في الحلية
- ٧٨ أنت أسد فاطم لفسك لبؤة !!
- ٧٩ لا خير لك فيها - لا تتزوج امرأة تنظر في يدها - الحبيب الأول
- ٨٠ أعرابي وولى امرأة - أعرابية تنصح بنات عمها
- ٨١ الأصمعي وأعرابي يشار أمرأته - كيف حبك لزوجتك ؟
- ٨٢ الأصمعي وأعرابي طلق زوجته - لأعرابي طلق امرأته
- ٨٣ لأعرابي بين يدي زياد - لبعض الأعراب في مثله
- ٨٤ لا تفعل فإنه وكلة تكلة !! - يوم عتاب ويوم اكتئاب !!
- ٨٥ لأعرابية ترقص طفلا - أقوال وتعليقات وطرائف
- ٨٦ خاطب يزكبه وسيط : ما أحسن - والله - ما أقبل !!
- ٨٧ آخذ من دنا منى !
- ٨٨ أرايته !!! - من طرائف الأعراب - ياليتني كنت صيبا مرضعا !!

الباب الثالث

- ٨٩ - ١١٢ النساء المنجيات ، وأبناء السراري والإماء
- ٩١ بين يدي هذا الباب - للمحقق

- ٩٣ أنجب النساء
إبراهيم عليه السلام وهاجر - محمد ﷺ ومارية ثم صفية - أوى إسحاق
- ٩٤ وجدى إبراهيم !!
- ٩٥ هشام وزيد بن على - أبناء الإمام يتفوقون
- ٩٦ لا عار على مسلم - عجبى ! - أمهات القوم أوعية
- ٩٧ شتان ما بينهما - المهجاء - أسماء ومسميات
- ٩٨ إذا قيل له من أبوك ؟ قال : أمى الفرس !
- ٩٩ سيف أبك زوجه - بنو أمية وأولاد الإمام
- ١٠٠ لا يستويان
- ١٠١ بنو أمية فى أولاد الأمهات : لماذا لا يبايعون لهم !؟
- ١٠٢ كان يهوديا فأسلم
- ١٠٣ الأدعياء : أخاف هذا الجالس على المنبر
- ١٠٥ يا حرسى ، خذ هذا الحجر !
- ١٠٦ من طباع العرب - دعنى على دعنى
- ١٠٧ تعيينون أمرا ظاهرا فى بناتكم
- ١٠٨ اختلط الأسافل بالأعلى - ثم تريد أن ينجن !!
- ١٠٩ من هذه يا أمير المؤمنين ؟ إذا نسيت عديا ... !!
- ١١٠ عرنى من زجاج - عرنى من قوارير - زائف الحسب

الباب الرابع

- ١١٣ - ١٥٤ سمات الجمال وأحوال المحيين
- ١١٥ بين يدى هذا الباب للمحقق
- ١١٧ صفات الحسن : الحسن كما يروونه .. أهو حمرة فى صفرة ؟ لون وشود كسا
البياض احمرار
- ١١٨ لقد أصبحت جميلا ! رقة البشرة وشفاء الأديم - حمرة خلطت صفرة فى بياض
- ١٢٠ الجميلة من بعيد .. المليحة من قريب - قولهم فى رقة التشيب
- ١٢١ كثير وشعر لجميل
- ١٢٢ الفرزدق وشعر لابن أوى ربيعة
- ١٢٤ قولهم فى الغزل : لمحمد بن سيرين - الحجاج وأبو هريرة
- ١٢٥ كعب بن زهير بين يدى الرسول ﷺ
- ١٢٨ لبعض الأعراب
- ١٣٤ التزين والتطيب
- ١٣٦ ما يكتب على العصائب وغيرها : ظلمتنى فى الحب يا ظالم !

الصفحة	الموضوع
١٤٠	لعن الله من عذر !
١٤١	لا تدعنى موسوسة - قولهم في النحول
١٤٦	في التوديع : ابن حميد وجارية له
١٤٧	ابن يحيى وجاريتان - المعتز وجارية لابن رجاء
١٤٨	أبو أحمد وجارية له - مروان وجارية له
١٤٩	ابن بكار ورجل بالثغر - أعرابي يصف البين
١٥٠ - ١٥٤	أقوال أخرى

الباب الخامس

١٥٥ - ١٧٦	ظهور الأنثى وما يذم من عشرة النساء
١٥٧	بين يدي هذا الباب - للمحقق -
١٦٠	أعلم الناس بالنساء - شر النساء -
١٦١	إياك وهؤلاء
١٦٢	خضراء الدمن - ابن قتيبة بين امرأة وزوجها : ومن الرجال ما ساء خلقه
١٦٣	احذر امرأة سمعنة نظرنه - عمر الرجل وعمر المرأة
١٦٤	شر النصفين - امرأة الحطيئة - أم الحطيئة
	علامة الحب والبغض - المرأة اللثغاء - لقد كنت محتاجا إلى موت زوجتي
١٦٥	- إنها كمشجب بالأسى صنعها !
١٦٦	غيره وحمق
١٦٧	ثلاث خصال في الوجود ، هل تطاق وتحتمل !؟
١٦٨	في امرأة قبيحة - صنف منهن - حمدونة بنت المهدي
١٦٩	بكر حواء حطها شلية طرية ودسوا إليه عجوزا - نموذج كريبه
١٧٠	يتعوذ الشيطان منها
١٧١	في مكر النساء وكيدهن : جاهل مغرور من غره النساء بود - أقوال
١٧٢	ليس لمخضوب البنان يمين - فاحسب عنها يا حابس القيل
١٧٤	يا ليتني المجمعول في النار ! - ماذا تظن سليمان ؟ - الشيب والنساء
١٧٦	أبو دُلف والمأمون

الباب السادس

١٧٧ - ١٩٢	أبغض الحلال إلى الله : الطلاق
١٧٩	بين يدي هذا الباب للمحقق
١٨٠	الرشيد والأصمعي : وأنت أيضا طالق إن أجاز زوجك !

- المغيرة وزوجته فارعة - الحسن وعائشة بنت طلحة - إلى غير رجعة ١٨٢
- فارقها قبل أن تفرق شمله - قمة الكراهية ١٨٣
- هكذا تكون الإخوان - بانث فلم يألم لها قلبي ! - ألد من ليلة العرس ١٨٤
- تلك راضية بموضعها - محمد هو الدنيا لا يدوم نعيمها ١٨٥
- وصلتك رحم ١٨٦
- قد طلق امرأته ثم تبعها نفسه - إن الغزال الذي ضيعت مشغول - ما كنت لتعذب عينين نظرتا إلى سعدى ! ١٨٧
- ابن أبي بكر وامرأته : في غير شيء تطلق !! ١٨٨
- وكانت جنتي فخرجت منها ١٨٩
- إن في نفسي من النوار شيئا - فأصبحت الغداة ألوم نفسي ١٩٠
- أبعد صحبة خمسين عاما ؟ رُضت الصعاب فلم تحسن رياضتها ١٩١

الباب السابع

- في النوادب ، والتعازي ، والمراثي ١٩٣ - ٢١٨
- فرش الباب لابن عبد ربه - اليكاء على الميت ١٩٥
- الأحف وبأكية - النبي ﷺ وبأكيات من الأنصار - القول عند الموت - فاطمة - ١٩٦
- رضى الله عنها - مع أبيها عند قبضه ١٩٦
- عائشة - رضى الله عنها - مع أبيها عند احتضاره ١٩٧
- عمر وعائشة - رضى الله عنهما - مع أبي بكر في احتضاره ١٩٨
- لعاوية في النساء - الوقوف على القبور والقول عند الموت : لفاطمة على قبر أبيها ١٩٩
- عائشة - رضى الله عنها - على قبر أبي بكر - لعل في فاطمة ٢٠٠
- امراة الحسن على قبره - نائلة على قبر عثمان - لأعرابية في أبيها ٢٠١
- لأعرابية في رثاء ابنها - لجارية على قبر أبيها - لأنى نواس - أعرابية ٢٠٣
- لهذيلية في رثاء إخوة وابن - لشيبانية في حزنها على أهلها ٢٠٥
- رثاء أخت التضمر ٢٠٦
- عمر بن الخطاب والخنساء في أخوها ٢٠٧
- عائشة والخنساء في صدار كانت تلبسه - من رثت زوجها ٢٠٨
- ليانة زوجة الأمين ترثه - أعرابية ترث زوجها ٢٠٩
- الأصمعي وجارية على قبر زوجها ٢١٠
- من رثت جاريتها : يا موت كيف سلبتني وصفا ؟! ٢١١
- مروان بن محمد وجارية له - حبيب الطائي يرث جارية أصيب بها ٢١٣
- أعرابي يرث امرأته - محمود الوراق يرث جاريتها نشو ٢١٤

- ٢١٥ محب وجارية له ماتت - رثاء ابنة لأحد بنى حميد - للبحترى
- ٢١٧ للاسكندر يعزى أمه عن فقدته

الباب الثامن

- ٢١٩ - ٢٤٦ نماذج للزعامة وحسن السفارة من النساء
- ٢٢١ بين يدي الباب لابن عبد ربه
- الوافدات على معاوية من صواحب عليّ :
- ٢٢٢ ١ - وفود سودة ابنة عمارة على معاوية
- ٢٢٥ ٢ - وفود بكارة الهلالية على معاوية
- ٢٢٦ ٣ - وفود الزرقاء على معاوية
- ٢٢٩ ٤ - وفود أم سنان بنت خيثمة
- ٢٣١ ٥ - وفود عكرشة بنت الأطرش
- ٢٣٣ ٦ - قصة دارمية الحجونية مع معاوية
- ٢٣٥ ٧ - وفود أم الخير بنت حريش على معاوية
- ٢٣٩ ٨ - وفود أروى بنت عبد المطلب على معاوية
- ٢٤١ في الأمثال السائرة
- ٢٤٢ فيمن يضرب به المثل من النساء
- ما قيل من الأمثال النسائية في :
- ٢٤٣ صدق الحديث - سوء المسألة وسوء الإجابة - التعريض بالكناية
- ٢٤٤ الدعاء بالخير - تعيير الإنسان صاحبه بعيبه - الذب عن الحرم - تأديب الكبير
- ٢٤٥ إعجاب الرجل بأهله - العفو عن المقدره - مفاكهة الرجل أهله
- المروءة مع الحاجة - وضع الشيء في غير موضعه - البخيل يعتل بالعسر - طلب الحاجة
- ٢٤٦ المتعذرة - المصائب والحاجة - الظلم من نوعين - الكرم يهضمه اللثيم

الباب التاسع

- ٢٤٧ المعجم النسائي في محاسن المرأة وأوصافها الخلقية ، والخلقية
- ٢٤٩ في محاسن أخلاقها وسائر أوصافها عن الأئمة
- ٢٥٢ في ترتيب حسن المرأة - في تقيم الحسن وشروطه - في ترتيب سن المرأة
- ٢٥٣ في محاسن العين
- ٢٥٤ في محاسن الأسنان
- ٢٥٤ في تفصيل الأوصاف المحمودة في محاسن خلق المرأة - (عن الأئمة) -
- ٢٥٨ في نعوتها المذمومة خلُقاً خلُقاً - (عن الأئمة) -

• في هذا الكتاب •

• طبع الأثنى ومايزم من عشرة النساء • المرأة العاقلة والمرأة السفهية • إياك وأن تقع في هؤلاء !! .. • البكر لك والشيب عليك !... • أعجب النساء ! • أفضل النساء ! • أحسن النساء ! • أنجب النساء ! • أجهل النساء • شر النساء • صواحب على وموقفهن من معاوية • نموذج كريبه • ألد من ليلة العرس • الشيب والنساء • بكر حواء • امرأة يتعوذ الشيطان منها ! • سمات الجمال وأحوال المحين • صفات الحسن • جاهل مغرور من غره النساء بود • ثلاث خصال في الزوج لانطاق • علامة الحب والبغض • قمة الكراهية • احذر هذه المرأة !... • مكر النساء وكيدهن !... • من يضرب به المثل من النساء • هند ولماذا اختارت أبا سفيان زوجاً لها • خير نساء ركن الإبل • الشعبي ورأيه في نساء تميم • عبد الملك بن مروان ورأيه في الجوارى • الحجاج ونساؤه • عثمان بن عفان وزوجته نائلة • المغيرة وزوجته فارعة • امرأة الخطئة وأمه !! • الحسن البصرى وعلامات الزوج المثالي • بنات العم والغرائب أيهما أنجب للولد !... • علامات المرأة المنجبة • أبناء الجوارى يتفوقن !! • الحسن والقبح • الحمرة والصفرة في المرأة • جميلة من بعيد مليحة من قريب !... • خضراء الدمن • شرك الصياد !... ثلاث صفات في امرأة قيحة !... • صنف منهن !... • بم يكمل جمال المرأة • اختيار الحليمة الصالحة والزوجة الموافقة... • وما يحمد من عشرة النساء .. • ما احب إلا للحبيب الأول !... • شر عمر المرأة !... • أعراوية ترقص طفلها .. • الخوارج وامرأة أرادوا قتلها !! • تقبل بأربع وتدير بثان !... من هي ؟ • إنهن يغلبن الكرام ويغلبن اللثام !... • أريدها بكراً كتيب أو ثيباً كبكر !... • صان الله ذلك الوجه !!... • أقدم أزوجك ايتتى !!... • الزوج المثالي • خير زوجة • مؤهلات ومواصفات • وعلى الغانيات جر الذبول !... • أقوال وغرائب وطرائف من عالم النساء !! • أمهات القوم أوعية .. • من طلق امرأته ثم تبعها نفسه !!... • ابن أبي بكر الصديق وامرأته !!... • النزار وأخبارها !!... • أبعد صحبة خمسين سنة !!... • هكذا يكون الإخوان • أعراوية ترى زوجها !... • من رثى جاريته !... • بم وصف علماء اللغة بحاسن المرأة ؟..